سلسلة "كتب فلسطينية" – ٢

نحن والفاتيكان وإسرائيل

أنيس القاسم

مركز الأبحاث
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - لبنان

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

نحنُ والفاتيكان وَإسرائيل

صدر في بيروت
في حزيران (يونيو) ١٩٦٦

من منشورات :
مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية
٦٠٦ شارع السادات - شقة رقم ٢٢ - بيروت - لبنان

سلسلة "كتب فلسطينية" — ٢

نحن والفاتيكان واسرائيل

أنيس القاسم

مركز الأبحاث
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - لبنان

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
مداخل	١٥
تمهيد	١٧
حوار مع العقيدة المسيحية	٢٦
تاريخ حافل	٥٠
عرض وتحليل	٧٥
الموقف من القرار	٨٧
مقدمة	٨٩
الموقف الديني	٩١
الموقف السياسي	١٠٨
الموقف الصهيوني	١٢٣
موقف الآخرين	١٢٧
بعد البيان	١٣٣
مباديء العمل الصهيوني	١٣٥
بداية بلا نهاية	١٤٤
ماذا نعمل	١٦٠

(التتمة على الصفحة التالية)

الموضوع	الصفحة
ملاحق	١٨١

الملحق رقم ١ : نص البيان التمهيدي	١٨٣
الملحق رقم ٢ : نص البيان الجديد بشأن اليهود . .	١٨٦
الملحق رقم ٣ : مقال الايكونوس الياس الرشماوي . . رئيس الطائفة الارثوذكسية العربية في بيت ساحور بالضفة الغربيـة — الاردن .	١٨٨
الملحق رقم ٤ : مقال القس عقل	١٩١
الملحق رقم ٥ : مقال الاستاذ عيسى الناعوري . .	١٩٥
الملحق رقم ٦ : بيان المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي	١٩٩
الملحق رقم ٧ : مقال الاستاذ احمد بهاء الدين . . .	٢٠٢
الملحق رقم ٨ : النص الأصلي للوثيقة التي قدمها الكاردينال بيا رئيس سكرتارية المجمع المسكوني، الى المجمع اثناء انعقاد دورته الثانية .	٢١٣

مُقَدِّمَة

نود اولاً وقبل كل شيء ان نسجل ان الامة العربية لها موقف واضح ومحدد حيال الاضطهاد والتمييز الديني او العنصري . انهـا تحارب هذا الاضطهاد والتمييز . وليس هذا الموقف وليد الساعة ، ولا هو مناورة سياسية . فهو يمتد الى اعماق التراث العربي وتمارسه الشعوب والحكومات العربيـة على حد سواء ، في الماضي والحاضر . ولم يعرف التاريخ كله امة تؤمن حق الايمان بالتسامح الديني والعنصري وتمارسه إيمان الامة العربية بذلك وممارستها له .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الاصيل في التراث العربي ، اتخذت الامة العربية منذ البداية موقفاً يميز بين اليهودية كدين سماوي جدير بالاحترام ، وبين الصهيونيـة كحركة استعمارية فاشستية جديرة بالمقاومة والمحاربة . وهذا الموقف الذي ظهر بصورة بارزة نتيجة للمطامع الصهيونية في فلسطين وفي ارجاء اخرى من الوطن العربي ، لم يتغير حتى بعد قيام اسرائيل ، وحتى بعد ان اتضح ان الكثيرين من اليهود الذين لا ينتمون رسمياً للحركة الصهيونيـة يقفون مؤيدين لاسرائيل ويستجيبون للضغط الصهيوني والمطالب الصهيونية .

ومع ذلك فان اسرائيل تصر على ادعائها بانهـا الناطق الرسمي باسم اليهود ، مهما كانت جنسياتهم ومهما كان موطنهم ، واسرائيل وليدة الصهيونية والاستعمار ، وكل تأييد يناله اليهود هو تأييد لاسرائيل ، لان اسرائيل – بما تدعيه لنفسهـا من تمثيل لليهود – هي وحدها التي ستستغل هذا التأييد .

لذلك، وفي الوقت الذي يؤيد العرب فيه كل التأييد مناهضة الاضطهاد الديني والتفرقة الدينية والعنصرية ، فانهم يستشعرون الخطر من استغلال اسرائيل لأغراضها الصهيونية العدوانية ما اسفر عنه المجمع المسكوني ، من تبرئة لليهود ، وما جاء في وثيقة التبرئة من اطراء للشعب اليهودي .

فنحن لا نقاوم الحرية الدينية ، وانما نقاوم استغلال الدين لتحقيق اطماع سياسية . وقد سبق لوطننا العربي ان خاض حرباً استعمارية ايام الحروب الصليبية ، حرباً استغل فيها الدين لتحقيق اطماع سياسية واقتصادية وعدوانية .

والمسألة الاساسية هي انه لن يكون في مقدور الفاتيكان منع الصهيونية من استغلال وثيقة التبرئة . وهذا هو الخطر ، وفي هذا تكمن مسؤولية المجمع المسكوني .

وفي عرضنا لوثيقة التبرئة ، حاولنا ان نخصص لهذا الموضوع كتاباً ينفرد به ، نظراً لخطورته ، ونظراً لأن ما صدر من كتب حتى الآن ، باللغة العربية ، قد اطال في عرض العلاقات اليهودية المسيحية ، وتشعب الى بحوث تخرج عن الوثيقة في حد ذاتها ، وان كانت مفيدة وضرورية .

وقد حاولنا كذلك جهد المستطاع، ان نتجنب الخوض في النواحي الدينية . فالمؤلف مسلم ، ولا يدعي اطلاعاً وافياً على نصوص الكتاب المقدس ، ولذلك فان الشعور بالمسؤولية قد حتم علي ان امتنع ، قدر استطاعتي ، عن التعرض للنواحي الدينية ، واكتفيت في هذا المقام ، بالاشارة الى ما قاله اخواننا المسيحيون ، الذين هم اغزر علماً في امور دينهم وأحق ببحثها .

وان اكره شيء الى نفسي ان يظن ظان ان هذا الكتاب فيه دعوة لمحاربة المسيحية في ديارنا . فانا مسلم مؤمن بالله وبكتابه ، ولم يبجّل السيد المسيح في كتاب كما بجّل في القرآن الكريم . والذي يدعوني الى هذا القول ، ما نقلته بعض الصحف الاجنبية ، من ان الدول العربية قد اكدت لقداسة البابا والكاردينال بيا ان المسيحيين لن يضاروا بسوء في البلاد العربية وان هذا التأكيد كان

له اثره في اجازة الوثيقة [1] .

وهذا التأكيد بالنسبة الينا امر بديهي ، فالمسيحيون العرب يمارسون حريتهم الدينيةفي وطنهم العربي الذي لا يقوم على اساس ديني، وانما على اساس من القومية والوطنية يربط ابناءه ربطاً وثيقاً الى الارض الواحدة والمصير الواحد . وهم في هذا لا يختلفون في شيء عن اخوانهم المسلمين . فلهم ما لنا وعليهم ما علينا . واسرائيل لم تميز بين فلسطيني مسلم وفلسطينيمسيحيعندما أخرجتنا من ديارنا . والصليبيون انفسهم عندما غزوا المشرق العربي لم يميزوا في تنكيلهم بين مسلم عربي ومسيحي عربي .

ولهذا فان المسلمين والمسيحيين العرب سواء في هذه المعركة ضد اسرائيل ، وفي جميع المعارك التي تخوضها الامة العربية ضد الاستعمار مهما كانت الوانه واشكاله وديانة الدولة التي تتبناه .

فاذا نحن اعترضنا على وثيقة الفاتيكان ، فاننا لا نعترض استجابة لنزعات دينية ، ولا اثارة لحروب صليبية ، فالغرب هو الذي يثير الحروب الصليبية ضدنا ، اعتبر الحرب العالمية الاولى حرباً صليبية عندما دخل ديارنا واعتبر حربه في الجزائر حرباً ضد المسلمين .

اننا نعارض الوثيقة لما تنطوي عليه من اخطار على وطننا . ولكننا لا نعارض مطلقاً ان يصدر عن الفاتيكان بيان يستنكر فيه جميع انواع التميز والاضطهاد . فنحن لا نميز ولا نَضطهد، وانما يُمَيَّزُ ضدنا ونُضطهَد . فالشعب الفلسطيني ، الذي هضمت كافة حقوقه القومية والانسانية ، هو الذي يجب ان يتجه اليه الفاتيكان لمناصرته وتأييد مطالبه ، لا ان يعطي فرصة ، مهما كانت جانبية ، لخصمه ليتقوى في ظلمه واعتدائه . اننا لا نسمح لأنفسنا حتى بمجرد التصور بأن الآباء يسايرون الدول الغربية في التنكر لحقوقنا وفي دعم الظلم المتمثل في اسرائيل .

---

(١) مجلة تايم الاميركية ٢٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ .

والفاتيكان قد بدأ ينطلق من الاهتمام فقط بالرعية الكاثوليكية ، وصار يهم نفسه بمشاكل غير الكاثوليك ، ومن بينهم اليهود ، ورحلة قداسة البابا التاريخية للامم المتحدة اكبر دليل على ذلك . فهل كثير ان نناشد الفاتيكان ان ينظر المجمع المسكوني ايضاً في الظلم الذي وقع علينا ؟ السنا من عباد الله ؟ السنا جميعاً امـا مسيحيين نشارك الآباء في معتقداتهم ، او مسلمين من الذين وصفهم قرار المجمع بانهم اقرب الناس الى المسيحيين ؟ فاذا لم يتجه الفاتيكان الينا، ونحن اقرب الناس اليه ، فان من الغريب ان يتجه لليهود الذين هم ابعد منا عنه .

ان اعمال الفتك والقتل الجماعي التي ارتكبتها الحركة الصهيونية في فلسطين ، لا تقل وحشية عما ارتكبته النازية ضد اليهود . فضلاً عن انه اصبح من المعلوم الآن ان منظمات صهيونية ، كمنظمة اليودنرات ، وزعماء صهيونيين كبارنبلاط ، قد ساهموا مساهمة كبيرة في عمليات الاضطهاد والتعذيب والقتل التي اصابت اليهود على يد النازية. وقد انكشف هذا الدور الاجرامي الخسيس ، في محاكمات جرت في اسرائيل نفسها وصدرت فيها احكام من المحاكم الاسرائيلية [٢] .

ان الاجرام الذي تتصف به الحركة الصهيونية لم تبلغ مبلغـه حتى الحركة النازية ، وهذا الاجرام وجه لا ضد الشعب الفلسطيني فقط ، وانما ضد اليهود ايضاً . ثم يأتي المجمع المسكوني ليمكن لهذه الحركة – بطريق غـير مباشر – في اعناقنا ورقابنا ، بل وفي اعناق ورقاب ابناء الطائفة اليهودية من الشرقيين الموجودين في فلسطين المحتلة فضلاً عن المسيحيين والمسلمين .

لقد كانت الصدمة عنيفة ، خصوصاً انها وقعت بعد زيارة البـابا للأراضي المقدسة ، حيث وقف شخصياً على المأساة وشاهدها على الطبيعة . ولا شك في ان ضمير قداسته قد ثار لهذه المأساة . فهل يصح له وللمجمع المسكوني ان يسكتـا عنها ، ولا يشيرا اليهـا اشارة صريحة وهي مأساة اليوم ، لا مأساة الامس ، مأساة مستمرة لا مأساة انتهت ؟

(٢) « الصهيونية في الستينات – الفاتيكان واليهود » ، تأليف : محمود نعناعة ، ص ١٣٧ وما بعدها .

ان المجمع المسكوني ، بوثيقته ، قد دخل في خضم الخلافـات السياسية ، ويخشى ان تكون قراراته قد خرجت عن نطاق الجدل الديني الصرف . فما دام الامر كذلك ، وهو امر لم نرده نحن للمجمع المسكوني ، فقد كان من الواجب الالتفات الى المآسي المعاصرة والظلم المعاصر والاضطهاد المعاصر – لا الى ما وقع في الماضي وما قد يحتمل وقوعه في المستقبل فحسب .

* * *

ان الامر الجوهري في موضوع بيان المجمع المسكوني حيـال اليهود ، هو ان الحركة الصهيونية قد ارتكزت فيما ارتكزت عليه في ادعاءاتها لاقامة اسرائيل ، على ان الرب قد وعد اليهود « بالعودة » الى فلسطين . وقـد اجهدت الحركة الصهيونية نفسها لاستخلاص تأييد ديني لمزاعمهـا من العهد القديم الذي يقدسه المسيحيون جميعاً .

ومع ان الدراسة الدقيقة لنصوص العهد القديم ، لا تؤيد المزاعم الصهيونية هذه ، الا ان القلائل من الناس هم الذين يعنون النظر في هذه النصوص، ويعرفون القدر الكافي من التـاريخ ، بحيث يستطيعون الكشف عن زيف التفسيرات الصهيونية . والحركة الصهيونية كما هو معروف ، من اقدر الحركات على استغلال جهل الناس وسطحيتهم وابتعادهم عن مطالعة الدراسات العميقة التحليلية .

ولهذا فقد استطاعت الحركة الصهيونية ان تستغل فيما تستغل، العاطفة الدينية لدى مسيحيي الغرب ، وكان من بين اقوى انصارها ، رجال الدين البروتستانتي في امريكا بوجه خاص .

ومع ذلك ، فقد ظلت تواجه مشكلة كبيرة مع الكنيسة الكاثوليكية ، التي لم يتغير موقفها منذ قيامها من حيث انها تعتبر نفسهـا اسرائيل الجديدة ، اي اسرائيل الموعودة . ولهذا فقد ركزت الحركة الصهيونية جهدهـا لتدخل الى الدوائر الكاثوليكية العليا ، سعياً وراء تعديل موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود ، وبالتالي من امانيهم ، وعلى الاخص فيما يتعلق باسرائيل .

فالعقيدة اليهودية تعتبر قيام اسرائيل ركناً اساسياً من اركانهـا . وفي هذا يتساوى جميع اليهود ، من صهيونيين وغير صهيونيين ، بالرغم من التمييز الذي نجريه عادة بين هاتين الفئتين من اليهود . فالكتب الدينية اليهودية تتحدث عن اسرائيل اليهودية القائمة في أرض الميعاد ، فلسطين ، على اساس انهـا ركن من اركان العقيدة اليهودية .

ومن الشواهد الحديثة على هذا القول ، كتاب صدر عام ١٩٦٠ عن الديانة اليهودية ، لكاتب يهودي معروف . عنوان الكتاب « هذا هو الهي » ومؤلفه هيرمان ووك [٣] .

في هذا الكتاب الذي يبحث في النواحي المتعددة للعقيدة اليهودية ، كرّس المؤلف فصلاً خاصاً للحديث عن اسرائيل استهله بالعبـارات التالية : « القمة المعاصرة » .

« لقد ذكرنا ان اسرائيل بلد ديني، بالمعنى المقبول . ومع ذلك فان قيام اسرائيل يجب ان يكون القمة المعاصرة في عرض الديانة اليهودية . واذا تجرأ المرء على التخمين حول طرق الله وسبله ، فانه يستطيع القول بأن النهضة قد حدثت ، بكل ما أثارته وكل ما سببته من مآس ، لتمكن اسرائيل من الظهور .

« ذلك لان النهضة هي التي اوجدت اسرائيل ، اسرائيل التي هي الانتصار الحديث للروح العبرية ، التي نمت سنة فسنة في قوتها وفي تقدير العالم لها ، اسرائيل التي هي الحلم الذي تحقق لستين جيلا من المنفيين ، اسرائيل ارض اليهود .

« ان القرون المتعاقبة لم تستطع ان تسحق هذا الحلم الغريب بجزء من أمة مشردة بحيث أنها تعود في يوم من الايام للأرض التي حددها الله لها. « في القدس في السنة التالية » كان الشعار الذي ابقى الشعب المشرد آملا .

« والآن وقد حدثت المعجزة فانها تبدو حدثاً عادياً ، ما لم يقف المرء ليتأمل » .

---

(٣) « This is My God » بقلم Herman Wouk
نشر لاول مرة عام ١٩٦٠ واعيدت طباعته عام ١٩٦٠ و ١٩٦١ ثم نشر في طبعة رخيصة عام ١٩٦٥ وهي التي اعتمدنا عليها في هذه المقدمة .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الحركة الصهيونية التي عملت على قيام اسرائيل فيقول :

« وهكذا فان ارض اسرائيل، التحقق الجديد لاقدم حلم ديني في الارض، قد وضعها مؤسس لاديني (يعني هيرتسل) واوجدها رجال هم في غالبيتهم لا يراعون احكام العقيدة. ومع ذلك فان الصهيونية في ازدهارها الحالي في اسرائيل ، تقع بسهولة ضمن مجال النظر البعيد للديانة اليهودية ، ذلك انه لم تقم في اسرائيل القديمة دولة دينية بالكامل ، فقد كان فيها ملوك اتقياء ساروا مع القانون اليهودي واحترموه، وكان فيها كذلك ، كالصهيونيين، حكام لم يسيروا مع القانون اليهودي، لم يطبقوه، ومع ذلك فقد كانوا جميعاً ملوكا لاسرائيل.

« اننا نعتقد ان اسرائيل ، هي المكان الذي سيشع منه نور الاله في يوم من الايام ، لا ليملأ البلاد الصغيرة فقط ، وانما الارض كلها » .

« ان الصهيونية الحديثة في اطار القانون العبري ، هي عمل طويل مفرد من انقاذ الارواح ، ومن اختطاف مجموعات كبيرة من الناس من طريق الفناء المؤكد » .

ويختتم المؤلف فصله عن اسرائيل بمناشدة يهود امريكا بان يكونوا لاسرائيل، كما كان يهود بابل ليهود فلسطين ، بعد العودة من المنفى . انهم سيظلون اكثر عدداً من يهود اسرائيل . وباجراء هذه المقارنة فان الكاتب يعيــد الى الاذهان النداءات التي وردت في العهد القديم ، تحث يهود بابل على مساعدة اليهود الذين ظلوا في فلسطين او عادوا اليها .

فقيام اسرائيل اذن ركن من اركان العقيدة اليهودية .

ولكن يجب ان تعترف المسيحية ، على اساس ديني بالديانــة اليهودية التي لم تذب في المسيحية .

يجب ان تعترف الكنيسة بان اليهود هم شعب الله المختار وتكف عن اعتقادها بانها هي هذا الشعب بعد ظهور المسيح ورفض اليهود له .

ويجب ان تعترف الكنيسة بان الوعود قد قطعت لهذا الشعب .

لهذا ركزت الحركة الصهيونية على الكنيسة لتفوز بصمتها ان لم تفز بتأييدها

وهي بطبيعة الحال تطمع في التأييد لا في الصمت .

ومن هنا تأتي الاهمية الخاصة لمداولات المجمع المسكوني وللبيان الذي صدر عنه، لما لهذا كله من آثار بعيدة على القضية الفلسطينية وعلى مصير الشعب الفلسطيني.

ولهذا السبب كتب هذا الكتاب .

ليبيا – طرابلس ٢٦/١/١٩٦٦

المؤلف

مَدَاخِل

تمهيد

تثير الحملة التي وجهتها الحركة الصهيونية للحصول على قرار من الكنيسة الكاثوليكية يبرىء اليهود من دم السيد المسيح ، سؤالاً لا بد من التعرض له ، تمهيداً لهذه الدراسة .

والسؤال الاول الذي يحتاج الى نظر ، هو : لماذا هذا التركيز الصهيوني على الكنيسة الكاثوليكية دون الكنائس البروتستانتية ؟

سؤال لا بد من التعرض له للكشف عن الاهداف البعيدة ، الدينية والدنيوية لهذه الحملة المسعورة التي استهدفت لها الكنيسة الكاثوليكية وأدت الى استسلامها ضمن حدود واسعة .

ان « الاحساس بالصهيونية » ، كما يقول الكاتب اليهودي الفرد ليلنتال ، « لم يقتصر ابداً على اليهود . فالصهيونية في الولايات المتحدة — وقد شجعها المثال الذي ضربه حاييم وايزمان ، الذي مزج العناصر المسيحية باليهودية للفوز بوعد بلفور من الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ — اعتمدت على المسيحيين الاميركيين في خدمات لا غنى عنها »[١] .

ويمضي ليلنتال الى القول بأن الحماس الديني لدى « المسيحيين الصهيونيين » كان كثيراً ما يفوق التدين لدى اليهود الصهيونيين . فهؤلاء كان يسيطر عليهم الاحساس القومي لا الديني للصهيونية . وقد تقبل بعض المسيحيين الادعاء بان

(١) The Other Side of the Coin. ، صفحة ٤ .

العهد القديم يطالب بعودة يهود اليوم من منفاهم الى وطنهم القومي في فلسطين ، ناقلين بذلك الانطباع بان دولة اسرائيل الحديثة هي التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس .

وتؤيد دائرة المعارف البريطانية في مادة الصهيونية ، ما ذهب اليه ليلنتال فتقول : ان الاهتمام بعودة اليهود الى فلسطين ، قد بقي حياً في الاذهان في الجزء الاول من القرن التاسع عشر ، بفعل المسيحيين المتدينين ، وعلى الاخص في بريطانيا ، اكثر من فعل اليهود انفسهم . وفي عام ١٨٤٤ (ونتيجة لهذا الشعور المسيحي المتدين) نشر اليهودي الاميركي، ميردخاي مانويل نوح ، كتاباً عنوانه « بحث في عودة اليهود » دعا فيه العالم المسيحي لمساعدة اعادة توطين اليهود في فلسطين . واهم من هذا ، فقد نشط لورد شافتسبري وسير لورانس اوليفانت وغيرهما من البريطانيين لانشاء دولة يهودية في فلسطين .

كان هذا قبل هرتسل والحركة الصهيونية العالمية بحوالي نصف قرن .

وهذا الذي قاله ليلنتال وقالته دائرة المعارف البريطانية يحتاج، على صحته، الى نوع من التخصيص والتدقيق . فسياق البحث لم يقتض من اي منهما التمييز بين طائفة وطائفة من المسيحيين الذين تصهينوا او عملوا على تحقيق الاهداف الصهيونية ، سواء كان ذلك قبل قيام الصهيونية العالمية المنظمة او بعد قيامها .

فالحقيقة ، هي ان الدعوة لاعادة اليهود الى فلسطين وجدت انصارها في الاوساط المسيحية البروتستانتية الغربية ، قبل الاوساط الكاثوليكية . ويرجع ذلك الى اسباب متعددة :

فالبرتستانتية دعت اتباعها الى العودة الى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وسمحت لاتباعها بقراءتها وتركت لهم حرية الحكم كافراد دون التقيد بتفسيرات سابقة او الاضطرار الى الاكتفاء بما تقوله الكنيسة . ولذلك كانت البروتستانتية منذ البداية رفيقة للعهد القديم . والعهد القديم هو في مجمله تاريخ اليهود ، على الاخص وهم في فلسطين . فصارت فلسطين ، نتيجة

لذلك ، مقترنة في أذهان الكثيرين منهم باليهود . ففلسطين ، في العهد القديم ، هي اسرائيل وفيها تحققت مملكة اسرائيل. وصار تاريخ فلسطين الذي يعرفونه هو، في معظم الاحيان، تاريخ اليهود في فلسطين. فالغرب لا يدرّس في مدارسه الا تاريخ الغرب وما ارتبط بذلك التاريخ من فتوحات . وعلى ذلك فتاريخ فلسطين قبل احتلال اليهود لبعض اجزائها ، وبعد طردهم منها نهائياً عام ٧٠ ميلادية ، تاريخ مجهول لغالبية ابناء الغرب .

وساعدت كتب التاريخ القديم في تثبيت هذه الافكار . ونكتفي في هذا المقام ، تدليلاً على ما ذهبنا اليه ، بالاشارة الى كتاب يعتبر مرجعاً عالمياً في التاريخ القديم ويدرّس حتى يومنا هذا في المدارس في الشرق والغرب على حد سواء ، بما في ذلك البلاد العربية ، وهو كتاب « العصور القديمة » للمؤرخ هنري برستد . فهذا المؤرخ لم يشر مثلاً الى الكنعانيين في فلسطين الا بمناسبة حديثه عن مجيء العبرانيين الى فلسطين ، مع انه يقول : « علينا ان نتذكر انه في ذلك الحين (اي عند مجيء العبرانيين) كان لدى هذه المدن الفلسطينية التي لم تقهر حضارة عمرها الف وخمسمائة سنة تضم بيوتاً مريحة وحكومة وصناعات وتجارة وكتابة وديانة — حضارة اسرع الرعاة العبرانيون المتخلفون الى اقتباسها »[٢]. ومع ذلك ، فان هذا المؤرخ الكبير ، الذي لا نتصور انه تحدث عن الحضارة الكنعانية على هذا النحو ، الا وهو يعرف عنها الكثير ، لم يرَ ان واجبه كمؤرخ يفرض عليه ان يفرد مجرد فصل واحد للحديث عن الكنعانيين وحضارتهم التي امتدت على الاقل ١٥٠٠ سنة ، بينما افرد اربعة فصول للحديث عن العبرانيين الذين لم يدم لهم حكم في فلسطين يقارن باي وجه من الوجوه بمدة حضارة الكنعانيين في فلسطين . افرد برستد للعبرانيين اكثر من نصف المساحة التي افردها لتاريخ الاشوريين وثلاثة اضعاف ما أفرده للكلدانيين وربع ما افرده لتاريخ مصر القديمة .

(٢) « Ancient Times : A History of the Early World » بقلم J. H. Breasted الطبعة الثانية ، ص ٢٢١ .

فهل كان للعبرانيين كل هذه الاهمية في العصور القديمة ، وهم الذين لم يقيموا اية حضارة تقاس بحضارة الكلدانيين والاشوريين والمصريين ؟

ولم يقف المؤلف عند هذا الحد ، ذلك انه تحدث عن الاحتلال العبري وكأنما القبائل العبرية وحدها هي التي غزت فلسطين ابان الغزو العبري لها . والواقع ، كما اثبت ذلك علماء التوراة انفسهم ، ان القبائل التي غزت فلسطين حينئذ كانت حلفاً من القبائل العبرية ومن جميع القبائل التي كانت تسكن الشمال الغربي للجزيرة العربية وجنوب فلسطين وصحراء سيناء [٣] .

هذا نموذج معاصر للطريقة التي يعرض بها تاريخ فلسطين القديم حتى على ايدي المؤرخين الكبار . والتاريخ الحديث بطبيعة الحال ليس اسعد حظاً ، وخصوصاً بعد ظهور الاسلام وسيطرة العرب على فلسطين وبقية اجزاء حوض البحر الابيض المتوسط . فالتعصب الاعمى ضد العرب والاسلام لعب دوره الخبيث في طمس التاريخ العربي وتشويهه .

وعلى اي حال فقد ظلت المطابع تدور وتدور وهي تبحث العهد القديم من جميع جوانبه ، والعهد القديم هو ، كما قلنا ، تاريخ اليهودية ، وعلى الاخص في فلسطين .

واذن فقد اجتمعت عدة عوامل اسهمت في التقريب ما بين الدعوة الصهيونية والآراء البروتستانتية في الغرب . فاعتماد البروتستانتية للعهد القديم كجزء اساسي من العقيدة ، ركّز الانظار والافكار على تاريخ اليهود في فلسطين ، وخلق العقيدة الدينية بان « العودة » هي مشيئة الله ويجب على المؤمنين العمل على تحقيق مشيئة

(٣) يراجع كتاب « اصول الصهيونية في الدين اليهودي » للدكتور اسماعيل راجي الفاروقي (من منشورات جامعة الدول العربية) لسنة ٦٣/٦٤ ص ٣١ وما بعدها . ويقول الدكتور الفاروقي : « ففكرة ان العبريين دخلوا لوحدهم الى فلسطين ، وانهم فتحوها عنوة وقهراً لأن الههم كان يمشي امامهم ناراً آكلة ، وفكرة انهم اتوا على جميع من فيها من رجال وحيوانات وشجر ، وان كل ذلك تم في فترة وجيزة من حياة قائد عبري واحد هو يشوع ، كل هذه الافكار اختلاق وافتراء لا تمت الى التاريخ بصلة . » ص ٤٠ .

الله . ثم ان التركيز في البحوث الدينية لفترة طويلة ، لم تنته بعـد ، على العهد القديم وكثرة ما كتب في هذا الموضوع اسهم هو الآخر في خلق الانطباع بان فلسطين يهودية . وكذلك تركيز الكتب التاريخيـة على فترة وجود اليهود في فلسطين ، دون سواهم ، اسهم في خلق الانطباع ذاته .

يضاف الى ذلك، ان البروتستانتية دعت الى الحرية الفردية في العقيدة. وبهذا افسحت المجال امام الاجتهاد الفردي ، وامـام ظهور العديد من الطوائف البروتستانتية التي اخذت كل منها اتجاهها الخاص ، وفقدت عنصر التماسك الذي نلحظه في الكنيسة الكاثوليكية. وهذا الوضع افسح المجال امام الحركة الصهيونية للتعامل مع كل طائفة على حدة ، فضلاً عن تعاملها مع الافراد في حرية كاملة . ومن هنا ظهرت الجمعيات المشتركة التي لا حصر لها بين رجال الدين في الطوائف البروتستانتية المختلفة وبين ممثلي واتباع الحركة الصهيونية — وكلها تتبنى البرنامج الصهيوني . ولا شك في ان الحركة الصهيونية تغذي هذه الجمعيـات بالاموال والرجال . فضلاً عن الجمعيات والمؤسسات المسيحية في ظاهرها والصهيونية في برامجها وأنصارها .

وترتب على ذلك كله ، — وهذا أمر جدير بالملاحظة — ان وجدت الحركة الصهيونية حلفاءها وانصارها في البلاد البروتستانتية بوجه خاص وعلى مستوى حكومي وشعبي . بينما انحصر التأييد في البلدان الاخرى ، حيث وجد التأييد ، او كاد ينحصر ، في الدوائر السياسية والحكومية او الحزبية مع تردد وحيطة .

وما دام الامر كذلك فإنه لا داعي لان تثير الحركة الصهيونية في الاوساط البروتستانتية موضوع مسؤولية اليهود عن صلب السيـد المسيح . فالكنائس البروتستانتية لا تشير الى هذه المسؤولية لا من قريب ولا من بعيد . ليس هـذا فحسب ، وانما ظهرت النظرية التي تقول باشتراك اليهود وغيرهم (اي الأميين) في جريمة الصلب وان هذا هو تعبير عن اشتراك البشرية جمعاء في هـذا الاثم . والصلب فيه تكفير عن خطايا البشرية ولذلك فانه من الخطأ ان يشار الى اليهود، دون غيرهم ، وان يدانوا بجريمة ارتكبتها البشريه جمعاء .

هذا هو الحال مع الكنيسة البروتستانتية ، وهو غير الحال مع الكنيسة الكاثوليكية .

فالكنيسة الكاثوليكية تمتد جذورها الى ايام المسيحية الاولى ، بل انها تعتبر نفسها الكنيسة الوحيدة التي تجسم المسيحية بمبادئها وتراثها وتقاليدها وتعاليمها وطقوسها وصلواتها. وكجزء من هذا التراث فان الكنيسة الكاثوليكية لا تنسى دور اليهود في محاربة المسيحية في ايامها الاولى ، ثم محاربة السيد المسيح لدرجة التآمر على حياته وادانته وتحريض السلطة عليه ووضع اكليل الشوك على رأسه وتفضيل اطلاق سراح المجرم براباس على العفو عن السيد المسيح واخيراً صلبه . ولا تنسَ الكنيسة الكاثوليكية مطاردة اليهود لاتباع السيد المسيح قبل ان تتحول الامبراطورية الرومانية الى المسيحية . واستمر الخلاف بين الكنيسة الكاثوليكية واليهودية طوال القرون الوسطى .

قد يقال ان هذه الامور كلها معروفة ايضاً للكنائس البروتستانتية ، ومعروف كذلك لهذه الكنائس انكار اليهود للسيد المسيح ، ذلك الانكار الذي لم يتغير ولم يتبدل حتى اليوم . ومعروف لها ان السيد المسيح لم يحقره احد ايام دعوته وبعدها مثل ما حقره اليهود ، سواء في موضوع ولادته او موضوع رسالته .

هذا صحيح . ولكن الفرق هو ان الكنيسة الكاثوليكية استمرار للماضي لا انقطاع فيه ، واستمرار للعقيدة المسيحية الاولى لا ثغرة فيه . بينما الكنائس البروتستانتية مستحدثة نسبياً ، وقد قفزت عند ظهورها القرون الطويلة من التراث اللاهوتي المسيحي الذي انجبته الكنيسة الكاثوليكية ، وبدأت تنتج تراثها ونظرياتها الخاصة بها . اي ان الكنائس البروتستانتية حررت نفسها من الماضي وبدأت من جديد .

ومع انه كان من المفروض ان تكون البداية الاناجيل وما جاء فيها ، وخصوصاً ما تعلق بحياة السيد المسيح ، الا ان البروتستانتية اشتملتها تيارات فلسفية متعددة باعدت في الواقع بينها وبين النصوص بحيث حلت النظريات الفلسفية

اللاهوتية الرمزية محل النص . وتعددت النظريات والمذاهب ، والتعدد من شأنه ان يؤدي الى تعدد التفسيرات والانشغال بهذه التفسيرات .

اما في الكنيسة الكاثوليكية ، فقد بقيت لقداسة البابا عصمتـه واستمرت وحدة الكنيسة الكاثوليكية الغربية واستمر قداسة البابا وحده المرجع الاول والاخير في امور الدين واللاهوت . وهذا التماسك والمركزية هما اللذان حافظـا على وحدة العقيدة الكاثوليكية ، وعلى السير في خط واحد لا يملك احد العدول عنه الا بقرار بابوي . وتعديل العقيدة بقرار فرد ، ولو كان صاحبه معصوماً ، امر في غاية الدقة لأنه قد يؤثر في البنيان المتماسك للكنيسة الكاثوليكية بمعناها الاعم .

واذا كانت البروتستانتية قد شجعت الاجتهاد الفردي ففتحت الباب بذلك لجميع التيارات، بما فيها التيارات اليهودية، لتؤثر في التفكير الديني البروتستانتي، فان الكنيسة الكاثوليكية ، على العكس من ذلك تمامـاً ، حظرت الخوض في امور الدين الا لجماعة محدودة تساعد قداسة البابا ولكنها لا تملي عليه ولا تسلط الاضواء على آرائها امام الرأي العام الكاثوليكي او المسيحي .

هذا الوضع ثبّت العقيدة الكاثوليكية فيما يتعلق بمسؤولية اليهود عن « قتل الرب » بحيث لا يملك احد ان يعدل هذه العقيدة الا قداسة البابا نفسه .

ولهذا فقد كان البابا نفسه هو الهدف الذي ركزت عليه الصهيونية واعوانها جميـع اسلحتها .

ومن الامور الاساسية التي يجب الا تغرب عن البال في العلاقات بين اليهود والكنيسة الكاثوليكية ان الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بان السيد المسيح قد جاء برسالة توحيد موجهة الى البشرية جمعاء ، ولما كان اليهود في ذلك العهد يؤمنون هم ايضاً باله واحد ، ولكنهم حصروا التوحيد في الشعب اليهودي دون غيره ، فقد وقع الصراع بين رسالة التوحيد المسيحية العامة الشاملة وبين رسالة التوحيد اليهودية الضيقة العنصرية .

وقد كان الامل المسيحي ان يكون اليهود اسرع الناس استجابة لدعوة السيد المسيح ، فتحل الديانة المسيحية ، وهي الاشمل والاعم ، محل الديانـة اليهودية الضيقة ، ويصبح اليهود مسيحيين . ولكن اليهود رفضوا ذلك ، دون ان يقوموا هم من جانبهم بالتبشير العالمي لديانة التوحيد ونشرها خارج اطار الشعب اليهودي .

والسيد المسيح يعلن بصراحة انه ما جاء لينقض الناموس ولكن ليكمله ، فرفض اليهود ان يكمل الناموس .

وهكذا وقف اليهود ، وهم الارسخ قدماً ، في وجه الدعوة الجديدة التي هي تكميل لدعوتهم لا نسخ لها . وعملوا كل ما يقدرون عليه للقضاء عليهـا وعلى دعاتها ، مستعملين في ذلك شتى الاساليب ، لدرجة انهم لم يرعووا عن اتهام مريم العذراء في عفتها وعصمتها .

وهذا الموقف اليهودي لا مبرر له سوى العنصرية التي تأبى على الناس من غير اليهود ان يدخلوا في دين الله ، وتؤثر ان يظلوا ، كما كان الرومان المعاصرون لليهود في فلسطين ، عبدة للاوثان والاصنام لا يؤمنون باله واحد ، ولا يجمعهم هذا الايمان في تعبد واحد يتوجهون به جميعاً الى اله واحد .

وهذا الموقف الديني اليهودي لم يتغير حتى اليوم .

* * *

هناك مسألة اخرى نود ان نشير اليها في هذا التمهيد .

كان من بين المسائل التي اثيرت في المجمع المسكوني في دورته الثانية موضوع المركزية الذي تحدثنا عنه ، وجرت المطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة في اماكن وجودهم ، اي اتباع نظام اللامركزية . وهذه هي الخطوة الاولى في منح سلطة تقديرية لكبار رجال الكنيسة ، وهي خطوة اولى لاحتمال ظهور تباين في ممارسة هذه السلطة التقديرية بين جهة وأخرى ، والنتائج لوضع كهذا الوضع ليست خافية .

وقد استجاب البابا بولس السادس الى هذه الدعوة ، فاعلن في خطابه الذي القاه في المجمع في ٢١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ انه لا يعارض في اشراك ممثلين عن الكنيسة معه في ممارسة السلطة العليا [٤] . وتنفيذاً لذلك فقد اعلن قداسة البابا في الدورة الرابعة والاخيرة للمجمع بتاريخ ١٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ انه استجابة لرغبة المجمع ، قرر انشاء مجلس من البطاركة يساعد قداسته في شؤون الكنيسة ويستشيره فيما يرى قداسته من امور .

وحتماً سيكون من بين هؤلاء اميركيون ، وسيكون الاميركيون ، كما هم دائماً ، دعاة مخلصين للاهداف الصهيونية .

(٤) « Thaw at the Vatican, the Second Session of the Vatican Council ». بقلم Barbara Wall, Bernard Wall. ، ص ٣٢ .

حِوارٌ مَع العقيـدَة المَسِيحيَّة

نشطت الحركة الصهيونية ومن يشايعونها نشاطاً كبيراً في الفترة التي سبقت انعقاد المجمع المسكوني عام ١٩٦٣ ، وفي الفترة التي انقضت بين انعقاد دورات المجمع الاربع .

وكان هذا النشاط يرمي الى عدة اهداف .

الهدف الاول ، اثارة الرأي العام ضد البابا بيوس الثاني عشر ، وبالتالي ضد الفاتيكان، لموقفه المزعوم من اضطهاد الحركة النازية لليهود. والغاية من وراء هذا ، الحصول على بيان من المجمع المسكوني يساعد الحركة الصهيونية في اطماعها في فلسطين والوطن العربي ، وان اكتسى ذلك البيان بالصبغة الدينية .

والهدف الثاني ، الزج برجال الكنيسة الكاثوليكية في القضية الصهيونية ، والفوز بتأييدهم امام شعوبهم .

والهدف الثالث ، تفسير الكتاب المقدس او تحريفه تفسيراً او تحريفاً يؤدي الى اعادة كتابة دور اليهود في اضطهاد المسيحيين الاوائل ، وعلى الأخص فيما يتعلق بموضوع صلب السيد المسيح .

وسنبدأ هذا العرض في الطريق الى الفاتيكان بمسرحية المندوب التي اثارت الكثير من الجدل والنقاش .

كاتب المسرحية شاب الماني اسمه رولف هوخهوث Rolf Hochhuth ، عمره

٣٢ سنة ، بروتستانتي المذهب ، كان في وقت من الاوقات من اتباع حركة الشباب النازية ، وشُهِّر به على انه ميال للشيوعية وعلى انه لا سامي [١] .

هذا هو المؤلف . الماني . شاب يتطلع الى الحياة والمستقبل . له ماض نازي مهما كان دوره في هذا الماضي ، اتهم بالميل الى الشيوعية وبانه لا سامي . فريسة ممتازة للحركة الصهيونية . فاذا سار معها فانه لا يبلغ عنه ولا يوشى به ولا يقدم للمحاكمة كما قدم غيره من النازيين السابقين. والثمن هو مسرحية المندوب ، يضع عليها اسمه ، اذ لا شك عندي في انه لم يكتب المسرحية وانما كتبت له لتحقيق غرض صريح من اغراض الحركة الصهيونية .

والنقطة الاساسية في المسرحية هي ما يدعيه المؤلف من ان البابا بيوس الثاني عشر قد رفض ان يدين علانية قتل النازيين لليهود الاوربيين . فقد كان قداسة البابا يعتبر هتلر حاجزاً ضرورياً يفصل بين الشيوعية السوفيتية والغرب المسيحي ، وكان يأمل في عقد مفاوضات لوقف اطلاق النار بين المانيا والحلفاء الغربيين . ويعتقد المؤلف ان البابا ، بوصفه الرجل الاول في اقوى كنيسة في العالم ، كان الرجل الوحيد الذي قد يؤدي احتجاجه الرسمي الى كبح جماح هتلر. غير ان البابا ، في زعم المؤلف ، ظل صامتاً . ويقول المؤلف في ملحق للرواية : « لم يحدث في التاريخ ابداً ان دفع هذا العدد الكبير ارواحهم ثمناً للنظرة السلبية لسياسي واحد » .

فالمؤلف في هذه المسرحية لم يكتف باثارة الجدل حول موقف قداسة البابا . وانما ادانه ، وفتح الباب واسعاً لتوجيه النقد او اللوم او الاتهام الى كل شخص في الكنيسة الكاثوليكية مهما علت مرتبته .

وهذه هي بالذات الطريقة التي اتبعتها الحركة الصهيونية مع المانيا الغربية ، وعلى الاخص مع الجيل الذي عاصر الحركة النازيه .

وقد عاصر البابا بيوس الثاني عشر عدد كبير من الكرادلة ، من بينهم البابا

(١) مجلة تايم الاميركية العدد الصادر في ١ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ .

الحالي والبابا الذي سبقه والذي في عهده بدأت اجتماعات المجمع المسكوني . فقد كانت هذه المسرحية شبه انذار لهم جميعاً . وكان بعضهم من اقرب المقربين الى البابا بيوس الثاني عشر . ومن يدري فلعل احدهم قال جملة ما او كتب تقريراً ما او ابدى رأياً ما .

وقد استنكرت الكنيسة الكاثوليكية هذه المسرحية اعظم استنكار لمخالفتها للواقع . فالبابا بيوس الثاني عشر ساعد البابا بيوس الحادي عشر في اعداد منشوره الذي ادان العنصرية النازية عام ١٩٣٧ . وعندما نظم النازيون جمع اليهود الايطاليين في عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، سمح البابا بفتح ابواب الكنائس والاماكن الكاثوليكية لايواء اليهود وعرض خمسين كيلوجراماً من الذهب لافتداء مائتي زعيم يهودي. وفي هنغاريا وسلوفاكيا نجح ممثلي الكرسي البابوي في ايقاف ترحيل اليهود الى المعسكرات البولندية .

لقد كان البابا يخشى من الانتقام النازي ، كما حدث في هولنده عندما احتج المطارنة الكاثوليك ، فانتقم النازيون باعتقال اليهود الذين اعتنقوا الكاثوليكية . الشر النازي كان حقيقة واقعة ، ولذا فان البابا قد ترك للمطارنة المحليين ان يقدروا مدى الضرر واحتمال الانتقام وان يقرروا مواقفهم على هذا الاساس . كان البابا يخشى الضرر الاكبر الذي يمكن ان يقع على الكاثوليك في المانيا وفي البلاد التي احتلتها ، وكان بعض المطارنة يرجونه الا يذيع شيئاً عن الاعمال النازية .

لقد ادان البابا العنصرية النازية ، فلم يؤثر ذلك شيئاً ولم يعدل شيئاً من برنامج الحركة النازية . ثم من قال ان استنكار البابا سيوقف النازيين ؟ انه ادعاء لا سند له .

وعلى اي حال فقد كان على البابا ان يوازن بين ضررين . ومن يدري انه لو اختار الوقوف الى جانب اليهود لما شمل الاضطهاد الجميع ؟ وبالفعل فان الاضطهاد النازي لم ينحصر في اليهود ، بل شمل غيرهم خلقاً كثيرين .

المهم في الموضوع ، ليس ان البابا كان مخطئاً او مصيباً في قراره . وانما المهم، في الطريقة الصهيونية ، انها فتحت الباب على مصراعيه لمهاجمة كل كاثوليكي ، مهما علت مرتبته الدينية ، اذا كانت قراراته لا تروق لها .

وقد استغل قداسة البابا بولس السادس مناسبتين للرد على الاتهامات التي وجهها كاتب مسرحية المندوب للبابا بيوس الثاني عشر. ففي ١٢ مارس (آذار) ١٩٦٤ ، عندما كان يكرس تمثالاً للبابا بيوس الثاني عشر في ساحة كنيسة القديس بطرس ، وقف مدافعاً عن البابا بيوس ضد « صرخات اللوم والاتهام التي لا مبرر لها والتي تتنكر للجميل » . وقال : « اذا غمرت البشرية شرور لا حصر ولا حد لها ، فان ذلك لا يعزى الى جبن البابا او عدم اكتراثه او انانيته .... فحسبما سمحت الظروف فان البابا استعمل صوته للاعلان عن الحق والعدل وللدفاع عن الضعيف ولنجدة المعذب ولوقف شرور اعظم ولتمهيد الطريق الى السلام».

وفي ٣٠ مايو (أيار) ١٩٦٤ تحدث قداسة البابا امام اجتماع للجمعية الايطالية لسجناء الحرب فأثنى على العمل الذي لا يكل الذي ابداه البابا بيوس الثاني عشر وعلى « احتجاجاته الصارمة ضد المخالفات المستمرة التي ارتكبتها الجيوش الغازية اثناء الحرب العالمية الثانية » . وقال قداسته : « انه لا تغفل عن هذا العمل الا عين غشاها سوء الفهم والحقد » [٢] .

واستمرت الحملة على قداسة البابا بيوس الثاني عشر .

ففي الولايات المتحدة اصدر استاذ يهودي اسمه جونتر ليفى كتاباً أسماه « الكنيسة الكاثوليكية والمانيا النازية » . وكان محور البحث في هذا الكتاب ما اذا كان البابا بيوس الثاني عشر قادراً على وقف قتل اليهود على يد النازيين .

والمؤلف هذه المرة استاذ جامعي،ولذا فانه لا يجزم في الامور كما جزم مؤلف مسرحية المندوب ، لان الجزم ليس من صفات الاساتذة . وبهذا يضفي على كتابه رزانة العلماء . ولكنه مع ذلك يتهم البابا بيوس الثاني عشر بالتقصير ، ويثير

(٢) « Facts on File, 1964 ». ص ٢٠٨ .

الاسئلة موحياً بالاجابة عليها دون ان يصرح بها . يكفي اثارة الشك ، ويكفي ان يحاسب البابا – هذا الرجل الذي تنظر اليه الكنيسة الكاثوليكية على انه معصوم عن الخطأ . لقد سقطت الهالة عن قداسة البابا – واسقطتها الحركة الصهيونية .

وفي عام ١٩٦٢ صدر في ايطاليا كتاب من نمط آخر . هذا الكتاب اسمه « مؤامرة على الكنيسة » . ولم يصرح المؤلف باسمه وانما استعمل اسماً مستعاراً هو « موريس ايناي » .

وقد سلك هذا الكتاب نهجاً آخر . فقد هاجم اليهود هجوماً عنيفاً واتهمهم بانهم يحاولون السيطرة على الفاتيكان وافساد الديانة المسيحية والمذهب الكاثوليكي بوجه خاص . وقد استعمل هذا الكتاب عدداً لا حصر له من الشتائم ضد اليهود متهماً اياهم بانهم شياطين .

وقد ظن البعض اول ما صدر هذا الكتاب انه بقلم احد رجال الدين الايطاليين المرموقين ، من المحافظين الذين يرفضون اصلاح الكنيسة الكاثوليكية . واشاروا في هذا باصابع الاتهام الى الكاردينال الايطالي « اوتفياتي » . الا ان هذه التهمة قد استبعدت على ما يبدو .

والذي يخيل الينا ان مؤلف الكتاب لا يعدو ان يكون احد شخصين : فاما ان يكون كاثوليكياً مخلصاً قد هالته المؤامرات الصهيونيـــة على الكنيسة الكاثوليكية ، هذه المؤامرات التي ظهرت بوادرها في محاولة نقل المسؤولية عن صلب السيد المسيح من اليهود الى البشرية قاطبة (وقد كان هذا هو النص الاصلي لوثيقة التبرئة) . واما ان يكون صهيونياً عريقاً اراد من كتابه الموجـــه الى الكنيسة ان يدلل على حقد الكاثوليك على اليهود وكراهيتهم لهم لاستثارة المجمع المسكوني لاصدار وثيقة التبرئة .

والفرض الثاني ينسجم تماماً مع الاسلوب الصهيوني في العمل ، ذلك ان من بين الاساليب التي يستعملها الصهيونيون اثارة الحقد والكراهية ضد اليهود لتحقيق

هدف من اهداف الحركة الصهيونية كاستصدار القوانين والقرارات او جمـــع التبرعات او حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين .

ونحن نميل الى هذا الفرض الثاني خصوصاً وان هذا الكتاب قد وزع على جميع آباء المجمع المسكوني ولقي من الدعاية مـــا لا تقدر عليه سوى الدعاية الصهيونية ، مما لا يقوم به عادة ناشر ما لكتاب من هذا القبيل .

اصدر الدكتور بيرنهـارد اولسن كتاباً اسماه « العقيدة والتمييز» « Faith and Projudice » وذلك في مارس (آذار) ١٩٦٣ . وفي هـذا الكتاب نقد المؤلف الكتب المدرسية الدينية واشار الى الفقرات التي ترد في بعضها وتوحي بالتمييز ضد اليهود (ضد الكاثوليك احياناً) . وضرب امثلة على ما جاء في هذه الفقرات ، ومن هذه الامثلة ان « الاناجيل توضح مدى كراهية اليهود للمسيح ». وكأنما يريد من هذه الاشارة ان يخرس الأناجيل فلا تتكلم عن مدى مـا لقيه السيد المسيح على ايدي اليهود . ويرى المؤلف ان الموضوع يجب ان « يعالج بواقعية » . و « الواقعية » هي حذف كل اشارة لليهود او تخفيف الاشارة بحيث تضيع الحقيقة . وقد ساعد اولسن هذا عشرين كنيسة بروتستـانتية في اعادة النظر في مناهج الدراسة وفي الكتب المدرسية . وذهبت بعض الكنـائس الى توجيه الاساتذة عندما يتعرضون لمحاكمة المسيح ، فقالت : « يجب على الاساتذة ان يراعوا بصورة خاصة الا يعطوا فكرة مؤداها ان الشعب اليهودي خاضع للعنة حتى يومنا هذا بسبب ان بعض اليهود قبل الفي سنة قد ادوا الى صلب ابن الله » [٣] .

واصدر المؤرخ الفرنسي اليهودي جول اسحق Jules Isaac كتاباً عنوانه « تعليم الاحتقار » (« The Teaching of Contempt ») ، علقت عليه مجلة تايم الاميركية في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ مايو (ايار) ١٩٦٤ فقالت : ان المؤلف قد بدأ دراسته اللاسامية اثناء الحرب العالمية الثانية عندما قتل النازيون زوجته وابنته . (ولم تذكر المجلة النتائج التي وصل اليها من دراسته) . وفي عام ١٩٦٠

(٣) مجلة تايم الاميركية ٢٩ مارس (آذار) ١٩٦٣ .

حث صديقه البابا يوحنا الثالث والعشرين ليعبر عن معارضة الكنيسة الكاثوليكية للاسامية . (وتحققت هذه الامنية بموافقة البابا يوحنا على طرح وثيقة التبرئة الاصلية على المجمع المسكوني) .

وفي هذا الكتاب يتعرض المؤلف « لأخطاء » رئيسية عن اليهودية وصلت (حسب قوله) الى التفكير المسيحي دون ان يستند اي منها الى الحقيقة . ففيما يتعلق بـ « قتل الرب » ، يقول هذا المؤلف اليهودي انه ليس من المنطق ان يلام شعب بأكمله لجريمة أقلية ، لا سيما وان اغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقاً بالمسيح ! ويقرر المؤلف ان الاناجيل اتجهت الى نقل اللوم عن الصلب من الرومانيين الى اليهود نظراً لأن هذه الاناجيل قد كتبت في وقت كانت فيه المسيحية تهجر اصولها اليهودية لتحول الاميين الى الدين الجديد . وهكذا اصبحت الاناجيل وما ورد فيها موضع شك وجدل ولا يصح التعويل عليها والاخذ بالحقائق الواردة فيها. ترى هل يجوز بعد هذا، في نظر المؤلف ، اعتبارها كتاباً مقدساً؟

وقد حيا ممثلو الجمعية الدولية للتعاون المسيحي اليهودي هذا المؤلف ، بالاشتراك في قداس اقيم في مدينة فلورنسا تكريماً « ليوم جول اسحق » . فقد اصبح للرجل صاحب هذه الآراء يوم يحتفى بـه ويشترك المسيحيون في الاحتفاء به .

وقد ظهرت حركة قوية في الكنيسة الكاثوليكية لاعادة تفسير الكتاب المقدس باستعمال طرق النقد الحديثة التي يستعملها البروتستانت واليهود . وبعد استنكار هذه الحركة مدة من الزمن اخذت الآن تنال قبولاً في الاوساط الكاثوليكية . وكجزء من هذا الاتجاه فان خمسة من العلماء اليهود يشتركون الآن في اعداد ترجمة جديدة للكتاب المقدس . وتضم هذه اللجنة ، فضلاً عن اليهود الخمسة ، سبعة من الكاثوليكيين وخمسة عشر من البروتستانت . وقد صدر الجزآن الاول والثاني من هذه الترجمة في اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٤ [٤] .

(٤) مجلة تايم ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ و ١٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٤ .

والذي نعرفه هو انه عندما يشترك اكثر من شخص في عمل واحد، كالترجمة او التفسير ، فان من طبيعة الاشياء ان يجاري بعضهم بعضاً وان يتنازل البعض عن رأيه مجاراة للبعض الآخر ، خصوصاً اذا كان بينهم من اشترك استناداً الى خبرة منسوبة اليه . واليهود الخمسة في هذه اللجنة اشتركوا على اساس الخبرة والمعرفة باللغة العبرية القديمة او اللغات القديمة التي كتبت بها الاناجيل (كانه لا يوجد مسيحيون لديهم ذات الخبرة في لغات يتعلمها الجميع ، بما فيهم اليهود ، على انها لغات قديمة لا تستعمل اليوم) . وهكذا فانه سيكون لهؤلاء اثر ملحوظ في النص الذي ستصدر به الترجمة الجديدة، خصوصاً اذا تذكرنا الاتجاهات الجديدة في تفسير الكتاب المقدس ، هذه الاتجاهات التي لليهود اليد الطولى فيها . وقد قدمنا فيما سبق امثلة واضحة على هذه الاتجاهات .

وكجزء منهذه الحملة المركزة لاعادة تفسير الكتاب المقدس، بدأ الحاخامون اليهود في امريكا نشاطهم داخل الكنائس المسيحية مباشرة ، فخطبوا فيها ، واشترك العلماء اليهود والبروتستانت في دورة ، مدتها ثمانية اسابيع ، لدراسة الكتاب المقدس الكاثوليكي. وفي كلية « يونيون العبرية » يوجد ٢٥ طالباً مسيحياً يدرسون دراسات عالية [٥] .

وفي شهر مايو (ايار) ١٩٦٤ اتخذت لجنة الاتحاد العالمي اللوثري للارساليات العالمية قراراً يقول ان اللاسامية « شكل شيطاني للثورة ضد إله ابراهيم واسحق ويعقوب ، وانها رفض للمسيح اليهودي موجه لشعبه » [٦] . وهكذا اصبح انتقاد اليهود ثورة على الله ورفضاً للمسيح موجهاً الى شعبه اليهودي (هذا الشعب الذي ما زال ينكر المسيح ولا يعترف به ولكنه في الوقت ذاته يريد ان يستغله اكبر الاستغلال ، علماً بان الشعب اليهودي ليس هو شعب السيد المسيح ، فشعبه البشرية جمعاء التي حمل رسالته اليها .

ومن مظاهر هذه الحملة ان بدأت محطة تلفزيون ن. سي. س. الاميركية في

(٥) مجلة تايم ١٣ مارس (آذار) ١٩٦٤ .
(٦) مجلة تايم ٢٩ مايو (أيار) ١٩٦٤ .

فبراير (شباط) ١٩٦٤ سلسلة من المحاضرات عن شخصيات العهد القديم قدمها راهب لوثري اسمه ستاك . وستاك هذا ايضاً من اصل الماني وكان راهباً المانياً في عهد النازية وارسل الى الجبهة حيث جرح ثم اعتقل وقضى عشرة اشهر في المعتقلات البريطانية والروسية . وفي عام ١٩٤٩ رحل الى امريكا . قال ستاك في تقديم حلقته : « انني اريد ان اذكر الناس بان العهد القديم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي استعمله يسوع . واريد ان اذكرهم بان اليهود والمسيحيين يشتركون في كتاب العهد القديم . وان بحثه لمعرفة معناه قد يساعدنا لندرك اننا جميعاً ساميون روحياً . واخيراً فانني احب ان اساعد المسيحيين ليستردوا تراث العهد القديم الذي فقدوه بسبب عدم العناية به والحاجة الى فهمه »[٧] .

وهكذا فمؤلف مسرحية المندوب الماني بروتستانتي ، ومؤلف هذه السلسلة الماني لوثري ، ومؤلف وثيقة التبرئة الماني كاثوليكي .

ونختتم هذا العرض بالاشارة الى مسابقة عالمية نظمت حول الكتاب المقدس بين الاوساط الشعبية في مختلف انحاء العالم . وقد عقدت دورة التصفية الاخيرة لهذه المسابقة في القدس المحتلة . وكان موضوع المسابقة « الامتحان الدولي في الكتاب المقدس » . واعد الاسئلة للمتسابقين رجال الدين اليهودي ، واختير الفائز في التصفية النهائية في مدينة القدس المحتلة ، واذيعت وقائع المسابقة ونال الفائز وهو من استراليا جائزة للدراسة في المعاهد اليهودية في فلسطين المحتلة[٨] .

وهكذا بدأت الخطوة التالية تمهيداً لاعادة تفسير النصوص فيما يتعلق بارض الميعاد .

ويتضح مما تقدم ان الحركة الصهيونية ، ومعها عدد كبير من اليهود من ذوي الخبرة والنفوذ وعدد آخر من غير اليهود ممن تأثروا لسبب او لآخر بالحركة الصهيونية ، تركز الآن تركيزاً كبيراً على الكتاب المقدس . وان هذا التركيز

(٧) مجلة تايم ٧ فبراير (شباط) ١٩٦٤ .
(٨) مجلة تايم ١٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٤ .

ظهر بصورة واضحة قبيل انعقاد المجمع المسكوني وفي اثناء انعقاد دورتيه الاولى والثانية وفيا بعد ذلك .

ويتضح كذلك ان الهدف هو الكتاب المقدس ، سواء كان النص ما تتبناه الكنيسة الكاثوليكية او الكنائس البروتستانتية .

ويتضح كذلك ان الاتجاه هو اعادة تفسير النصوص تفسيراً يلائم النظرة اليهودية ، وانه ينصبّ الآن على علاقة اليهود بصلب السيد المسيح ، ثم سيتطور ولا شك ليشمل النواحي الاخرى التي تهم الحركة الصهيونية ، ومن بينها تفسير النصوص الخاصة بعودة اليهود الى فلسطين .

ويتضح ايضاً ان الحركة هذه لا تقتصر على مخاطبة رجال الدين ، وانما امتدت لتنقل ما تريده الحركة الصهيونية الى الاوساط الشعبية . وهذا واضح في اعادة النظر في الكتب المدرسية ، وفي الاذاعات التلفزيونية ، وفي الكتب العادية التي تطرح هذه المسائل على الجمهور .

ويتضح اخيراً ان الحركة الصهيونية لم تقصر نشاطها على الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية ، وانما امتد هذا النشاط الى الكنائس الاخرى ، ووجد لديها تجاوباً بلغ ، في بعض احواله ، ابعاداً اكبر مما وجده لدى المجمع المسكوني حتى الآن .

وهكذا فتح الباب على مصراعيه ، والعقيدة المسيحية ذاتها صارت موضع جدل ليس بين المسيحيين ورجال الدين ، وانما يشترك في الجدل ، ويساهم فيه مساهمة كبيرة ، قوم لا يعترفون بالمسيح . ولو اشترك في هذا الجدل المسلمون لكان هنالك نوع من العذر فالمسلمون يعترفون بالسيد المسيح ويجلونه . اما اليهود فلا .

وليس ادل على استمرار اليهود في عدم الاعتراف بالسيد المسيح (بل وباستنكارهم لما جاء في الوثيقة ، من ان امل المسيحية هو ان يدخل اليهود في الكنيسة) ، ليس ادل على ذلك من ان اليهود يرفضون حتى مجرد الاعتراف بالمسيح على انه

حاخام من حاخاماتهم . انه لا منزلة له عندهم ولا مكانة حتى اليوم [٩] .

وصرح الحاخام ابراهام يوشع هيشيل بان « دعوة تعتبر اليهودي مرشحاً للتحول (عن دينه) وتعلن ان مصير اليهودية هو الزوال ستنمي حتماً الشعور المتبادل بعدم الثقة فضلاً عن المرارة والاستياء » [١٠].

انهم يريدون كل شيء ولن يسلموا بشيء .

ويبدو انهم سيحصلون على ما يريدون ولو على حساب العقيدة المسيحية .

لقد امتنعنا حتى الآن ، قدر جهدنا ، عن الخوض في التفسيرات الدينية التي طاب للبعض ان يطلقها، غير اننا وقد اباح الكتّاب اليهود لانفسهم ان يتعرضوا لنصوص الانجيل ، وهم الذين لا يعترفون بقدسيته ، نرى اننا في حل لمناقشة بعض ما جاؤوا به من آراء . وخصوصاً آراء جول اسحق اليهودي، وما تنطوي عليه من مغالطات . فنحن اولى منه بابداء الرأي والانجيل كتاب مقدس عندنا والسيد المسيح نبي من انبيائنا .

يقول جول اسحق ، انه ليس من المنطقي ان يلزم شعب بكامله ، بجريمة ارتكبتها اقلية ، لا سيا وان اغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقاً بالمسيح .

اما ان اغلبية الشعب اليهودي لم تسمع مطلقاً بالمسيح ، فقول مردود ولا ينهض عليه اي دليل ، ولا يمكن لاي رجل منصف ان يجزم بالنسبة التي سمعت بالسيد المسيح . غير ان الثابت هو ان السيد المسيح تجول في ارجاء متعددة من فلسطين ، في قرى ومدن الجليل ومنطقة الغور والقدس والسامرة. وكان في اثناء تجوله يقف في القرى مبشراً وداعياً لملكوت الله . وفي جميع الاماكن التي زارها كان يقوم بالمعجزات . واخبار معجزاته كانت تسبقه الى الاماكن التي يزورها فيحتشد الناس من اجله ، ويذكر انجيل لوقا ان الناس الذين اقتسم المسيح بينهم الارغفة الخمسة والسمكتين كانوا حوالي خمسة آلاف شخص . هذه الوقائع تجزم

(٩) مجلة تايم ٢٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ .

(١٠) مجلة تايم ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ .

بان كثيرين قد سمعوا بالسيد المسيح وان اخباره كانت على ألسنة الناس . وقلق الاحبار من إقبال الناس على السيد المسيح دليل اضافي يناقض الادعاء الذي جهر به جول اسحق . فلا يعقل ان يقلق الاحبار هذا القلق لو كانت دعوة المسيح ، او كان اسمه كما يزعم جول اسحق ، معروفاً فقط في دائرة ضيقة من قلة من الناس .

والآن ، هل صحيح ان يقال انه ليس من المنطقي ان يلام الشعب اليهودي لجريمة ارتكبتها اقلية فيما يزعم جول اسحق ؟

في الظاهر ، هذا قول صحيح ، ومغرق في الصحة بسبب البساطة التي يعرف فيها . غير انه ، وبسبب هذه البساطة ايضاً ، مغرق في الخطأ ، عندما يرمي الى اصدار حكم عام. والدليل على ذلك، ان الصهيونيين ادانوا الشعب الالماني بكامله وفرضوا عليه التعويضات مع ان قلة من الشعب الالماني هي التي يصح ان تنسب لها جريمة محاولة ابادة اليهود .

فالمسألة ليست عدد الاشخاص الذين اشتركوا في ارتكاب الجريمة ، ولكن صفتهم عند ارتكابهم للفعل الذي يعتبر جريمة .

فالسؤال الحقيقي الذي كان على جول اسحق ان يجيب عليه هو : ماذا كانت صفة اليهود الذين اصدروا حكم الموت على السيد المسيح ؟ هل كانوا اشخاصاً عاديين بحيث تنسب افعالهم الى اشخاصهم فقط ، ام كانوا اشخاصاً لهم صفتهم العامة واختصاصاتهم المحددة المعترف بها من الجميع بحيث تنسب افعالهم الى المجموعة من الناس التي منحتهم الصفة وحددت لهم الاختصاص واعترفت لهم به وكانت ملتزمة بقراراتهم ؟ .

هذا هو السؤال . وعند الرد عليه لا قيمة ولا وزن لأغلبية أو أقلية ، وانما الوزن كل الوزن للصفة والاختصاص .

للرد على هذا السؤال نرجع الى الانجيل نستقرؤه الجواب ، وتسهيلاً للقارىء الذي قد لا يكون الانجيل في متناول يده ، فاننا ننقل الآيات بنصوصها من

مختلف الاناجيل .

لقد هال الكهنة والفريسيين اقبال الناس على السيد المسيح ، وقلقوا بصورة خاصة من اثر معجزاته ، فكانوا يتحينون له الفرص ويسعون للايقاع بينه وبين السلطة الرومانية بكل طريقة ، ومن الامثلة الشهيرة على ذلـك سؤالهم له : « ايجوز ان تعطى جزية لقيصر ام لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربونني يا مراؤون ؟ أروني معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له لقيصر . فقال لهم اعطوا اذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » [١١] .

وفشلت مناوراتهم فاشتروا يهوذا الاسخريوطي ، احد الحواريين الاثني عشر ، للتجسس على المسيح والعمل على تسليمه . « فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر . فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم . ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه فضة . فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلواً من جمع » [١٢] .

« وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح . وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه ، لأنهم خافوا الشعب » [١٣] .

وازداد قلق الكهنة من معجزات المسيح وخطرها على تحويل الشعب عنهم . فتآمروا وقرروا قتل المسيح .

فكثيرون من اليهود الذين جاؤوا الى مريم ونظروا مـا فعل يسوع (من احياء عازر من الموت) آمنوا به . واما قوم منهم فمضوا الى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع . فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع ، فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . فان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وامتنا . فقال لهم واحد منهم ، وهو قيافـا ،

---

(١١) متى ٢٢ : ١٧ - ٢٢ ومرقص ١٢ : ١٣ - ١٧ .
(١٢) لوقا ٢٢ : ٣ - ٥ . (١٣) لوقا ٢٢ : ١ - ٢ .

كان رئيساً للكهنة في تلك السنة ، انتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون انه خير لنا ان يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الامة كلها » [١٤] . « ومن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » [١٥] .

واصدر رؤساء الكهنة والفريسيون « امراً انه ان عرف احد اين هو فليدل عليه لكي يمسكوه » [١٦] .

واذن فالتآمر على القتل جاء من اعلى المستويات اليهودية المختصة ، من مجمع كبار الكهنة والفريسيين ، وبقرار من قيافا ، رئيس الكهنة لتلك السنة . وهم الذين اصدروا امراً للبحث عنه .

هل لهؤلاء صفة واختصاص في اتخاذ هذا القرار ؟

لا شك في ذلك . فهم اصحاب الصفة والاختصاص ، دون غيرهم . انهم القيمون على امر الشعب اليهودي، واليهم ذهب الناس يخبرونهم عن افعال المسيح. وهم الذين يطبقون القوانين. اما الشعب، اما افراد الشعب العاديون ، فلا يملكون اتخاذ هذا القرار ، واذا اتخذوه فانه ينسب الى اشخاصهم لا الى شعبهم . اما القرار الذي اتخذه رئيس الكهنة المختص في مجلسه فينسب الى الشعب بكامله لأن هذا الشعب رضيه رئيساً للكهنة ورضيَ بصفته واختصاصه .

ثم قبض على السيد المسيح .

من الذي تولى القبض عليه ؟

واجابت الاناجيل على هذا السؤال .

« فاخذ يهوذا الجند وخداماً **من عند رؤساء الكهنة والفريسيين** » [١٧] . وجاء الى المكان الذي يوجد فيه المسيح . « ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع واوثقوه » [١٨] . « وبينما هو يتكلم اذا جمع والذي يدعى

(١٤) يوحنا ١١ : ٤٥-٥١ .
(١٥) يوحنا ١١ : ٥٣ .
(١٦) يوحنا ١١ : ٥٧ .
(١٧) يوحنا ١٨ : ٣ .
(١٨) يوحنا ١٨ : ١٢ .

يهوذا احد الاثني عشر يتقدمهم ... ثم قال يسوع **لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه**، كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي. فاخذوه وساقوه » [١٩]. « وللوقت فيما هو يتكلم اقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي **من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ** ... كل يوم كنت **معكم في الهيكل** اعلم ولم تمسكوني... فمضوا بيسوع الى رئيس الكهنة »[٢٠] « وفيما هو يتكلم اذا يهوذا احد الاثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند **رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب**... حينئذ تقدموا والقوا الايادي على يسوع وامسكوه » [٢١] .

واذن فالذين قبضوا على المسيح كانوا رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اليهودي او اشخاص جاؤوا بامر هؤلاء ومن عندهم .

الى أين اخذ المسيح بعد القبض عليه ؟

« والذين امسكوا يسوع مضوا به الى **قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ** » [٢٢] . « فمضوا بيسوع الى **رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة** » [٢٣] . « فاخذوه وساقوه وادخلوه الى بيت **رئيس الكهنة** ... ولما كان النهار اجتمعت **مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة** واصعدوه الى مجمعهم » [٢٤] . « ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود مضوا به الى حنان اولاً ، لانه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة ... ثم ادخل يسوع الى دار **رئيس الكهنة** ... وكان حنان قد ارسله موثقاً الى **قيافا رئيس الكهنة** » [٢٥] .

واذن فان المسيح لم يؤخذ الى قصر بيلاطس او دار الحكومة ، وانما اخذ الى دار رئيس الكهنة ، الى مجمع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة اليهود .

(١٩) لوقا ٢٢ : ٤٧ و٥٢ و٥٤ .
(٢٠) مرقس ١٤ : ٤٣ و٤٩ و٥٣ .
(٢١) متى ٢٦ : ٤٧ و٥٠ .
(٢٢) متى ٢٦ : ٥٧ .
(٢٣) مرقس ١٤ : ٥٣ .
(٢٤) لوقا ٢٢ : ٥٤ و٦٦ .
(٢٥) يوحنا ١٨ : ١٢ و١٥ و٢٤ .

وهؤلاء هم الذين حاكموه .

ما هي التهمة التي كانت موجهة اليه ؟

انها تهمة التجديف .

« ان كنت انت المسيح فقل لنا ... افأنت ابن الله . فقال لهم انتم تقولون اني انا هو . فقالوا مـا حاجتنا بعد الى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه » [٢٦] . «قد سمعتم التجاديف. ما رأيكم. **فالجميع حكموا عليه انه مستوجب الموت**»[٢٧]. « **قد جدّف ها قد** سمعتم **تجديف** ، ماذا ترون ؟ فاجابوا وقالوا **انه مستوجب الموت** » [٢٨] .

واي القانونين يعاقب على التجديف : الروماني ام اليهودي ؟

القانون الروماني لم يعرف جريمة التجديف .

« فقال الوالي واي شر عمل ... اني بريء من دم هذا البار » [٢٩] . « فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع اني لا اجد علة في هذا الانسان » [٣٠] . « انا لست اجد فيه علة واحدة » [٣١] . « وها لا شيء يستحق الموت صنع » [٣٢] .

وموقف بيلاطس يستقيم تماماً مع موقف القانون الروماني. فالقانون الروماني لم يعرف جريمة التجديف .

اما القانون اليهودي فيعرف هذه الجريمة ويعاقب عليها .

« اجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله » [٣٣] . « فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه ... فكانوا يلجون باصوات عظيمة طالبين ان يصلب فقويت اصواتهم واصوات رؤساء الكهنة »[٣٤] .

(٢٦) لوقا ٢٢ : ٦٧ – ٧١ .
(٢٧) مرقس ١٤ : ٦٤ .
(٢٨) متى ٢٦ : ٦٥ – ٦٧ .
(٢٩) متى ٢٧ : ٢٣ و ٢٤ .
(٣٠) لوقا ٢٣ : ٤ .
(٣١) يوحنا ١٨ : ٣٨ .
(٣٢) لوقا ٢٣ : ١٥ .
(٣٣) يوحنا ١٩ : ٧ .
(٣٤) لوقا ٢٣ : ٢١ – ٢٣ .

وهكذا في بقية الاناجيل .

واذن فالادانة حصلت وفقاً للقانون اليهودي لا للقانون الروماني .

ومن الذي اصدر حكم الادانة ؟

اصدره رئيس الكهنة في مجلسه من الشيوخ والكتبة « ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، حينئذ لما رأى يهوذا الذي اسلمه انه قد دين » [٣٥] .

وجاء دور التنفيذ . ورئيس الكهنة لا يملك اختصاصاً في التنفيذ ، فهـذا الاختصاص معقود للحاكم الرومـاني . ولهذا حملوه الى بيلاطس . « فقام كل جمهورهم (اي جمهور مشيخة الشعب ، رؤساء الكهنة والكتبة) وجاؤوا به الى بيلاطس » [٣٦] . وهناك اصروا على صلبه لانه خـالف ناموسهم . « فحينئذ اسلمه اليهم ليصلب » [٣٧] . « واسلم يسوع لمشيئتهم » [٣٨] . « واسـلم يسوع بعد ما جلده ليصلب » [٣٩] . « وحينئذ اطلق لهم (الوالي) باراباس . وامـا يسوع فجلده واسلمه ليصلب » [٤٠] .

لقد سلم بيلاطس يسوع لليهود وهم الذين اخذوه واقتادوه وحمّلوه صليبه ثم قاموا بصلبه .

« دمه علينا وعلى اولادنا » .

هذه هي الوقائع . لقد تولت جهات الاختصاص في الشعب اليهودي مهمـة اصدار قرار الاتهام ، ومهمة القبض على المتهم ، ومهمة محاكمته ، ومهمة تطبيق قوانينها عليه ، ومهمة التنفيذ .

وجهات الاختصاص هذه كانت تعمل باسم الشعب اليهودي ونيابة عنه وبناء على طلبه .

---

(٣٥) متى ٢٧ : ١ - ٣ وتراجع النصوص السالفة الذكر.
(٣٦) لوقا ٢٣ : ١ .
(٣٧) يوحنا ١٩ : ١٦ .
(٣٨) لوقا ٢٣ : ٢٥ .
(٣٩) مرقس ١٥ : ١٥ .
(٤٠) متى ٢٧ : ٢٦ .

وجهات الاختصاص في اي شعب هي دائماً قلة من حيث العدد . ولكن افعالها ، ضمن اختصاصاتها ، تنسب الى الشعب كله . فرئيس الجمهورية او الملك فرد ، ولكن افعاله بصفته ، تنصرف الى الدولة بكاملها ، وبهذا تكتسب عبارة « دمه علينا وعلى اولادنا » مدلولاً اضافياً يجدر التأكيد عليه .

من هنا يتضح التضليل الذي اراده جول اسحق وامثاله . انهم يهربون من النصوص الصريحة ليموهوا على الناس بنظريات مغرية في ظاهرها ، ولكنها لا تستند الى الوقائع الثابتة ، ولا الى التحليل السليم . انهم ، في سبيل اغراضهم ، يعومون في الفرضيات، وينسون حتى معلوماتهم والنظريات الاساسية التيتعلموها وعلموها للناس . انهم ينسون المبادىء القانونية ، ويتجاهلون ابسط قواعد علم الاجتماع الذي خاضوا فيه واشبعوه بحثاً وتحليلاً .

لقد حوكم السيد المسيح ، وحكم عليه ، وادين ، وفقاً للقانون اليهودي. وهذا القانون لم يتغير حتى الآن ، ولم يصدر احبار اليهود حتى اليوم حكماً بتصحيح الخطأ. لو كانوا يعتقدون انهم وقعوا في خطأ عندما ادانوا السيد المسيح . فالسيد المسيح في نظر القانون اليهودي ، كان مجرماً ولا يزال مجرماً . والشعب يتحمل مسؤولية قوانينه ونتائج تلك القوانين .

وشبيه بهذا التضليل ما قرره جول اسحق ايضاً من ان الاناجيل اتجهت الى نقل اللوم عن الصلب من الرومان الى اليهود نظراً لان هذه الاناجيل قد كتبت في وقت كانت فيه المسيحية تهجر اصولها اليهودية لتحول الاممين الى الدين الجديد .

لا شك في ان الاناجيل لم تكتب في عهد السيد المسيح . ولكن كيف يمكن لأي مسيحي ان يقبل ان ينسب التزوير والتحريف الى القديسين الاربعة الذين كتبوا الاناجيل ؟ فهذا هو الادعاء الحقيقي الذي يدعيه جول اسحق .

فأولاً لم يكن الاميون جميعاً من الرومان ولذلك فانهم لا يهمهم ان يكون اللوم عن الصلب على عاتق اليهود او على عاتق حاكم روماني طواه الزمان .

وقد آمن بالدين الجديد كثيرون قبل ان تعتنقه الامبراطورية الرومانية .

ثم من هو بيلاطس حتى لا يلام لو كان فعلاً محلاً للوم ؟

انه حاكم صغير لمنطقة نائية. وما كان ليكون له ذكر لو لم تشر اليه الاناجيل فما اكثر الحكام الرومان الذين طواهم التاريخ ونسيهم .

ثم بماذا يمكن ان يتهم الرومان ، او بيلاطس على وجه التحديد ، السيد المسيح ، ليرتكب بيلاطس جريمة الصلب ؟

لا شيء على الاطلاق .

فالسيد المسيح لم يهاجم روما ولا حكم بيلاطس . وانما صبّ غضبه كله على انحرافات الكهنة والفريسيين، وخروجهم عن دين التوحيد وتعاليمه، وانشغالهم بالدنيا عن الدين ، وليس في هذا ادنى امتهان لروما او لبيلاطس ، فما كانت روما يهودية ولا كان بيلاطس يهودياً . فدعوة السيد المسيح كانت تحدياً صريحاً لا لروما ولا لبيلاطس ، وانما لاحبار اليهود والنظام الذي اخضعوا الشعب اليهودي له باسم الدين. كان ثورة على الاستغلال والارهاب الذي كانوا يمارسونه. فيذكر انجيل يوحنا مثلاً ان كثيراً من الشيوخ ، اي شيوخ اليهود ، كانوا يؤمنون بالمسيح ولكنهم لم يعلنوا عن ذلك خوفاً من ان يطردهم الفريسيون من المجمع . وقد يكون هذا الخوف نفسه هو الذي دعا احد الحواريين الى انكار السيد المسيح .

واذن فقد كان الكهنة والفريسيون وزعماء اليهود يخشون على مراكزهم وعلى نفوذهم ، وكان من الطبيعي ان يقاوموا دعوة تهدد هذه المراكز وذلك النفوذ . هذا امر طبيعي،وقد حدث مثله في الماضي، وحدث مثله بعد عهد السيد المسيح.

بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت دعوة السيد المسيح تحمل في ثناياها خطراً اكبر ، وهذا الخطر هو الذي ما يزال اليهود يقاومونه حتى الآن . لقد خشي الاحبار وزعماء اليهود ان تؤدي دعوة السيد المسيح واقبال الناس عليها الى زوال اليهودية ، والى ذوبان اليهود في المجتمعات الاخرى التي تعتنق المسيحية والى

القضاء على العنصرية اليهودية والانفصالية اليهودية عن بقية الشعوب .

وهذا هو بالذات ما اشار اليه انجيل يوحنا [٤١] عندما روى ما جرى في الجلسة التي عقدها رئيس الكهنة . لقد خشي المجتمعون من اقبال الناس على دعوة المسيح ، وخشوا ان يؤمن به الكثيرون من اليهود بطبيعة الحال ، فما كان يعنيهم امر احد الا امر اليهود، وخشوا ان يؤدي ذلك الى زوال اليهود واليهودية وانصهارهم مع غيرهم من الناس ، مما سيؤدي الى القضاء على كيانهم المستقل ، فيأخذ الرومان موضعهم وأمتهم . وبناء على ذلك اشار قيافا رئيس الكهنة ، على اليهود « انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب » [٤٢] . ورئيس الكهنة لم يعن بهذا ، الانقاذ الروحي او الخلاص الروحي . فما كان يؤمن بدعوة المسيح او بالمسيح نفسه ليؤمن بالخلاص على يديه .

هذا هو منطق الاحداث ومنطق الواقع . وهذا هو المنطق الذي يأبى ان يقره جول اسحق ، ويصر على ان يقيم بدلاً منه نظرية لا تستقيم مع الاحداث ولا مع منطق الواقع ، ولا مع قدسية دعوة السيد المسيح التي ما كانت في حاجة الى ان يزور تاريخها القديسون الاربعة في اناجيلهم ، كما يدعي جول اسحق ، لتنتشر في الارض .

في ختام هذا الفصل ، ولفائدة اولئك الذين لم تتح لهم الفرصة ليتعمقوا في اوجه الخلاف الديني بين اليهودية والمسيحية ، فاننا نشير الى كتاب ترجم الى لغات اوربية متعددة لخص اوجه الخلاف هذه ، وتقصى الحوار بين اليهودية والمسيحية الى يومنا هذا . اسم الكتاب « حوار اليهودية والمسيحية » ومؤلفه كاتب يهودي اسمه هانز جواكيم شويبس [٤٣] .

يقول المؤلف ان جميع الكنائس المسيحية تلتقي في الاختلاف مع اليهودية في النقاط الاربع الاساسية التالية :

---

(٤١) يوحنا ١١ : ٤٥–٥١ . (٤٢) يوحنا ١٨ : ١٤ .

(٤٣) « The Jewish - Christian Argument » بقلم Hans Joachim Schoeps (شباط ، ١٩٦٥) .

١ – ان المسيح الذي تنبأ به العهد القديم هو عيسى الناصري الذي صلب في عهد بيلاطس .

٢ – عندما رفض اليهود المسيح ، عيسى الناصري ، وتم صلبه فان صفة الشعب المختار قد انتقلت الى الكنيسة المسيحية ، واصبحت الكنيسة تسمى « اسرائيل الحقيقية » .

٣ – ان العقاب الذي نجم عن صلب عيسى (عليه السلام) هو تدمير هيكل اليهود في القدس تعبيراً عن رفض الله لشعب اسرائيل الذين يجب عليهم ، نتيجة لغلظة قلوبهم ، ان يستمروا تائهين في الارض الى عودة الرب .

٤ – بناء على شهادة القديس بولس ، فان القانون اليهودي قد الغاه الاعتقاد بالوحي الجديد .

وقد قاوم اليهود في جميع العصور هذه الاقوال الاربعة مقاومة عنيفة ومـا زالوا يقاومونها . ويناقش المؤلف هذه النقاط الاربعة واحدة واحدة بالاستناد الى التفسير اليهودي للعهد القديم ، ولما يسميه بالتجربة اليهودية مع الله ، مؤكداً ان المسيح الذي تنبأ العهد القديم بظهوره ليس هو المسيح بن مريم ، وان المراجع اليهودية المعاصرة للمسيح ، والتالية لعهده مباشرة ، لم تعره اي اهتمام يذكر ، وان ما ذكر فيها قد اشار الى شخص باسم يسوع الناصري الذي ارتد عن اليهودية ودعا الناس للارتداد مثله . (ونقول تعليقاً على هذا الرأي ان المؤلف قد اعطى من حيث لا يقصد الدليل الذي يؤيد ما جاء في الاناجيل من ملاحقة السيد المسيح والتآمر على حياته ، والحكم عليه بالصلب لانـه ارتد عن اليهودية . فالردة في القانون اليهودي عقوبتها الموت) .

ورداً على النقطة الثانية ، يقول المؤلف ان الكنيسة ترى ان الله قـد رفض الشعب اليهودي لانه اتخذ العجل الهاً ولانه لم يؤمن بالمسيح ؛ وان الكنيسـة قد اصبحت شعب الله المختار نتيجة لايمانها بالمسيح. هذا القول مرفوض عند المؤلف،

لان الميثاق قائم بين الله وشعب اسرائيل على انه شعب الله المختار ، وان هذا الميثاق لا يمكن الغاؤه . قد يُنزل الله العقاب بالشعب اليهودي ، ولكنه لا يستطيع ان يرفضه .

(ويقول كاتب يهودي آخر ان المسيح قد وسع الاختيار بحيث شمل الكنيسة ايضاً [٤٤] . ويبدو ان هذا هو الحل الوسط الذي قد يؤدي اليه الحوار بين الكنيسة واليهودية) .

ويقول ان انتشار اليهود بين الامم له اصل في نظرية الاختيار وانه جزء من المخطط الالهي . واذا قيل : لماذا لا يعاقب الله من يعاقبون اسرائيل ؟ فان الجواب على ذلك هو : تلك مشيئة الله .

ورداً على النقطة الثالثة يقول المؤلف ان اليهود يستفظعون ان يكون هدم الهيكل هو نتيجة لصلب السيد المسيح ، ويعتبرون الهدم نتيجة لخطاياهم ، وانه تم تشريدهم لاعادتهم ، لما للهيكل من مكان المركز في حياة اليهود . ويرى بعض اليهود ان هدم الهيكل ، شأنه شأن اختيار الشعب اليهودي ، لا يوجد له مبرر منطقي ولكنه جاء بارادة الله .

ورداً على النقطة الرابعة يقول ان الله قد انزل قانونه لليهود ليحقق وحدتهم بالله وليحصن اسرائيل نتيجة لميثاقه مع الشعب اليهودي . وان عصيان اليهود لهذا القانون لا يلغيه ، لان الله لا يملك الغاءه ، وهو الذي التزم بالميثاق مع اسرائيل بمحض ارادته ووحيه ووعده . وان اتباع القانون اليهودي ، لا المسيحية ، هو سبيل الخلاص . فاليهودية لا تعترف بالمسيح على انه المخلص . ورداً على ادعاء القديس بولس بان ميثاقاً جديداً قد ابرم عن طريق المسيح ، يقول المؤلف استناداً الى التوراة انه لم يبق شيء من التوراة في السماء وانها جميعاً قد نزلت ولذلك فلا محل لوحي جديد يأتي به المسيح .

والامر الذي تجدر ملاحظته ان المؤلف اعتمد كلياً على العهد القديم وعلى

---

(٤٤) « This is My Gad ». بقلم Herman Wouk (١٩٦٥) ، ص ٣٠ .

الكتابات اليهودية في مناقشته للرأي المسيحي دون ان يكترث اطلاقاً بقدسية الاناجيل . وعلى العكس من ذلك كانت النظرة المسيحيــة ، التي استندت على الاثنين معاً .

ويمضي المؤلف بعد ذلك الى متابعة الحوار بين رجال الكنيسة ورجال الدين اليهودي عبر القرون الوسطى الى القرون الحديثة الى عصرنا هذا . ويلاحظ ان رجال الدين في القرون الوسطى ما كانوا ليقروا احتمال وجود اكثر من ديانة واحدة في كل منها جانب من الحقيقة ، بينما عندما حل القرن الثامن عشر وظهرت معه سيادة العقل ، اصبح هذا ممكناً ، الامر الذي مهد للنقاش الحر في القرن العشرين.

وفي هذه الحقبة ظهرت نظريات متعددة تراوحت بين نظرية هيجل (الذي اعتبر اليهودية ديناً ميتاً) وبين نظرية فورستيشير (الذي اعتبر المسيحيـــة والاسلام مبشرين باليهودية ، وانه متى انتهت عملية التبشير هذه فان مهمة المسيحية والاسلام تنتهي ويصبح الناس جميعاً يهوداً) .

ويختتم المؤلف كتابه بفصل عن الحقيقة اليهودية والحقيقة المسيحية يقول فيه انه نتيجة للحوار الذي بدأ في القرن العشرين، بعد ان مهدت له القرون السابقة، فانه يمكن القول الآن بان « الجانب اليهودي يعترف بالاصل السماوي للمسيحية وبما اوحي فيها على انها طريق لخلاص الاميين – خارج اسرائيل – مع ان هذا الاعتراف يختلف اختلافاً كبيراً عن كونه جزءاً من العقيدة اليهودية » . اي ان اليهود في القرن العشرين فقط قد اظهروا استعدادهم لتقبل المسيحية، ومن الناحية العملية لا من الناحيه العقائدية ، على انها دين سماوي . غير ان هذا الاعتراف لا يكوّن جانباً من العقيدة اليهودية . كما انه يعترف بالمسيحية لا على انهـا دين موجه للبشرية جمعاء ، وانما لغير اليهود من ابناء البشر .

ومع هذا فان الخلافات الاساسية تظل قائمة ، فالميثاق قد اعطاه الله لشعب اختاره ، هو شعب اسرائيل . وانحصار هذا الاختيار في شعب يتسلســل من ابراهيم ليس هو اختيار الكنيسة ، لان الكنيسة تضم شعوباً واقوامـاً لا توجد

بينهم رابطة الدم بالانتساب الى جد واحد . ولذلك فان « شعب اسرائيل » يظل هو الشعب المختار حسب تعاليم العهد القديم ويظل هو الشعب الذي ابرم الله معه الميثاق الذي لا يستطيع ، جلت قدرته ، الرجوع عنه .

ويظل الخلاف قائماً في ان الله لا يستحيل بشراً وانما يظل إلهاً ولا يموت على صليب « وكأنه رجل مهجور » . اذ ببقائه إلهاً ، لا بموته على الصليب ، يعبر عن حبه للانسان. واليهود ليسوا في حاجة لان يضحي المسيح من اجل خلاصهم، فخلاصهم مضمون بعودتهم الى التوراة .

ونظراً لأن اليهود على استعداد الآن للاعتراف بالكنيسة ضمن الحدود السالفة الذكر ، فان على الكنيسة ان تعترف باليهودية ، وبان الميثاق قد اعطاه الله للشعب اليهودي فقط ، وان ترى صنع الله لا في العهد القديم فحسب ، وانما فيما تلاه في العصور اللاحقة الى يومنا هذا في اسرائيل [٤٥] .

وينهي المؤلف كتابه بالدعوة الى التضامن بين الكنيسة واسرائيل من اجل القضاء على الاتجاهات غير الدينية التي تقاسي منهـــا المسيحية واليهودية على حد سواء .

---

(٤٥) ان نهاية هذا الحوار الديني بالدعوة الى الاعتراف باسرائيل (مهما كان معنى اسرائيل) هو ما حذرنا منه في فصل لاحق حيث رأينا ان الحوار الاخوي الذي دعت اليه الوثيقة سيؤدي حتماً الى بحث قيام اسرائيل وتحقيق ذلك لوعد العهد القديم .

تاريخ حافل

- ١ -

ابتدأت الحركة الصهيونية حملتها على الفاتيكان ، وضغطها عليه للحصول على وثيقة تبرىء اليهود من دم السيد المسيح ، في ايام البابا يوحنا الثالث والعشرين ، الذي توفي في ٣ يونيه (حزيران) ١٩٦٣ . وركزت الحركة الصهيونية حملتها على اساس ان البابا بيوس الثاني عشر لم يتحرك لرفع الاضطهاد عن اليهود ايام الحكم النازي في المانيا ، بل انه ، في زعمهم ، تواطأ مع النازية على ذلك وأغمض جفنيه ، وان موقفه هذا كان سبباً من الاسباب التي ادت الى زيادة اضطهاد اليهود في المانيا .

وكجزء من حملة التشهير بالبابا بيوس الثاني عشر ، نشرت مسرحية «المندوب» التي اثارت ضجة كبرى وتعمد مخرجها اليهودي اثارة الضجة من حولها .

وقد قال الكاتب احمد بهاء الدين[1] ان القصد من وراء هذه الحملة ، هو اثارة « عقدة » في نفس رجال الدين الكاثوليك لاستغلالها ، كما اثيرت عقدة الذنب عند الالمان الغربيين فاستغلتها الحركة الصهيونية وابتزت من المانيا الغربية ما ابتزت .

ويبدو ان الحركة الصهيونية قد نجحت في اثارة هذه العقدة خصوصاً وان

(١) مجلة المصور عدد ٢٠٩٦ الصادر في ١١ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٤ .

بعض الكرادلة، حسبما قيل، كانوا لا يوافقون البابا بيوس الثاني عشر على سكوته. وكانت عمليات الحركة الصهيونية واسعة وعامة : فقد طالبوا بتبرئة اليهود تماماً من صلب السيد المسيح، ورفع اللعنة عنهم في الصلوات ، وعدم تسميتهم بالشعب قاتل الرب ، على اساس ان استمرار هذا الوضع هو سبب من اسباب اضطهاد اليهود والكراهية لهم .

ويقول الاستاذ انيس منصور[٢] ان هذه الوثيقة استغرقت سنتين في صياغتها، وان البابا يوحنا الثالث والعشرين قد وافق عليها قبل وفاته، كما اشترك في اعدادها عدد كبير من الكرادلة . ويقول الاستاذ منصور انه عندما عرض على المجمع المسكوني في دورته الثانية التي عقدت عام ١٩٦٣ ، الباب الخاص بعمومية الكنيسة وافق عليه الاعضاء باغلبية ٣٢٣١ صوتاً مقابل ٤٣ صوتاً عارضته ، ولم يكن في الفصل هذا اية اشارة الى تبرئة اليهود . ثم فوجيء الاعضاء في ٨ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ بوثيقة توزع عليهم بامضاء الكاردينال بيا ، رئيس سكرتارية المجمع المسكوني ، ومعها اقتراح بضمها الى الباب الخاص بعمومية الكنيسة — وكانت هذه الوثيقة هي الخاصة بتبرئة اليهود من صلب السيد المسيح .

كان النص الاصلي الذي عرضه الكاردينال بيا على المجمع يبرىء اليهود جميعاً من جريمة « قتل الرب » ويلقي بالمسؤولية على البشرية جمعاء : « فالكنيسة كانت ولا تزال تعتقد ان المسيح قد مر بعذابه وقتله بحرية بسبب ذنوب جميع البشر ونتيجة لحب لا حد له » . وقد اضيف هذا النص الى مشروع القرار الخاص بوحدة الكنيسة .

وفي ١٨ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ طرح مشروع القرار على المجلس . وقد تضمن هذا المشروع عدة فصول من بينها الفصل الرابع (وكان خاصاً باليهود) الفصل الخامس (وكان خاصاً بالحرية الدينية) . وعند النظرة الاولى يستغرب المرء وجود الفصل الرابع الخاص باليهود في مشروع خاص بوحدة الكنيسة .

(٢) مجلة آخر ساعة عدد ١٥٧٠ الصادر في ٢٥ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٤ .

فاليهود ليسوا طائفة مسيحية ، ومن المجافـاة للمنطق ان يبحث موضوعهم في هذا المقام .

وقد اعترفت بهذا كله سكرتارية المجمع التي كان يرأسهـا الكاردينال الالماني بيا . واعترفت بان بحث المشكلة اليهودية غير وارد ، من حيث المنطق ، عند بحث وحدة الكنيسة . ولكن السكرتارية صرحت بانها مصممة على بحث هذا الموضوع وعلى ان يدخل الفصل الخاص باليهود في ميدان النقاش [٣] .

وهذا الاتجاه من جانب السكرتارية يكشف عن الايدي الخفية والظاهرة التي تلعب وراء الكواليس . فلماذا لم يعرض هذا الموضوع للبحث بعد ان ينهي المجمع بحث الشؤون المتعلقة بالكنيسة ذاتها ؟

وسكرتارية المجمع على اتصال وثيق بقداسة البابا ، ولا يصح ، في موضوع بهذه الخطورة ، ان نفترض ان هذا الفصل قد وضع في المشروع دون علم سابق من قداسة البابا .

قلنا ان نقاش المشروع قد بدأ في ١٨ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ . وكان امام المجمع ان يناقش ثلاثة فصول قبل ان يصل الى الفصل الخاص باليهود. وكان من عادة السكرتارية ان تقدم تقريرها للمجمع عن كل فصل من الفصول قبـل بحث ذلك الفصل مباشرة . غير ان هذا العرف لم تراعه سكرتارية المجمع فـيما يتعلق بالفصلين الرابـع والخامس . ففي ١٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٣ ، اي في اليوم التالي لبدء المناقشات ، وما زال امام المجمع ثلاثة فصول يجب بحثهـا والبت فيها قبل الانتقال الى الفصل الرابـع الخاص باليهود ، قدم الكاردينال بيا بنفسه التقرير الخاص بالفصل الرابـع . والكاردينال بيا هو رئيس سكرتارية العمل على توحيد الكنيسة .

وقال الكاردينال بيا في تقديمه للفصل الرابـع ان فكرة معالجة وضع اليهود

(٣) Thaw at the Vatican, the Second Session of the Vatican Council, بقلم Bernard Wall و Barbara Wall ، ص ١١٨ .

في المجمع كانت من بين افكار البابا يوحنا الثالث والعشرين . وقال ان وضع هذا الفصل في الباب الخاص بمسكونية الكنيسة قد تم بموافقة لجنة التنسيق . ومضى الكاردينال بيا الى القول باننا لكي نفهم ما يتعرض له هذا الفصل يحسن ان ندرك ما لا يتعرض له . فالفصل لا شأن له بالسياسة ، كاعتراف الفاتيكان بدولة اسرائيل او حتى باعداد الرأي لتقبل هذا الحدث . فالفصل ديني محض . وقال ان المشكلة اليهودية لها جذورها في الكتاب المقدس . فالمسيح قد جاء ، من حيث الجسد، من الشعب اليهودي، وكذلك فان اسس الكنيسة كانت في الشعب اليهودي . وقال ، الواقع هو ان الكنيسة ، نوعاً ما ، هي استمرار لاسرائيل ، هي اسرائيل الجديدة. واستغرب بيا لماذا لم تراع المواعظ والكتب الكاثوليكية هذه الحقيقة .

ومضى الكاردينال بيا الى القول : لعل بالامكان ، بالرغم من كل هذا ، الاعتراض بان السيد المسيح قد ادانه الشعب اليهودي والزعماء اليهود، وان المسيح كان قاسياً عليهم . هذا صحيح ، ولكن المسيح قد طلب ايضاً الغفران لهم ؛ وقد استجيب لصلواته ولم يطرد الشعب اليهودي .

وقال الكاردينال بيا : ان الغرض من هذا النص ، هو جعل هذه الحقائق الواردة في الكتاب المقدس تنزل الى اعماق روح المسيحيين وتتحكم في تصرفاتهم العملية .

وتساءل الكاردينال بيا ، لماذا يثار هذا الموضوع الآن ؟

وأجاب على تساؤله بقوله ان السبب في ذلك هو تطور اللاسامية في الاجيال الماضية ، وخصوصاً في المانيا، في ظل الاشتراكية القومية ، التي ارتكبت جرائم لا انسانية وابادت ملايين منهم بسبب الكره لليهود . والدعاية المعادية لليهود قد تسترت في احيان كثيرة وراء نصوص في الكتاب المقدس واحداث في تاريخ الكنيسة . وهذا يجعل من واجب المجمع ، وهو يسعى لتجديد الكنيسة ، ان يبحث في هذه الامور ، ليس لأن اللاسامية ، وعلى الاخص النوع النازي منها ، تعتمد في جذورها على نصوص صريحة في الكتاب المقدس ، ولكن لأن بعض

الافكار وبعض الاحقاد يمكن ارجاعها الى مثل هذه الدعاية .

وتساءل الكاردينال بيا : كيف يمكن اليوم اتهام اليهود بقتل الرب ؟ وحتى في ذلك الوقت فان اغلبية الشعب لم تعرف شيئاً عما كان يحدث . وقد رفض احد اعضاء السانهدرين ، يوسف الاريماتي ، الموافقة على القبض على المسيح ، كما ان القادة كانوا مترددين في الاشتراك في هذا الفعل . ولذلك فان من المستحيل اتهام اليهود بقتل الرب .

ومضى الكاردينال بيا الى القول : ولهذا ، ومع ان اللاسامية ليست لها بالضرورة جذور في الدين ، ومع انه توجد لها اسباب سياسية ونفسانية ، فان على الكنيسة المسيحية ان تعلن حبها لليهود ، وحبها للقديس بولس ، الذي ذهب الى حد الرغبة في الانفصال عن المسيح لانقاذهم .

وقال الكاردينال بيا انه اوضح للقادة العرب روح هذا النص واهميته [٤] .

واذن فان وثيقة التبرئة لم تأت نتيجة لاكتشافات علمية جديدة تلقي اضواء على الكتاب المقدس فيما يتعلق بحادثة صلب السيد المسيح . وانما جاءت لاسباب لا علاقة لها بالدين ابداً .

وتنوعت اعتراضات الكرادلة على هذا الفصل . فبعضهم اعترض على ادراجه في الباب الخاص بمسكونية الكنيسة على اساس ان هذا الباب يتحدث عن المسيحية والمسيحيين لا عن غيرهم من اتباع الديانات الاخرى . فقال الكاردينال طبوني ، متحدثاً باسم بطريركية انطاكية :

لقد كان مصدر استغراب ان يكرس فصل خاص باليهود ، فموضوع اليهود يجب الا يبحث في هذا المكان ابداً ، نظراً لان المجمع المسكوني قد اجتمع لبحث الامور الكاثوليكية بصورة اساسية وامور **المسيحيين** الآخرين بصورة ثانوية . وقال ان السكرتارية المسؤولة عن المشروع كانت مهمتها تقوية الوحدة **المسيحية** ، ومع الاعتراف بالدوافع التي اوحت بالنص ، الا ان النص سيؤدي

(٤) المصدر السابق ص ١٢٣ وما بعدها .

الى الفوضى نظراً للوضع السياسي في الوقت الحاضر .

وقال الكاردينال روفيني ، من باليرمو ، ان النص يجب ان يؤكد الروابط الوثيقة التي تقوم بين الكنيسة والمنشقين عنها من المسيحيين . واذا اريد بحث اليهود فلماذا لا تبحث الديانات الاخرى التي لا يظهر اتباعها من العداء للكنيسة ما يظهره اليهود ؟

واعترض البطريرك استيفانوس الاول ، بطريرك الكنيسة القبطية بالاسكندرية ، على الاشارة الى اليهود في هذا الباب الخاص بوحدة الكنيسة . وعلى اي حال فان البيانات الواردة في هذا الفصل زائدة ولا داعي لها نظراً لأن الكنيسة قد أدانت قولاً وعملاً ، اضطهاد اي شعب من الشعوب . هذا فضلاً عن الآثار السياسية السيئة التي سيتركها هذا الفصل .

اما البطريرك مكسموس الخامس ، بطريرك انطاكية والاسكندرية والقدس ، فقد اعترض ايضاً على الاشارة لليهود . وقال ان هذا البحث لا علاقة له بوحدة المسيحية كما ان وجود هذا الفصل يسيء الى الاخوان المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية المقيمين في الشرق . واذا اريد بحث اليهود ، فلماذا لا يبحث المسلمون ايضاً ؟

وقال المطران كوتنهو الهندي ان المشروع غير مقبول نظراً لاشارته لليهود . ومهما اتخذت من احتياطات فان النص سيفسر على انه نص سياسي . وقال ان هذا سيسبب الاضطراب في البلاد العربية والاسيوية حيث توجد ديانات قديمة جداً لم يشر اليها المشروع . وطالب اما بحذف الفصل الرابع واما باضافة فصول عن الديانة الهندية والديانة الاسلامية .

والامر الجدير بالملاحظة ، ان الاعتراضات كانت في معظمها شكلية لا موضوعية . فالآباء على ما يبدو لم يستطيعوا ان يتكلموا بصراحة عن تاريخ العلاقات اليهودية المسيحية على مر الاجيال ، ولم تكن لديهم الجرأة على القول بان اليهود هم الذين بادروا الكنيسة بالعداء واستمروا في معاداة الكنيسة وعدم الاعتراف بالسيد

المسيح . كما انهم تهاونوا في تقدير الاسباب الحقيقية لما لقيه اليهود من اضطهاد ، وان ايديهم هي التي كانت دائماً ، وما زالت ، تبذر البذور التي يجنون ثمارها فيما يلاقونه من الشعوب الاخرى .

ويلاحظ كذلك اصرار سكرتارية العمل للوحدة المسيحية على بحث هذا الموضوع مهما كان الامر . ورئيس السكرتارية كان الكاردينال بيا الالماني .

وكان قداسة البابا نفسه هو الذي قرر توسيع اختصاص هذه السكرتارية بحيث تمتد لتشمل ديانات اخرى غير المسيحية ، وكان من المعروف ان قداسته كان يفكر في اليهود بصورة خاصة (٥) .

وقد استقبل اليهود هذه الوثيقة استقبالاً حاراً . فقد صرح رئيس الجالية اليهودية في روما بان الفصل الرابع (الخاص باليهود) وثيقة لها اهميتها التاريخية في العلاقات بين الديانات وبين البشر . كما رحب الدكتور ناحوم جولدمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، « بهذا الحدث التاريخي الذي من شأنه ان يساعد في ازالة سوء التفاهم الذي ادى الى مقاساة اليهود لمدة الفي سنة » (٦) . وكأنما الكنيسة الكاثوليكية هي التي كانت مسؤولة عن هذه المقاساة طوال هذه المدة .

وانتهت الدورة الثانية للمجمع . وكان واضحاً ان هناك معارضة يعتد بها للنص الاصلي الذي تقدم به الكاردينال بيا ، بالرغم من ان هذه المعارضة تمثل اقلية داخل المجمع . ولعل من اهم اسباب القوة لهذه المعارضة هو انها جاءت تمثل منطقة كاملة مهمة هي البلاد العربية وآسيا .

واوفدت الهيئة العربية العليا لفلسطين وفدين لمقابلة قداسة البابا السابق . فاوفدت الرئيسين اللبنانيين السابقين الفرد نقاش واحمد الداعوق ، فقابلا قداسة البابا السابق يوحنا الثالث والعشرين في ٤ مارس (آذار) ١٩٦٣ واوفدت

---

(٥) المصدر السابق ص ٣٢ .
(٦) المصدر السابق ص ١١٨ .

كذلك السادة عيسى نخلة وحيدر كامل الحسيني والياس عيسى صهيون لمقابلة البابا الحالي بولس السادس وتمت المقابلة في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٦٤ .

واعدت الهيئة بهذه المناسبة مذكرة وضعتها دائرة الشؤون المسيحية فيها باللغات الثلاث ، الانجليزية والفرنسية والايطالية ، ووزعتها في حينها .

- ٢ -

وفيما بين الدورتين الثانية والثالثة اعيد النظر في صياغة وثيقة التبرئة . وكان اهم تعديل هو الغاء الجريمة بالنسبة الى اليهود المعاصرين فقط كما دعا التعديل اليهود الى الدخول في الكنيسة الكاثوليكية . وبعد ان عرف هذا التعديل حمل عليه اليهود . فهاجموا الدعوة للالتحاق بالكنيسة الكاثوليكية ، واعترضوا على ان النص لم يذكر صراحة ان مسؤولية الصلب لا تقع على اليهود وحدهم . ووعد الكاردينال ريتر ، كاردينال سانت لويس بامريكا ، عند وصوله الى روما في ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ بانه يعتقد ان المجلس « سيصدر بياناً عن اليهود يرضي اصدقاءنا اليهود » [٧] .

وبدأت حملة دولية لتأييد اعادة النص الاصلي . وتولى الحملة ١٧٠ عضواً من بين ٢٤٠ عضواً اميركياً من بين الاعضاء المشتركين في المجلس . واتحد هؤلاء بقيادة الكاردينال كشينج ، رئيس اساقفة بوستن (الولايات المتحدة الاميركية) بتاريخ ١٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ في حركة لتقوية البيان الخاص بالحرية الدينية وباليهود . وفي ٢٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ عرض النص المعدل وقدمه الكاردينال بيا بعبارات فسّرها المراقبون على انها دعوة لتقديم التعديلات .

وبالفعل فقد نشط الوفد الاميركي . وادخلت تعديلات اقرها المجلس ،

(٧) « Facts on File, 1964 » ص ٣١٩ .

فتضمن القرار : « ان جذور المسيحية هي في العهد القديم » . وان « ما حصل للمسيح في عذابه لا يمكن ان يعزى لجميع الشعب اليهودي الذين كانوا احيـــاء عندئذ ، ولا يمكن ان يعزى بطبيعة الحال لابناء اليوم . وفضلاً عن ذلك فان الكنيسة كانت ولا تزال تعتقد ان المسيح قد مر بعذابه وقتله بحريـة ، بسبب ذنوب جميع البشر ونتيجة لحب لا حد له » .

واقر المجلس بتاريخ ٢٠ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٤ هذا النص . وهذه الصيغة هي التي كانت مثار النقمة المجددة في الوطن العربي . امـا اليهود ، فقد رحب بعض قادتهم بالقرار ورفضه آخرون . فاعلن شادبولير ، رئيس مجلس المحافظين للمؤتمر اليهودي الاميركي ، انه يأمل ان لا يكون هذا البيان هو النهاية بل البداية لعملية تقضي على اللاسامية . واعلن اتحاد الطوائف الاميركية العبرية انه اعد برنامجاً « لترجمة الاتجاهات والرغبات المسيحية الحديثة حيال الاتصـال باليهود الى عمل » . وقال الحاخام ايسر أونترمان ، كبير حاخامي اسرائيل ، مرحّباً بقرار المجمع انه يأمل في ان الكنيسة الكاثوليكية « ستنظر بعـين العطف الى نمو دولة اسرائيل »[٨] .

والجدير بالذكر انه في ١٨ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٤ (اي والمناقشات محتدمة) نشرت وزارة الخارجية الاميركية والحكومة البريطانية وثائق نازية قبض عليها ، وفيها ادعاءات بان البابا بيوس الثاني عشر كان يعطف على المحور اثناء الحرب . وجاء في تلك الوثائق ان البابا كان ضد الشيوعية ولكنه تجنب التصريح علناً وقطعياً بوقوفه ضد الشيوعية وذلك لكي لا يضطر لاتخاذ موقف ايضاً ضد النزعات المعادية للمسيحية في المانيا . وقيل « ان صمت البابا هو اقوى برهان على انه كان يتجنب اي شيء من شأنه ان يؤذي المانيا »[٩] .

ترى هل كانت مصادفة ان نشرت هذه الوثائق في هذا الوقت بالذات ؟

واشتغلت الاحصائيات ايضاً ، فاصدرت جمعية بناي بريث (وهي جمعيـة

(٨) المصدر السابق ص ٤١٠ – ٤١١ .
(٩) المصدر السابق ص ٦٩ : .

اميركية صهيونية) دراسة عن الحياة الدينية في امريكا قالت فيها ان ٦١٪ من الكاثوليك ذكروا ان اليهود هم المسؤولون اكثر من غيرهم عن صلب المسيح (١٠) . وقد نشرت هذه الدراسة بتاريخ ٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ .

وقبل هذا ، وفي ٢ مايو (ايار) ١٩٦٤ نشرت جامعة سانت لويس ، وهي مؤسسة جزويتية اميركية ، واللجنة اليهودية الاميركية ، دراسة للنصوص الكاثوليكية استغرقت ثلاث سنوات . وقد كتبت هذه الدراسة الراهبة روز البرث ثيرنج **بالتعاون مع اللجنة اليهودية الاميركية** . وقالت الدراسة ان النصوص الكاثوليكية تحتوي على صور سلبية ومشوهة لليهود والبروتستانت ولغير ذلك من الاديان الاخرى غير الكاثوليكية . وحثت الدراسة المؤلفين ان «يوضحوا المعنى الحقيقي للصلب» . وقالت : «لقد تعذب اليسوع ومات من اجل ذنوب الجميع ولخلاص الجميع . وان الموقف الوحيد الملائم على قدمي الصليب هو الحزن على ذنوب الانسان ، وعندئذ فانه لا حاجة لاتهام الآخرين» . واوصت الدراسة بان يعرض «الاستمرار بين العهدين القديم والجديد» ليتضح «المسيح وهو بين شعبه اليهودي مع مريم ، العذراء اليهودية ، على انه «الاسرائيلي» الحقيقي الذي لم يأت لينقض الناموس ولكن ليكمله» (١١) .

واذن فقد نشطت جميع الاجهزة للحصول على قرار يرضي اليهود : تفسير للنصوص الكاثوليكية ، احصاء عن التفكير الكاثوليكي ، وادانة لقداسة البابا بالوثائق والمستندات .

وفي هذه الدورة الثالثة حاول الاعضاء الاميركيون في المجلس استصدار قرار نهائي ، اذ تقدموا بعريضة جعلوا اكثر من نصف اعضاء المجلس يوافق عليها ، يطالبون فيها بالتصويت النهائي على الباب بكامله بحيث يقفل فيه النقاش . غير ان قداسة البابا رفض العريضة وقرر ان يجري التصويت النهــائي في الدورة الرابعة والاخيرة (١٢) .

---

(١٠) المصدر السابق ص ٣١٩ .
(١١) المصدر السابق ص ٢٨٨ .
(١٢) المصدر السابق ص ٤١٠ - ٤١١ .

- ٣ -

وما ان ذاع نبأ قرار المجمع في البلاد العربية حتى قامت القيـــامة ، على المستويين الشعبي والرسمي.وكان لا بد لهذا من ان يحدث اثره . وفيما بين الدورتين الثالثة والرابعة للمجمع ، وبعد الضجة التي قامت في الوطن العربي [١٣] ، كان لا بد لقداسة البابا من ان يعمل على تهدئة الخواطر وتوضيح الموقف بحيث لا تسوء العلاقات بين الفاتيكان والدول العربية ، وبين الفاتيكان والمسيحيين في الوطن العربي . وفي هذا الوقت بالذات اتجهت اقلام عربية لدراسة العلاقة بين اليهودية والمسيحية . وصدرت كتب من بينها « خطر اليهودية العالميـــة على الاسلام والمسيحية » لعبدالله التل و « الصهيونية في الستينــات – الفاتيكان واليهود » لمحمود نعناعة . كما ان الاستاذ انيس الفاخوري اسهم بعدد من المقالات والبحوث في الصحف اللبنانية سلط فيها الاضواء على نصوص العهد القديم .

وقد رأى الكثيرون ان الوثيقة قد انتهى امرها وصارت سارية ونافذة ولا رجوع فيهـا . فسكرتارية المجمع يسيطر عليها الكاردينال الالماني بيا ، وعليه يسيطر اليهود ، وهو مصرّ على الوثيقة . والمجمع اتخـــذ قراره وسجل الآباء

(١٣) يراجع فصل الموقف من القرار منهذا الكتاب، وقد اسهم المؤلف في هذا الموضوع بثلاث مقالات تحليلية نشرتها مجلة (فلسطين) الملحق الاسبوعي لجريدة المحرر البيروتية في اعدادها رقم ٧ و٨ و٩ وتراجع مقالات الاستاذ الفاخوري في ملحق جريدة النهار البيروتية الاعداد الصادرة بتاريخ ٢٢ و٢٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٤ و ٦ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٤ . وذكرت جريدة الحياة في عددها الصادر في ٦٤/١/١٠ ان من اخبار روما ان دراسة للاديب اللبناني نصرت توفيق خريش قد نشرت هناك يناقش فيها وثيقة تبرئة اليهود وان هذه الدراسة قد لاقت استحسان الجامعيين العرب في جامعة اوربانو التابعة للفاتيكان انسجاماً مع موقف البطاركة والمطارنة الشرقيين فتولوا ترجمتها الى اللغة الايطالية والفرنسية والانكليزية وقاموا بتحليلها وتوزيعها في نداءات داخل الجامعة وخارجها ، وتقوم الدراسة على ان الناموس اليهودي هو أصل الخلاف مع المسيحية ، وهذا الناموس باق .

مواقفهم ، وليس لنا في المجمع من الانصار عدد يكفي للتأثير تأثيراً جوهرياً في مجرى الاحداث . وقداسة البابا نفسه راغب في اصدار وثيقة ما ، وهو على اي حال يتعذر عليه جداً ، في الظروف التي تمر بها الكنيسة ، ان يلغي او يرفض الموافقة على القرار او يعدل فيه .

هذا كله جعل الكثيرين ، من العرب وغيرهم ، يعتقدون بان الوثيقة قد انتهى امرها وصارت سارية ونافذة ولا رجوع عنها . غير انه بدأت تتسرب الاخبار عن محاولات جادة من جانب قداسة البابا لاعادة النظر في الوثيقة. وقال المراسلون ان السبب المباشر لهذا هو موقف الحكومات والشعوب والكنائس العربية من الوثيقة . فالكنائس العربية ، على اختلافها ، اعلنت شجبها للوثيقة . والكنيسة الكاثوليكية في البلاد العربية وقفت موقف الدفاع عن نفسها مخففة قدر ما تستطيع من وقع الوثيقة. الا ان رعايا الكنيسة الكاثوليكية من العرب كان لهم موقف محدد وصريح. انهم يعتبرون الوثيقة خروجاً صريحاً على الكتاب المقدس. وانها لم تكن وثيقة دينية بقدر ما كانت سياسية ، وانه ليس من شأن المجمع المسكوني ان يتدخل في السياسة ، وانما من شأنه فقط ان يفسر ويدعم العقيدة الكاثوليكية .

فالحكومات العربية كان موقفها صريحاً وحازماً وموحداً . فقداسة البابا عندما توقف في مطار بيروت وهو في طريقه الى الهند وجد في استقباله الرئيس اللبناني ومندوباً عن الحكومة السورية . وتقول جريدة الاوبزرفر البريطانية في عددها الصادر في ٢ مايو (أيار) ١٩٦٥ ان الرئيس شارل الحلو ضغط على البابا ليتدخل في الموضوع بنفسه ، كما انه قدم للبابا احتجاجاً باسم الرئيس اللبناني والرئيس جمال عبد الناصر ورئيس وزراء العراق . واعرب الرئيس اللبناني عن رأي العرب من انهم يعتبرون الوثيقة لصالح اسرائيل وان العرب يخشون ان يؤدي ذلك الى اعتراف الفاتيكان باسرائيل. وفضلاً عن ذلك فقد ذكر الرئيس اللبناني ان الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الاوسط ستصاب بهزة عنيفة ، وان المسيحيين العرب سينفصلون عنها .

وقد حاول قداسة البابا ، دون جدوى، اقناع العرب بانه لا ينوي الاعتراف باسرائيل. وقد اكد هذا القول وزير خارجية الفاتيكان، الكاردينال شيكونياني، كتابة الى الحكومات العربية . الا ان الحكومات العربية ردت على ذلك بان البيان سيفسر على اي حال على انه لصالح اسرائيل .

ووصل الى القاهرة في شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٥ الكاردينال كونيج ، كبير مطارنة فيّينا . وكان الغرض الرسمي من زيارته هو القاء محاضرات في القاهرة. غير ان هذا الكاردينال كثيراً ما يستفيد البابا من خدماته لمواجهة الازمات. واثناء المحادثات التي اجراها الكاردينال كوينج ، تأكد ان العرب مصممون على وجوب الغاء اي بيان قد يكون في صالح اليهود . وقد مرت هذه الزيارة دون ان تلفت الانظار ، الا ان الفاتيكان نجح في هذه الفترة في ان يحمل الحكومات العربية والكنائس العربية على ملازمة الصمت ، في الوقت الذي كان فيه قداسة البابا يحاول ان يجد مخرجاً من الازمة . وفضلاً عن ذلك فقد اصدر الفاتيكان تعليمات مشددة لاسدال ستار من الصمت على البيان الخاص باليهود والبيان الخاص بالحرية الدينية [١٤] .

ومع ذلك فقد تسربت الانباء من الفاتيكان عن تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من اربعة اشخاص مهمتها اعادة النظر في الوثيقة التي اقرها المجمع ومراجعتها . ورئيس اللجنة الرباعية هذه رجل محافظ جداً ، هو المطران كارلي ، مطران سيني . وصدرت التوجيهات للجنة بان تلتزم النصوص الواردة في الاناجيل والرواية المسجلة فيها فيما يتعلق بصلب السيد المسيح .

ويرى المحافظون ان نصوص الاناجيل صريحة في ان قادة اليهود هم الذين نظموا اضطهاد السيد المسيح ، كما يرون بان الحواريين قد اعلنوا صراحة بان الشعب اليهودي كان مسؤولاً عن صلب السيد المسيح . وبناء على هذا فانه يجب ان يحذف من الوثيقة كل ما من شأنه ان يبرىء اليهود من جريمة قتل الرب .

---

(١٤) ولعل هذا هو السبب الذي جعل الكاردينال بيا لا يرد على رسالة المؤلف التي طلب فيها بيانات رسمية عن الوثيقة ومن محاضر الجلسات . فقد كتبت اليه ولم يصلني منه رد .

وتقول جريدة «الاوبزرفر» الانجليزية (التي استندنا عليها في هذه المعلومات) ان اللجنة انقسمت على نفسها . وان الاغلبيـة كانت ضد الوثيقة في الموضوعين الحساسين الواردين فيهـا : في موضوع مسؤولية اليهود عن قتل الرب ، وفي موضوع امل المسيحية في ان يتحول اليهود الى مسيحيين . ولم يقف مع الوثيقة بصيغتها الاصلية سوى الكاردينال كولومبو . امـا الثلاثة الآخرون فقد كانوا ضدها . وقالت الاغلبية ان الشعب اليهودي قاوم الدعوة المسيحية وان مقاومته هذه ادت الى صلب السيد المسيح على ايدي قادتهم .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الوثيقة في الصيغة التي اصدرها المجمع المسكوني لم تشر اطلاقاً الى مسؤولية الشعب اليهودي، او مسؤولية قادته ، لا عن اضطهاد السيد المسيح وتعذيبه ولا عن صلبه . وانما تركت هذه المسؤولية غير محددة ، مما يترك الباب واسعاً للنظريات والفرضيات .

وفي الوقت الذي كانت فيه اللجنة الرباعية تنظر في الموضوع نشر المطران كارلي ، رئيس اللجنة ، مقالاً في مجلة دينية اسبوعية قال فيه : « اعتقد انه من المشروع ان نؤكد ان جميع افراد الشعب اليهودي ايام السيد المسيح كانوا مسؤولين بصورة عامة عن جريمة قتل الرب – كل واحد اشترك في الفعل – مع ان القادة فقط ومعهم أحد الحواريين قد نفذوا الجريمة . وحتى اليهودية في الفترة اللاحقة لقتل الرب قد اشتركت موضوعياً في المسؤولية عن جريمة قتل الرب حيث ان هذه اليهودية تمثل استمراراً حراً لذلك الماضي » . ومضى المطران الى القول : ولهذه الاسباب يمكن ان يقال عن اليهود بانهم ينالون عذاب الله وانهم ملعونون.

وفي اوائل مارس (آذار) ١٩٦٥ القى البابا موعظة في كنيسة سانتا ماريا بروما قال فيها : « انها صفحة خطيرة ومحزنة . انها تصف في الواقع، الاصطدام بين المسيح والشعب اليهودي . فذلك الشعب الذي كان مقدراً له ان يستقبل المسيح في الوقت المناسب، عندما جاء المسيح وتكلم وعرض نفسه ، ذلك الشعب لم يكتف بانه لم يعترف به ، بل حاربه واهانه وآذاه وفي النهاية قتله » .

وقد آلمت هذه الاشارة الى « الشعب اليهودي » اليهود واحتجت الجالية

اليهودية في ايطاليا . وسرعان ما اخمدت السلطات النيران مؤكدة ان ما وقع لم يكن سوى زلة لسان وان ما قيل قيل عرضاً .

الى هذا الحد وصل الامر . حتى قداسة البابا صار يخشى ان يشير الى ما ورد في الكتاب المقدس عن قصة صلب السيد المسيح . فاليهود يرحبون بان يقال ان المسيح قد ولد فيهم بالجسد ، وان أمه من بينهم ، وان الحواريين كانوا منهم ، وان الكنيسة مدينة لهم بذلك كله ، وبالتراث الذي استمر فيها . كل هـذا مرحب به . اما ان يقول انسان انهم صلبوا السيد المسيح وطالبوا بذلك واصروا عليه ، فهذا كفر لا يصح ان يقال .

فالدين والتاريخ وكل شيء يجب ان يزوّر ليرضي اليهود . وقد يأتي الوقت الذي سيطالبون فيه المسلمين بتزوير القرآن ايضـاً لتحذف الآيات التي صبت اللعنة عليهم .

ومن اوجه النشاط التي قام بها اليهود فيما بين الدورتين الثالثة والرابعة انهم اخذوا يخوضون في اعماق الاعمال الدينية للباباوات ليستخرجوا منهـا تأييداً للتبرئة . وكان اخبث ما قاموا به نشر كتابات لبعض الباباوات تؤيد التبرئة ، وكتابات لبعضهم الآخر تعارضها . وارادوا من نشر هذه الكتابات المتعارضة ان يدخلوا موضوعهم حتى خلال نقاش عصمة البابوية المدرجـة على بساط البحث (١٥) .

ماذا بقي في العقيدة الكاثوليكية لم تشكك فيه الحركة الصهيونية المعاصرة؟ أليس هذا اسلوباً جديداً للتمهيد لنقض كيان الكنيسة الكاثوليكية ؟ لقد خاضـوا فيما كان لا يجوز الخوض فيه ، ولو قيل فيهم ما قالوا عن الكنيسة الكاثوليكية والعقيدة الكاثوليكية لاقاموا الدنيا واقعدوها ووزعوا الاتهامات وطالبوا بالمحاكمات .

---

(١٥) مجلة الاسبوع العربي العدد ٣٣٠ الصادر بتاريخ ٤ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

وفي تلك الفترة مـا بين دورتي المجمع وبتاريخ ٣١ مارس (آذار) ١٩٦٥ نشرت في روما ، بموافقة قداسة البابا، تعديلات جديدة للصلوات الكاثوليكية ايام الجمعة العظيمة . وقد جاءت هذه التعديلات تنفيذاً لروح وثيقة التبرئة التي أقرها المجمع في دورته الثالثة . فغيرت عناوين عدد من الصلوات . فالصلاة التي كان عنوانها « صلاة لتنصير اليهود » اصبح عنوانها « صلاة لليهود » وحذفت من الصلوات عبارة المذنبين أو المخطئين عند اشارتها لغير المسيحيين [١٦] ، وكلمتا « الظلمة » و « العمى » اللتان ترمزان لحال اليهود .

وفيما بين الدورتين كذلك أصدر قداسة البابا قراره بتعيين عدد جديد من الكرادلة . وكان من بين الذين عينوا ثلاثة من الكرادلة العرب استرضـاء للكاثوليك العرب من جهة وتقديراً للكرادلة الذين عينوا من جهة أخرى .

— ٤ —

ثم جاءت الدورة الرابعة والاخيرة . فأعلنت الديار المقدسة تحذيرها للمجلس المسكوني وهو في دور انعقاده . فدقت أجراس الحزن العميق في الكنائس الكاثوليكية والارثوذوكسية في القدس وبيت لحم ورام الله في الساعة العاشرة من صباح يوم ١٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ ولمدة عشر دقائق . وجاء في الانباء

(١٦) كان نص الصلاة القديم (مترجماً من الانكليزية) كما يلي : « فلنصلِّ ايضاً لليهود. ليسحب الله ربنا الغشاء عن قلوبهم ، ليعترفوا هم ايضاً بربنا يسوع المسيح ، يا ربنا القدير الخالد الذي لا يبعد عن ذاكرته حق اليهود ، استمع لصلواتنا التي نقدمها لعمى ذلك الشعب، حتى اذا اعترفوا بنور صدقك الذي هو يسوع يمكن انقاذهم من ظلمتهم » . وأصبح النص الجديد « يا ربنا تنازل واجعل وجهك يشرق عليهم ليتمكنوا حتى هم من معرفة مخلص الجميع ، سيدنا يسوع المسيح . يا ربنا القدير الخالد الذي اعطى وعوده لشعب ابراهيم الذي أحبه الرب ، استمع ، برعاية ، لدعاء كنيستك ليتمكن ذلك الشعب الذي كان يوماً ما شعبك المختار من ان ينال الرحمة الكاملة في الخلاص » .

أن كنيسة اللاتين لم تشارك الكنائس الاخرى في دق الاجراس . وذكر كذلك أن بعض الشخصيات المسيحية المنتمية الى هذه الكنيسة تعتزم الانتماء الى الكنيسة الشرقية حال اقرار الوثيقة [١٧] وكان من المقرر أن يبدأ المجلس مناقشة الوثيقة في ذلك اليوم .

وكذلك فان السيد روحي الخطيب ، رئيس بلدية القدس ، أرسل برقية الى الفاتيكان باسم المجلس البلدي الذي يضم ممثلين عن الطوائف المختلفة ناشد فيها المجلس المسكوني أن يعيد النظر في الوثيقة وأن يأخذ بعين الاعتبار مدى التأييد الذي ستحصل عليه اسرائيل فيما لو أُقرت . وقد تلقى السيد الخطيب رداً على برقيته من الكاردينال شيكونياني ، وزير خارجية الفاتيكان ، قال فيه : « أود ان اطمئنكم بأن طلبكم سيلقى الاعتبار الجدير به » [١٨] .

وبالمثل فان مجلس بلدية بيت لحم أرسل برقية ناشد فيها عدم اقرار الوثيقة لتنافيها مع نصوص الانجيل المقدس ولأنها ستكون سلاحاً فتاكاً في أيدي الصهاينة ضد الأمة العربية والقضية الفلسطينية [١٩] .

وفي حلب قامت مظاهرات كبيرة احتجاجاً على الوثيقة ، بمناسبة افتتاح الدورة الرابعة للمجلس المسكوني . وقد حمل المتظاهرون لافتات كتبت عليها عبارات تشير الى أن المسيحية لا تبرىء اليهود من صلب السيد المسيح ، وأنه على قداسة البابا ألا يخيب آمال الشعب العربي . وأبرق المتظاهرون الى البطاركة الشرقيين في المجمع يدعونهم الى مواصلة الجهود للحيلولة دون اقرار الوثيقة [٢٠] .

وأرسلت منظمة التحرير الفلسطينية وفداً برئاسة انطون سليم كنعان لمقابلة قداسة البابا والاتصال بأعضاء المجمع لشرح الموضوع من وجهة النظر الفلسطينية . وقال البابا لأعضاء الوفد بعد اجتماعه بهم : « طمنوا شعبكم بأن مصالحه لن تمس ،

(١٧) جريدة « الحياة » ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .
(١٨) « The Daily Star » ، ١٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .
(١٩) جريدة « الدفاع » ، ٢٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .
(٢٠) « L'Orient » و « The Daily Star » ، ١٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .

ويمكنكم أن تعلنوه باسمي ، ولن يستطيع اليهود استغلال أعمال المجمع . قولوا لشعبكم اني أحبه وأرجو له كل خير وبركة » . وقال الاب عياد ، عضو أعمال الوفد ، ان المطران فيلبراندنيس (أمين سر اللجنة التي أصدرت الوثيقة) قد أكد له أنه « ليست هناك وثيقة تبرىء اليهود ، وهذه التسمية انما هي من صنع واختراع اذاعة اسرائيل والصحافة اليهودية » [٢١] .

والامر الذي نرجوه هو أن تكون المنظمة قد بادرت الى تثبيت هذه المحادثات التي جرت مع البابا للحصول على وثائق مكتوبة في هذا الشأن بحيث يمكن ابرازها اذا اقتضت الحاجة في أي وقت من الاوقات .

وفي هذه الفترة كذلك أظهر السفراء العرب المعتمدون لدى دولة الفاتيكان نشاطاً كبيراً وقاموا بمساع حثيثة وسعي دائب لالغاء الوثيقة أو تعديلها [٢٢] .

وفي الوقت ذاته أرسلت الهيئة العربية العليا لفلسطين مذكرة ضافية الى قداسة البابا بحثت فيها الوثيقة بحثاً مستفيضاً .

واستكمالاً لمساعي الرئيس شارل حلو ، فقد جاء في الاخبار انه نقل اليه خلال مروره بباريس أن وثيقة تبرئة اليهود من صلب المسيح ، معرضة للتعديل في مجلس البابا الخاص وذلك قبل نشرها . وأن هذا التعديل قد نص على تبرئة البشرية ، من الصلب والأذى ، وقالت جريدة « الحياة » التي نقلت هذا الخبر أن الاوساط السياسية والكاثوليكية التابعة للشرق الاوسط والموجودة في المؤتمر المسكوني تعتبر أن في هذا التعديل ، وفي تأخير نشر الوثيقة حتى تعديلها ، كسباً سياسياً ومعنوياً لوجهة النظر العربية السياسية [٢٣] .

وواصلت الكنائس الشرقية ضغطها اثناء انعقاد دورة المجمع . فوجه غبطة البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان

---

(٢١) « الحياة » ، ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٢٢) المصدر السابق .
(٢٣) « الحياة » ، ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .

الارثوذكس ، برقية الى قداسة البابا يحتج فيها على مواصلة البحث في الوثيقة . وطلب من قداسته أن يلغي ذلك القرار الذي يتنافى مع المسيحية والذي هو اعتراف ضمني بالدين اليهودي الذي نسخه السيد المسيح . واعتبر القرار وصمة في جبين النصرانية (٢٤) .

والى جانب ايفاد الكاردينال كونيج الى القاهرة ، فقد أوفد الفاتيكان أمين السر العام للجنة المختصة ، المطران الهولندي فيلبيراندس ومساعده الأب البلجيكي ، ديبريه ، الى الشرق للاتصال بالبطاركة والأساقفة على اختلاف الطوائف واستيضاح رأيهم ومناقشة الموضوع معهم . وقد طاف الوفدان لبنان والاردن وسورية ومصر واجتمعا الى رؤساء الدين وقادة الرأي . ويبدو أنهما اقتنعا بوجوب تعديل الوثيقة ونزع كل نص منها يستطيع اليهود استغلاله لمآربهم السياسية (٢٥) .

وفي الوقت الذي نشطت فيه المساعي العربية ، على مختلف المستويات ، للحصول على الغاء القرار أو تعديله ، كانت الحركة الصهيونية تواصل ضغطها بكافة الوسائل لتقوية القرار . وقد تبين أنها استطاعت بطريقة ما أن تضع عدداً من الخبراء الذين هم من أصل يهودي داخل سكرتارية الجمع المختصة بدراسة القرار والاعتراضات عليه وصياغته . وقد أشار الى ذلك الاب عياد ، عضو وفد منظمة التحرير الفلسطينية . كما كان من بين المقربين الى الكاردينال بيا والمؤيدين له جورج حكيم بطريرك الجليل بالارض المحتلة (٢٦) . وقال الاب عياد أنه تبين لوفد المنظمة أن سفير اسرائيل في روما كان لذلك على اطلاع دائم بمجرى أسرار أمانة السر ، والى هذا أشار الاساقفة الشرقيون علناً حين صرحوا بأن هنالك

(٢٤) « الحياة » ، ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .

(٢٥) « فلسطين » ، ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

(٢٦) رسالة جورج هيرتس لجريدة «لوموند» الفرنسية، عدد٢ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ . واعتبر الكاتب تأييد جورج حكيم لبيا من بين شواهد تأييد العرب للقرار في صيغته الاولى . وقد اغفل ان يذكر ان الجليل هي من الارض المحتلة وان موقف جورج حكيم لذلك لا يصح اعتباره شاهداً على الموقف العربي من القرار .

أساساً جدياً للقول بوجود نفوذ يهودي قوي على آباء المجمع .

ومن بين هولاء اليهود المتنصرين من العاملين في السكرتارية ، أشخاص اشتركوا في وضع مشروع القرار ، دون أن تكون لهم صفة في ذلك . ومن بين هـؤلاء المونسينور اوستر راكيز والأب بلوم برونوهوسـار الدومينكي من القدس المحتلة [٢٧] .

هذه هي الطريقة الاولى التي حاولت بها اسرائيل أن تؤثر في مجرى الامور: ان لها من يمثلها داخل السكرتارية المختصة .

والطريقة الثانية هي أنها حشدت في روما عدداً من كبار الشخصيـات الصهيونية من ذوي النفوذ الواسع والاتصالات الكثيرة . فقد كان في روما المدير الاوربي لجمعية اليهود الاميركيين . وقد كانت هذه الجمعية تتابع خطوات القرار خطوة خطوة . وأضافت جريدة التايمز اللندنية، بالطريقة الانكليزية المعروفة، « وهذا تعبير مبسّط عن دور الجمعية في الوثيقة » [٢٨]. وكان في روما الدكتور جوزيف ل. ليخمن ، مدير دائرة العلاقات الثقافية في جمعية البناي بريث [٢٩] الصهيونية صاحبة النفوذ الضخم في أمريكا وفي اسرائيل . وأمثـال هذين كثيرون .

والى جانب ذلك سعت الصهيونية الى اقحام مجمع الكنائس البروتستانتية في جنيف ليطلب الى المجمع المسكوني ابقاء النص القديم دون تعديل [٣٠] .

وفي أثناء انعقاد المجمع، عقد في باريس مؤتمر دعا اليه الاتحاد اليهودي للمقاومة وبرئاسة أحد أعضائه . وكعادة اليهود ، فقد اشترك في الاجتماع ممثلون عن جميع الاتجاهات : فتحدث فيه رئيس جمعية روغورم ، والحاخـام اليهودي الاكبر ، وممثل عن مركز الدراسات والبحوث الماركسية ، وأستاذ من أساتذة

(٢٧) « الحياة » ، ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٢٨) « The London Times » ، ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٢٩) « New York Herald Tribune ». ، ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .
(٣٠) تقرير الاب عياد .

جامعة باريس . وقد طالب الاجتماع بوجوب تقوية نص القرار واعترضوا على ضعف بعض اجزائه [٣١] .

وفي هذه الاثناء ظهر كتاب يعرض نظرية جديدة لصلب المسيح . المؤلف يهودي اسمه هيوج. ج. شونفيلد ، واسم الكتاب « مؤامرة عيد الفصح » (The Passover Plot) . وفي هذا الكتاب عرض المؤلف نظرية ، يعترف أنها نظرية ليس الا ، مؤداها أن المسيح دبر عملية صلبه واختار لذلك وقتاً مناسباً وهو يوم الجمعة مساء ليدفن بسرعة (حيث أن اليهود لا يعملون مساء الجمعة) ؛ وانه تعاطى مخدراً مع الخل الذي شربه عندما كان مصلوباً، فاستطاع تحمل العذاب ؛ وانه لم يمت على الصليب ؛ وأن الكفن الذي وضع فية كان يحتوي على مواد طبية ضمدت جراحه ؛ وأن أعوانه نقلوه حياً من القبر في غفلة من أعين الحراس الى مكان مجهول حيث مات ميتة طبيعية [٣٢] .

وانتقد كبار رجال الدين في بريطانيا ذلك الكتاب [٣٣] ، ومع ذلك فقد أثار الكاتب الموضوع وظهرت له دعاية كبيرة . ومع الزمن ستصبح هذه النظرية جزءاً من تفكير الكثيرين. ويصبح المسيح نفسه هو الذي تآمر على صلب نفسه .

هذه أمثلة فقط لنواحي النشاط التي أظهرها الصهيونيون وأنصارهم والطرق التي اتبعوها للتأثير في صياغة القرار وفي اتجاه أعضاء المجمع .

ثم جاء اليوم الذي وزع فيه المشروع المعدل وكان ذلك في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .

وشرح الكاردينال بيا المشروع ودافع عنه . فقال انه ثارت مشاكل حول مشروع القرار وقد واجهت السكرتارية هذه المشاكل من ناحيتين :

الاولى أنها أجرت دراسة دقيقة للتعديلات المتعددة التي أرسلت الى

(٣١) « Le Monde » ، ١٠ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ .
(٣٢) « الاهرام » ٢٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٣٣) « Observer » ، ٧ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ .

السكرتارية. وقد تلقت السكرتارية تسعين تعديلاً كان ستة وثلاثون منها يتعلق باليهود . وقد قبلت السكرتارية اثني عشر اقتراحاً أدت الى تعديلات في النص . وقال ان معظم التعديلات التي وردت الىالسكرتارية صرحت بأن اليهوديعتبرون، وفقاً للانجيل، مخطئين، ويجب أن يعتبروا كذلك، وأن يلعنوا بسبب جريمة قتل الرب . وقال ان أحد الاساقفة استفسر عن معنى قول القديس بولس «ان غضب الله عليهم الى الابد اذا كان اليهود سيبرأون اليوم من الصلب ؟ » . وقال بيا ان ثمانية من المطارنة أخبروا السكرتارية « بأن الاشارة الى اليهود ، كشعب ، يجب حذفها لأنها غير محددة وتقوم على نظرية خطيرة يناقضها الانجيل (٣٤) .

أما الناحية الثانية ، فهي القيام بسلسلة من الرحلات للاتصال برجال الدين من كاثوليكيين وغيرهم في المناطق التي ظهرت فيها صعوبات متعددة بسبب القرار .

وكان الغرض منهذا كله تجنب اتباع تفسير للعقيدة يكون اقل دقة، وكذلك لتأكيد الصبغة الدينية الصرفة للقرار لمنع تفسيره سياسياً . ولذلك فقد قال الكاردينال بيا يجبعندما يتعرض البيان لشجب اضطهاد اليهود انيكون الدافع لهذا الشجب واضحاً كل الوضوح . ولذلك فقد عدل النص ليوضح ان الدافع ليس سياسياً . وقال انه يأمل ان يستبعد بهذه الطريقة كل تفسير سياسي للبيان، او على الأقل ان يظهر فساد هذا التفسير . وفيا يتعلق بحذف عبارة « جريمة قتل الرب » ، قال الكاردينال بيا انه يعلم ان الكثيرين يعيرون هذه العبارة اهمية سيكولوجية كبيرة ، ولكن حيث ان هذه الكلمة قد اسيء فهمها في مناطق متعددة ، وبالامكان التعبير عن نفس الفكرة بكلمات ادق ، فلماذا لا نستبعد هذه الكلمة ؟ وقال ان سكرتاريتنا رأت ان هذا التعديل مهم جداً ليفهم البيان نفسه في كل مكان على وجهه الصحيح ويكون مقبولاً بالرغم من الصعوبات المختلفة (٣٥) .

---

(٣٤) « The Manchester Guardian » ، ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٣٥) « The London Times » ، ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

وقد اجمعت وكالات الانباء والمراقبون على ان التعديلات التي ادخلت على مشروع القرار الذي اتخذ بصفة تمهيدية في الدورة الثالثة قد جاءت استجابة لمواقف رجال الدين العرب والحكومات العربية. ففيما يتعلق بصلب السيد المسيح ادخل التعديل بحيث يتغلب على الاعتراض الذي ارتفع في البلاد العربية بوجه خاص والقائل بأن المجمع قد تنكر لقصة الصلب الواردة في الاناجيل [٣٦] .

وذكرت الانباء كذلك ان كرادلة الشرق وبطاركته واساقفته اظهروا نشاطاً ملحوظاً اثناء الدورة . وتقول التقارير ان غبطة بطريرك القدس اللاتيني، المونسنيور البرتوغوري ، ابدى نشاطاً بارزاً ، فقد قدم تعديلات اساسية مهمة بواسطة مستشاره اللاهوتي الاب بيار مدابييل، الذي ناقش اعضاء اللجنة المختصة في هذه التعديلات نقاشاً اقنع اللجنة بالأخذ بأكثر نصوص هذه التعديلات [٣٧].

ووصف ممثلو المجموعات اليهودية المختلفة الموجودة في روما خطاب الكاردينال بيا عندما قدم البيان للمرة الاخيرة بأنه كان « محزناً » . اما الجهات المحايدة فقد احست بشيء من الحرج لأن نص عام ١٩٦٤ كان اكثر جزماً ، كما أحست بحرج خاص نتيجة الجهودات التي بذلت للاستجابة لطلبات المعارضين للبيان [٣٨] .

وما كان لأحد ان يحس بشيء من الحرج لو أن المشروع قد توخى منذ البداية الدقة من الناحية الدينية ، او لو أنه صدر في ظروف لا تتيح الفرصة لاحتمال تفسيره او استغلاله تفسيراً او استغلالاً سياسيين .

ومع ذلك ، وبالرغم من التعديلات التي ادخلت على مشروع القرار ، فقد وجد من بين اعضاء المجمع من يعترض حتى على النص المعدل . فقد اعترض عليه مندوبو الكنيسة القبطية ، واعترض عليه كذلك عدد من الاعضاء من الذين اصطلح على تسميتهم بالمحافظين . فهؤلاء طالبوا برفض البيان الخاص بالديانات غير المسيحية برمته رفضاً باتاً . وقيل في تفسير موقفهم هذا انهم كانوا يأملون من

---

(٣٦) « New York Herald Tribune » ، ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .
(٣٧) « فلسطين » ، ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٣٨) « Manchester Guardian » ، ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

وراء ذلك ان يحشدوا من الآراء قدراً يكفي للحيلولة دون الاعتقاد بأن القرار يحظى بالتأييد الاجماعي للمجمع ، وعلى الاخص فيما يتعلق بتبرئـــة اليهود من المسؤولية الجماعية عن صلب المسيح . وكانوا يسعون بهذا الى اقنــاع البابا بولس السادس بادخال تعديلات على القرار ، بناء على سلطته ومسؤوليته الخاصة ، بحيث تدرج في القرار العبارة المتعلقة بالمسؤولية الجماعية لليهود عن الصلب بصفـــة خاصة .

وعلى نقيض هؤلاء فقد كان الأعضاء المناصرون للقرار يأملون في ان يرد البابا النص الى صيغته الاصلية ، التي كانت اقوى من الصيغة المعدلة في مقاومتها للنزعات المضادة لليهود [٣٩] .

ومما تجدر ملاحظته انه قبل عملية التصويت على البيان وزعت على الآباء نشرات موقعة باسم واحد وثلاثين منظمة كاثوليكية ، تشجب القرار وترى فيه اهانة للكنيسة . وكانت المنظمات التي وقعت على هذه النشرات تشمل ثلاث منظمات اميركية وثلاث منظمات ايطالية وثلاث منظمات مكسيكية ومنظمتين اسبانيتين ومنظمتين من البرتغال ومنظمتين من شيلي ومنظمة من المانيا ومنظمة من النمسا ومنظمة من البرازيل ومنظمة من فنزويلا ومنظمة من الاردن وخمس منظمات من فرنسا [٤٠] .

وكذلك فقد تلقت سكرتارية المجمع تحذيراً من شخص مجهول بأن انفجاراً سيقع في كنيسة القديس بطرس . ولكن الانفجار لم يقع [٤١] .

وفي ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ جرى التصويت على البيان الخاص بالديانات غير المسيحية ، فاقر البيان في مجموعه بأغلبية ١٧٦٣ مقابل ٢٥٠ ، وقد جرى التصويت على القرار فقرة فقرة . وهذه هي النتائج الخاصة بالجزء المتعلق باليهود .

(٣٩) « The New York Times » ، اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٤٠) « Le Monde » ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٤١) « The New York Times » ، ١٧/١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

اقر المجمع بأغلبية ١٩٣٧ مقابل ١٥٣ المقدمة الخاصة بالديانة اليهودية ، التي صرحت بأنه يوجد وثاق روحي بين المسيحيين واليهود ودعت الى الحوار الأخوي فيما بينهم .

واقر المجمع الفقرة التي تنفي المسؤولية الجماعية لصلب المسيح عن اليهود ، بأغلبية ١٨٧٥ مقابل ١٨٨ .

واقر الفقرة التى تستنكر التمييز ضد الانسان بأغلبية ٢٠٦٤ مقابل ٥٣ .

واقر الفقرة الخاصة باللاسامية بأغلبية ١٩٠٥ مقابل ١٩٩ [٤٢] .

وتفسيراً للتصويت النهائي على القرار في مجموعه ، قال خبراء المجمع ان الاصوات التي ادليت ضد القرار لا تمثل ٢٥٠ اباً يناصرون اللاسامية . ذلك ان من بين الآباء الذين يقومون بأعمال التبشير آباء اقلقهم موقف التسامح الذي أبدته الكنيسة من الديانات الاخرى لأن ذلك يؤثر في اعمال التبشير . ومن بين المعارضين كذلك آباء صوتوا ضد البيان لأنه لم يكن بالقوة التي أرادوها له . ومن بينهم كذلك الآباء العرب الذين « خشوا أن يثير البيان انتقام الحكومات المسلمة ضد المسيحيين » [٤٣] (كذا) .

ولم يبق بعد ذلك الا ان يصدر البابا البيان . وفي جلسة رسمية عقدت في ٢٨ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ اصدر قداسة البابا البيان الذي سيأخذ طريقه الى التراث الكاثوليكي .

والآن ، بعد ان سرنا مع القرار في مراحله المتعددة ، ننتقل الى تحليل القرار ، ندرس نصوصه بعد ان درسنا تاريخه .

(٤٢) « New York Herald Tribune » ، ١٧/١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٤٣) « The New York Times » ، ١٧/١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

عَرضٌ وَتحليل

لقد لاحظنا على القرار التمهيدي أنه تحدث عن « الشعب اليهودي » في مجال لا يجوز فيه الحديث الا عن « الديانة اليهودية » . ولاحظنا انه تحدث عن الكنيسة على انها استمرار للشعب اليهودي على أنه الشعب المختار ، وانه اعترف بأن الوحي قد أوكل الى ذلك الشعب . ولاحظنا ان القرار التمهيدي تحدث عن المسيح بأنه ولد – من ناحية الجسد – في الشعب اليهودي ، وأن الكنيسة مدينة للشعب اليهودي بسبب ذلك . ولاحظنا ان القرار التمهيدي قد ذكر المسيحيين بأنهم قد تسلموا تراثهم من الشعب اليهودي . ولاحظنا أن القرار يدعو الى الحوار الأخوي مع اليهود ، وانه شجب اضطهادهم ، وكأنما هو الاصل ، وجعل اضطهاد الآخرين فرعاً . ولاحظنا ان القرار يعرب عن أمل الكنيسة في ان يتحد فيها الشعب اليهودي . ولاحظنا ان القرار تعمد التجهيل بمن ارتكب جريمة الصلب ، واقتصر على تبرئة أبناء هذا الجيل ، والأجيال الماضية من اليهود ، من هذه الجريمة .

هذه هي بعض الملاحظات التي أبديناها على القرار التمهيدي وذكرنا النتائج التي يمكن ان تترتب على كل منها [١] .

ثم جاء القرار النهائي فأدخل عدداً من التعديلات لمواجهة هذه الملاحظات

(١) لقد سبق لنا ان حللنا القرار التمهيدي في مقال نشرناه في مجلة فلسطين عدد ٧ ملحق المحرر رقم ٤٧٤٠ بتاريخ ١٩٦٥/١/٢٩ .

ومثيلاتها، وان كانت هذه التعديلات لا تؤثر في النتائج العامة للقرار التي تعرضنا اليها في فصل آخر .

وقد شملت هذه التعديلات ما يأتي :

١ – عدل عنوان الفصل فأصبح « الدين اليهودي » بدلاً من « اليهود ». ومع ذلك فان النص ظل يتحدث عن اليهود ، وعن الشعب اليهودي ، وعن الرباط بين الكنيسة واليهود ، دون أن يستعمل عبارة الدين اليهودي ولو مرة واحدة .

٢ – عندما تحدث القرار التمهيدي عن مسؤولية اليهود عن الصلب ، قال ان ما ارتكب في آلام المسيح لا يمكن مطلقاً أن يعزى الى جميع اليهود الذين عاصروا المسيح ، او الى الشعب اليهودي المعاصر . فضاعت بذلك المسؤولية وكأنما لم يشترك اليهود في جريمة الصلب . ثم جاء التعديل حائراً متعباً . فأشار الى أن زعماء اليهود وأتباعهم قد حرضوا على قتل المسيح ، وكأنما اقتصر دور هؤلاء على مجرد التحريض . وهكذا حتى هؤلاء لم يحاكموا المسيح ولم يحكموا عليه ولم يحملوه صليبه ولم يضعوه على الصليب . ولكن هذه الاشارة تمثل على الاقل أضعف الايمان . ومع ذلك فقد بقيت المسؤولية عن حادث الصلب ضائعة وغير محددة. من المسؤول ؟ ترى هل سيظهر امثال الكاتب اليهودي شونفيلد (صاحب كتاب « مؤامرة عيد الفصح ») ليجد لنظريته سنداً فيما قاله المجمع من أن المسيح قد مر بآلامه وموته طوعاً . تلك النظرية التي زعمت بأن المسيح قد تآمر على صلب نفسه ؟ وأضاف التعديل قائلاً : ومع ذلك فانه لا يمكن ان يعزى ما مر به المسيح الى اليهود المعاصرين له ، دون تمييز ، او الى يهود اليوم – وهذا هو بالذات ما اعترضت عليه الكنائس الشرقية .

٣ – اضيفت الى النص عبارة تقرر رفض غالبية اليهود للانجيل وللمسيح ومقاومتهم لانتشار دعوته .

٤ – حذفت من النص عبارة « يجب الا يقال عن اليهود أنهم قتلة الرب » .

٥ – أعرب المجمع عن « أسفه » للاسامية ، مشعراً بذلك ان أسباب

اللاسامية لا تنحصر في اختلاف العقيدة الدينية .

٦ – أعيدت صياغة الجملة الخاصة باستنكار الاضطهاد، فوضعت أولاً القاعدة العامة التي تستنكر الكنيسة بموجبها كل انواع الاضطهاد لأي انسان كان ، ثم وضع النص الخاص باليهود .

٧ – أوضح القرار بأن المجمع ، وهو يتخذ قراره باستنكار اضطهاد اليهود، انما تدفعه الى ذلك المحبة والتراث المشترك لا الأسباب السياسية – وذلك لكي لا يفسر موقف المجمع على أنه موقف سياسي .

٨ – أعلن القرار ان الكنيسة هي شعب الله الجديد. وقد فسر هذا التعديل على أنه يمنع اليهود من الادعاء بأن لهم حقاً خاصاً في الارض المقدسة . وقال الكاردينال الصايغ ان هذا النص يمنع على أي من الاطراف الادعاء بأن الارض المقدسة هي له وحده وانه اذا ما ادعى ذلك فانه يعتبر غاصباً .

هذه هي أهم التعديلات التي أدخلت على القرار التمهيدي ، وهي تعديلات لا يستهان بها وان كانت توجد مهمة شاقة في التفسير . وسنتعرض الآن للبيان بصورته النهائية لابداء بعض الملاحظات .

عندما تحدث القرار عن العلاقة بين الكنيسة واليهود أظهر هذه المرة حرصاً ودقة لم يظهرهما القرار التمهيدي . فقد حرص القرار النهائي ان يوضح ان هذه العلاقة روحية . القرار التمهيدي لم يحدد طبيعة هذه العلاقة ، مما ترك الباب مفتوحاً للتفسيرات . اما الآن فقد اقفل هذا الباب .

يقول القرار : « عندما يتمعن المجمع في أسرار الكنيسة فانه يذكر العلاقة التي تربط شعب العهد الجديد **روحياً** بسلالة ابراهيم » . وقد أضيفت كلمة « روحياً » في الدورة الأخيرة للمجمع .

وتفسيراً لذلك مضى القرار الى القول بأن كنيسة المسيح تعترف بأن أصل ايمانها واختيارها يوجد في البطريرك موسى وسائر الانبياء . ومعنى ذلك أن رسالة التوحيد التي حملها ابراهيم وموسى هي رسالة الكنيسة أيضاً . وهي كذلك رسالة

الاسلام حسب العقيدة الاسلامية ، التي ترى ، فضلاً عن ذلك ، أن المسيح قد جاء ليجدد رسالة التوحيد . وعلى هذا الأساس ، وكما جاء في القرار ، فان المؤمنين بالمسيح هم ، من حيث العقيدة ، أبناء ابراهيم .

ومع أن القرار لم يشر الى أن اليهود قد انحرفوا عن دين ابراهيم الحنيف عندما ميزوا أنفسهم عن بقية الجنس البشري ولأنهم لم يبشروا بدين الله ، وانما قسموا البشرية الى يهود وأميين الأمر الذي اقتضى ظهور من يصحح هذه الأوضاع ، الا ان القرار تضمن هذا المعنى عندما صرح بأن المسيح قد وحد في ذاته بين اليهود والأميين ، وبهذا أصبحوا في ذاته شعباً واحداً . وعلى هذه الأساس فان اليهودية تكون قد انتهت بظهور المسيحية . وهذا هو ما يعبر عنه عادة بمسكونيــة الكنيسة أي بعالميتها .

وتعترف الكنيسة بأنها ، عن طريق الشعب المختار ، قد تلقت الوحي في العهد القديم ، بمجيء المسيح الذي يرد الدين الى سابق صفائه . وأن خلاص الكنيسة ، أي خلاص التوحيد ، قد رمز اليه بخروج الشعب المختار من أرض العبودية .

بهذه الطريقة عبّر القرار عن العلاقة الروحية بين الكنيسة واليهودية . غير أن ذلك لم يحدد خواص هذه العلاقة ، ما الذي أخذته المسيحية من اليهودية ؟ ان الرد على هذا السؤال قد ترك للدراسات اللاهوتية والحوار الاخوي بين المسيحيين واليهود . ويجدر بنا بهذه المناسبة ، أن نشير الى أن عقيدة ابراهيم لم تنم وتترعرع في أجواء يهودية ، وانما نمت وترعرعت في فلسطين وتفاعلت مع الديانات التي كانت قائمة في فلسطين قبل هجرة ابراهيم اليها بعد أن فر من وثنية قومه الكلدانيين في أور .

وانتقل القرار بعد ذلك للحديث عن العلاقة بين المسيحية واليهود بعد أن تحدث عن الناحية الروحية . فابتدأ بتذكير المسيحيين بأن الرسول بولس قد أوصى بأبناء جنسه اليهود ، وبأن المسيح قـد ولد — من ناحية الجسد — في الشعب اليهودي ، وأن الرسل وأعمدة الكنيسة والتلاميذ الأوائل الذين بشروا

بالمسيحية كانوا من اليهود .

هذه وقائع لا ضير من الاشارة اليها تمهيداً لمناشدة المسيحيين عدم اضطهاد اليهود . ولكن الذي يخشى منه هو أن يمنّ اليهود على الكنيسة بسبب ذلك أو أن يرتبوا منه ديناً في ذمة الكنيسة يجب اقتضاؤه. فالاسلوب الصهيوني لا يتورع عن هذا المنطق ولذلك يجب أن يوضع هذا الامر في موضعه السليم .

من البديهي انه لا فضل لأي شعب من الشعوب فيمن يولد فيه . فاليهود لا فضل لهم في أن المسيح ولد فيهم من ناحية الجسد . فهم لم يقرروا هذه الواقعة المادية ولم يختاروا وقوعها . فالاختيار هو اختيار الله ، ولا يجوز أن يعزى للمرء فضل فيما لم يكن له يد فيه . وكذلك فان الكنيسة مدينــة للمسيح برسالته ، والشعب اليهودي لم يكن له يد في تلك الرسالة سوى عدم الايمان بها ومقاومتها ومنع انتشارها . لقد كان لهم الخيار كل الخيار ، في أن يؤمنوا بتلك الرسالة أو يرفضوها ، فاختاروا رفضها . ولذلك فان موقف تلك الرسالة منهم يجب ان يحدد في ضوء موقفهم هم من تلك الرسالة ، أي في ضوء ما كان لهم الخيار فيه ، لا ما كان خارجاً عن قدرتهم أو ارادتهم كحدث الولادة . والعرب لا يطالبون المسلمين بأن يدينوا لهم بشيء لأن محمداً ولد عربياً ولأن الذين حملوا الرسالة الى ارجاء المعمورة كانوا عرباً .

اننا لا نمجد شعباً من الشعوب لأن شخصاً ما ، مهما علت مكانته ، قد ولد في ذلك الشعب. وانما نمجده بقدر ما أحاط ذلك الوليد من الرعاية والعناية والحماية والايمان وتحمل الاعباء من أجل رسالته . وبهذا المقياس فان اليهود يكونون أبعد ما يكون عن التمجيد فيما يتعلق بالمسيح والمسيحية .

هذه ملاحظة لا يقصد من ورائها اثارة احقاد دينية حرص البيان على اطفائها، ولكن قصد منها وضع الامور في نصابها منعاً لاستغلال هذه العلاقة (التي أشار اليها المجمع) استغلالاً يناهض طبيعة هذه العلاقة .

بعد هذا يلفت البيان النظر — في تعديل ادخل في القرار النهائي — الى العلاقة

بين المسيحية كرسالة ، واستقبال اليهود لها . فيقرر ان القدس ، اي اليهود ، لم تتعرف على المسيح عند مجيئه ، وان غالبية اليهود لم يقبلوا الانجيل ، وانهم قد عارضوا في نشر تعاليمه .

ومع انهم وقفوا من المسيح والانجيل هذا الموقف ، الا ان اليهود بقوا ، بسبب آبائهم ، اعزاء عند الله ، وسبب ذلك ان الله ليس في عطائه واختياره اي ندم . وهذه الاشارة في البيان تحمل في ثناياها ان الشعب اليهودي لا يزال في نظر الكنيسة هو الشعب المختار وانهم لا يستحقون اللوم ، على الأقل ، بسبب موقفهم من المسيح : وكأنما اعزاز الآباء هو سبب كاف في حد ذاته لاعزاز الاحفاد بعد قرون مهما كانت تصرفات هؤلاء الاحفاد . وفي هذا المقام جاء الاعزاز جماعياً ، اي منصرفاً الى الشعب اليهودي في مجموعه ، بينما المسؤولية عن صلب المسيح نفيت عنها الصفة الجماعية لأن القادة فقط هم الذين حرضوا على ارتكاب هذه الجريمة . وهكذا فقد ورث الابناء الاعزاز ولم يرثوا المسؤولية .

والامر الذي تجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة هو أن البيان قد قبل وتبنى ما جاء في **العهد القديم** لصالح اليهود ، من وصفهم بأنهم شعب الله المختار، وبأن الله اقام معهم عهداً وميثاقاً لا انفكاك منه ، دون ان يكشف عن اي تساؤل ، بينما ارهق النص الوارد في **الانجيل** فيما يتعلق بوقائع الصلب واخرجت منه تفسيرات جديدة لأول مرة في تاريخ الكنيسة . فاذا كان يهود اليوم او يهود ايام المسيح اعزاء بسبب آبائهم ، فلماذا لا يكونون مسؤولين بسبب الآباء ايضاً ؟

وتعرض القرار بعد ذلك، برفق، لمسألة اثارت الكثير من النقد في الأوساط اليهودية عندما عرضت في القرار التمهيدي . لقد تحدث القرار التمهيدي عن أمل المسيحية في تحول اليهود الى النصرانية ، تمشياً مع نظرية الكنيسة من ان اليهودية كان يجب ان تختفي بظهور المسيحية . وقد اثارت هذه الدعوة الموجهة لليهود انتقادهم المر ، ورفضوا ان يعتبروا انفسهم مرشحين ليصبحوا مسيحيين . وقد سبق ان اشرنا انه كان لدى الكاثوليك صلاة خاصة عنوانها « صلاة تنصير اليهود ، غير ان هذه الصلاة عدلت فيما بين الدورتين ، عدل عنوانها وعدلت

عباراتها . ومع ذلك فانها لا زالت تعبر عن هذا الامل المسيحي .

وفي القرار النهائي جاء النص على ان اليهود لا يزالون ينتظرون الإله الذي تجمع الشعوب على عبادته وخدمته . ولم يثر اليهود على هــذا النص ، أولاً لأنه ساوى بينهم وبين الشعوب الاخرى ، وثانياً لأنه يحتمـــل تفسيراً ينسجم مع التفكير اليهودي . فاليهود يستطيعون ان يفسروه على انــه تعبير عن واقعهم وفلسفتهم الدينية ، اذ انهم ، في رأي انفسهم ، لا يزالون يترقبون ظهور المسيح. ومن جهة ثانية فان الكنيسة تستطيـع ان تفسر هذا النص على ان اليهود ما زالوا ينتظرون الهداية لدين المسيح . وهذا التفسير ينسجم تماماً مع الصيغة المعــدلة للصلاة الخاصة باليهود ، والتي سبق ان ترجمنا كلماتها .

ولذلك رضي الآباء بهذا النص ورضي به اليهود لأن كلا منهما فسر النص بمــا يتفق ووجهة نظره بالرغم من صراحة القرار في أن الكنيسة تعتقد أن المسيح قد وفق في ذاته بين اليهود والأمميين . اي ان الكنيسة تعتبر ان اليهود والأمميين قد ذابوا في ذات المسيح ولذلك فلا يصح ان تبقى اليهودية بعد ظهور المسيحية .

وسعياً وراء هذا الأمل المسيحي فان المجمع أوصى وشجع على التعــارف والتقدير المتبادل بين اليهود والمسيحيين. وقرر أن هذا الشعور يتولد بوجه خاص من الدراسات الانجيلية واللاهوتية والحوارات الاخوية. وبهذا القرار فتح المجمع الابواب التي كانت موصدة تقريباً في الماضي امــام التعامل المباشر بين التفكير الديني المسيحي واليهودي . وسيترتب على هذا ان تبدأ الكنيســة الكاثوليكية نفسها في اجراء الدراسات ، الامر الذي قد يشجع الاجتهاد الفردي في تفسير النصوص والنظريات الدينيــة . وقد يؤدي هذا الى تطور في التفكير الديني الكاثوليكي كما حدث في التفكير الديني البروتستانتي .

وقد رحبت الدوائر اليهودية والكاثوليكية في الغرب على حــد سواء بهذه الدعوة للقاءات الفكرية .

بعد كل هذا التمهيد جاءت الفقرة الاساسية في القرار كلــه ، وهي الفقرة

الخاصة بمسؤولية اليهود عن صلب السيد المسيح .

لقد ثارت ثائرة من سموا بالمحافظين في المجمع المسكوني كما ثارت ثائرة العرب عندما قرر البيان التمهيدي عدم مسؤولية اليهود المعاصرين عن الصلب وشكك في مسؤولية اليهود الذين عاصروا المسيح عن عملية الصلب . ولمواجهة هذه الاعتراضات أدخل تعديل على القرار التمهيدي . وقد نص التعديل على أنه « مع ان ذوي السلطة عند اليهود واتباعهم قد حرضوا على موت المسيح ، فان ما ارتكب اثناء آلامه لا يمكن ان يعزى ، دون تمييز ، الى جميع اليهود الذين كانوا عائشين اذ ذاك ولا الى يهود أيامنا » .

وتفسيراً لهذا النص ، صرح الكاردينال بيا ان هذا هو التعبير الرقيق عما حدث . وهكذا فان القرار لم ينف مسؤولية السلطات اليهودية ، ولكنه نفى المسؤولية الجماعية للشعب اليهودي عما حدث . ومع ذلك فان هذا التفسير يعتبر نقضاً كاملاً للنظرية الكاثوليكية التي كانت سائدة حتى صدور هذا القرار . وكانت هذه النظرية تقول وفقاً لنص الانجيل بأن اليهود مسؤولون في جميع العصور عن واقعة الصلب . اما الآن فلا .

والامر الذي يلفت النظر ايضاً أن دور قادة اليهود قد انحصر حسب نص القرار في التحريض على قتل المسيح . وهذا ايضاً تفسير جديد للنصوص التي تشير قراءتها ، كما سبق وأوضحنا ، الى ان مسؤولية هؤلاء القادة كانت أوسع من مجرد التحريض . فالسلطات الدينية اليهودية ادانت المسيح بالتحريض ، وهي السلطة المختصة باتخاذ هذا القرار .

ولهذا فان المسؤولية عن الصلب ظلت غائمة وغير محددة . بل ان القرار تجنب تماماً الحديث عن الصلب .

ثم أدخل البيان بعد ذلك تعديلاً اساسياً على القرار التمهيدي ، فأعلن ان الكنيسة هي شعب الله الجديد .

وقد فسر الآباء العرب هذا التعديل بأن القصد منه هو ابطال الادعاء

الصهيوني بفلسطين ، القائم على ان اسرائيل هي اسرائيل الجديـدة الموعودة في الكتاب المقدس . وقد حاولت الصهيونيـة ان تكسب الاوساط المسيحية الى جانبها على أساس أن قيام اسرائيل هو تحقيق لوعد الله للشعب المختار . وعندما تقول الكنيسة أنها هي شعب الله الجديد فان ذلك يعني في نظرها أنها هي اسرائيل الجديدة الموعودة في الكتاب المقدس ، فلم يعد يصح بعد ذلك الاستنـــاد الى الادعاء القائم على العهد القديم .

هذه الزاوية من القرار تحتاج الى تأكيد مستمر .

ولكن يجب ان يفهم كذلك ان القرار قرار ديني لا دنيوي ؛ وأن الكنيسة لا تعني ، بطبيعة الحال ، أنها تسعى لتمارس اي نوع من انواع السيادة على الديار المقدسة ، او أنها تريد ان تتملك الديار المقدسة . وعلى اي حال فان القانون الذي وضع في الاردن في أعقاب القرار التمهيدي سيحول دون ازدياد رقعة مـا تتملكه اية جهة اجنبية من عقار في الارض المقدسة الخاضعة للعرب؛ ومن المؤكد ان اسرائيل ، وهي التي تضيق الخناق على النشاط الديني غير اليهودي ، لن تسمح للكنيسة الكاثوليكية بأن تزيد من ممتلكاتها في الارض المحتلة .

غير ان القول الذي نسب الى الكاردينال الصايغ يحتاج الى شيء من الايضاح. فنحن لا نتصور ان الكاردينال العربي ، اذا صح ما نسب اليه ، يعني أنه لا يحق للعرب ، ابناء فلسطين ، أن يدّعوا ان فلسطين لهم . والذي يغلب على الظن هو أن الكاردينال الصايغ قد عني بقوله أن الحرية الدينية يجب ان تكون متوفرة لاتباع الديانات السماوية الثلاث،وأنه لا يجوز لاتباع اية ديانة ان يحرموا اصحاب الديانات الاخرى من ممارسة عقيدتهم الدينية في حرية تامة. ولذلك فانه لا يجوز ان تقام في الديار المقدسة دولة دينية بحيث يكون لديانة هذه الدولة ، وبالتـالي لاتباعها ، حق السلطان المطلق او الأوحد في الديار المقدسة ، وتكون السياسة التي تسير عليها تلك الدولة حصر رعيتها في اتباع الديانة الرسمية بحيث لا يمكن ان يستوطن فيها الا اتباع تلك الديانة . بهذه الطريقة تصبح الديار المقدسة غصباً لديانة واحدة .

فاذا كان هذا هو التفسير لعبارة الكنيسة هي شعب الله الجديد، ونحن نعتقد ان هذا هو التفسير الصحيح ، نظراً لما رافق هذا التعديل من محاولات عربية ، فاننا نرحّب بهذا التعديل ونرى ان من الضروري ابرازه وتوضيحه والتركيز عليه ، وتوضيح طبيعة الكيان الاسرائيلي والقوانين الاسرائيلية ونظرتها الى اتباع الديانات الاخرى . ويجب تعميم هذا التفسير على الكنائس المسيحية المختلفة دون تأخير .

وبناء على هذا النص فان قيام اسرائيل ، نتيجة للسياسة التي سارت عليها ، يعتبر باطلاً في نظر المجمع المسكوني والفاتيكان .

ثم مضى البيان ليقرر أن كون الكنيسة هي شعب الله الجديد لا يستلزم تعيير اليهود او التشهير بهم على انهم ملعونون او مرذولون عند الله مستندين في ذلك الى الانجيل. فالمجمع اذن لا يرى في الانجيل ما يمكن الاستناد اليه في الغضب عليهم من الله لما ارتكبوه من آثام في حقه .

وبناء على ذلك فقد اوصى المجمع بالاحتراس من تلقين ما لا ينسجم مع حقيقة الانجيل وروح المسيح. وبهذا النص عدل المجمع قراره التمهيدي الذي كان يوصي بألا يلقن ان اليهود هم قتلة الرب . وقد غضب اليهود من هذا التعديل لأنه أبقى غموضاً في النص حول هذا الموضوع . وقد قال الكاردينال بيا بأن النص الجديد يتضمن ، بطريقة اخرى ، نفس المعاني التي تضمنها النص القديم ، وأن التعديل قد ادخل استجابة للاعتراضات التي ظهرت على ألفاظ النص القديم .

ثم جاء القرار بتعديل آخر يتعلق باستنكار الاضطهاد . لقد لاحظنا على القرار التمهيدي انه لم يتعرض على الوجه الصحيح للاضطهاد الذي يقع ببني الانسان ، وانه كان منصرفاً لاستنكار اضطهاد اليهود فقط ؛ ثم تذكّر في نهاية النص انه لا بد من استنكار الاضطهاد بصورة عامة ، فالحق نص بهذا المعنى في نهاية الفقرة . الا أن النص النهائي قد أصلح الاوضاع . فنص أولاً على استنكار الاضطهاد بوجه عام ، ثم اتبع القرار استنكاره العام هذا بالتعبير عن الأسف لاضطهاد اليهود واصطناع البغضاء نحوهم. ومنعاً لاساءة تفسير الدوافع التي دعت

المجمع للتعبير عن أسفه في هذا الشأن ، فقد برر المجمع قراره بأنه لم يتخـــذه مدفوعاً بأية دوافع سياسية وانما كان مدفوعاً فقط بالمحبة الدينيـــة للانجيل وبذكرى التراث المشترك مع اليهود .

ولنا على صياغة هذه الفقرة ملاحظات . فالواقع هو أن القرار كله كان يجب ان يصدر او يختتم بأنه لم يتخذ لأية أسباب سياسية ليكون هذا التعديل شاملاً للقرار برمته وليس منحصراً في موضوع الأسف عن الاضطهاد . ولو صيـغ بهذا الشكل لانتفى أي احتمال لتفسير البيان على انه بيان سياسي .

ومع ذلك فان هذا التعديل قد اضيف لاظهار الصبغة الدينية للقرار . ولا نختلف في شيء مع استنكار القرار لجميـع أنواع الاضطهاد مهما كان سببهـا وضد أي شعب توجه . فالأمة العربية ضد الاضطهـاد ، وضد اضطهاد اليهود وغير اليهود . ولعل التاريخ كله لم يشهد أمة كالأمة العربية في تسامحهـا وتجاوبها مع أماني الاقليات في المجتمع العربي .

والواقع أن نظرتنا الى هذا الموضوع يجب أن تستمر ايجابية ، وأن نناصر القرار من الناحية الانسانية . فاذا صح ما يدّعونه من ان التمييز الديني كان ، في النهاية ، وراء كل تميز، فان هذا التمييز قد شجب . ولكن القضاء على التمييز لا يمكن ان يتم من جانب واحد ، بل على الطرفين ان يسيرا في الطريق الواحد المؤدي الى الاندماج. واذن يجب ان يطالب اليهود بخطوات ايجابية نحو الاندماج. وهذا لا يمكن ان يتأتى مع وجود النظرية الصهيونية ومع وجود فلسفة اسرائيل التي تقـوم على التميز وعلى التمييز فقط .

ولذلك كان من الواجب أن يوجه القرار الدعوة لليهود ليندمجوا في الشعوب الاخرى ويعيشوا معها ويتخلصوا من نظريات التميز . ونحن نميل الى الاعتقاد بأن شجب القرار للاضطهاد يشمل التمييز العنصري . ولعل القرار تجنب عن عمد استعمال كلمة تمييز خوفاً من العواقب السياسية بالنسبة لأتباع الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا بوجه خاص . فلعل من بين من يمارسون التمييز العنصري في أمريـكا

جماعات من اتباع الكنيسة الكاثوليكية ، مع أن المحبة الانجيلية يجب أن تشجب التمييز العنصري .

وأخيراً فانه لا مجال للجدل في أن التعديلات التي أدخلت على القرار التمهيدي ، والأجواء التي رافقت هذه التعديلات ، تساعد كثيراً في تخفيف مجالات استغلال البيان سياسياً . ولا مجال للشك أيضاً في ان قداسة البابا قد بذل كل ما يستطيع بذله من جهد للتخفيف من وقع البيان في الأوساط الدينية والسياسية في البلاد العربية . حقاً لقد كان في مقدور البابا أن يلغي القرار برمته أو ان يمتنع عن اصداره ؛ ولكن هذا ، اذا كان ممكناً من الناحية النظرية ، فانه عسير جداً من الناحية العملية بعد هذه الأغلبية الساحقة التي أجازت البيان. فالخطر الذي كان يقلق قداسة البابا هو أن المجامع المسكونية السابقة قد أدى اختلاف الرأي فيها الى انشقاق في الكنيسة الكاثوليكية . وقد بذل قداسة البابا جهده لمنع وقوع انشقاق جديد بسبب اختلاف الرأي بين التقدميين والمحافظين. ويبدو أنه نجح في ذلك .

ولذلك فان من الواجب علينا أن ننظر الى البيان نظرة ايجابية ، تحول دون استغلاله ، وتساعد على وضعه في موضعه الصحيح كجزء من التفكير الديني الكاثوليكي .

المَوقف مِن القـرَار

مُقـــدِّمَة

لم يثر القرار التمهيدي الذي اتخذه المجمع المسكوني في دورته الثالثة في اي جزء من العالم من النقمة والانتقاد قدر ما اثاره في الوطن العربي. ولم يكن مرجع هذه النقمـة ان العرب يكرهون اليهود او يرغبون في ان يحتقروا او تساء معاملتهم او يظلمهم الناس . الامر ليس كذلك . وانمـا مرجع النقمة هو ان هذا الشعب الذي كرس المجمع المسكوني جهده ووقته ليعمل على رفع الظلم عنه او الاساءة اليـه ، ليس هو الشعب المظلوم بل هو الشعب الظالم ، هو الشعب الذي ارتكب جرائمه وظلمه لا ضد افراد معدودين وانمـا ضـد الشعب الفلسطيني بأكمله . فاذا كان هـذا الشعب جديراً بان يرفع عنـه ظلم مزعوم ، فان من الاولى ان يطالب برفع الظلم الحقيقي الذي اوقعه ، وان يرد الحقوق الى اصحابها ليثبت جدارته بحسن المعاملة وبعدم ايقاع الظلم به . امـا ان يبرأ من جرائم ارتكبها وقررهـا التاريخ واصبحت جزءاً من العقيدة الدينية ، ويدعى الناس الى الاحسان اليـه ويداه ملطختان بالدماء العربية البريئة واقواته هي الاموال التي اغتصبهـا من الشعب الفلسطيني والبيوت التي يسكنهـا هي بيوت اغتصبها وطرد اهلهـا منها — هذا الشعب الذي هذا هو تاريخه المعاصر — كيف يصح لمجمع كالمجمع المسكوني ان يسدل الستـار على جرائمـه ولا يناشده كما ناشد الشعوب الاخرى بان يرفع الظلم الذي أنزله بعرب فلسطين ؟

فليس من ينكر ان الذين ذبحوا الاطفـال والنساء والشيوخ في دير ياسين

وقبية وقلقيلية هم من الشعب اليهودي، وليس من ينكر ان الذين اغتصبوا الارض العربية واستباحوا الحرمات هم من الشعب اليهودي .

وقداسة البابا يعرف الظلم الذي وقع بالعرب مسلمين ومسيحيين، وقد شاهده بعينه في زيارتــه الاخيرة للديار المقدسة مباشرة قبل ان يتخذ المجمع المسكوني قراره التمهيدي. ولا شك في انه قد وصلت الى قداسة البابا انباء معاملة اسرائيل للمسيحيين العرب وللكنائس المسيحية في اسرائيل ، وعلم بالكنائس التي دمرت والراهبات والرهبان الذين شردوا من اديرتهم. ويعرف المجمع المسكوني كذلك ان الديانة اليهودية والشعب اليهودي لا يعترفان بالسيد المسيح ولا بالكنيسة .

تجاهل المجمع المسكوني هذا كله ، تجاهل هذه الحقائق التي تكون جزءاً من الحياة اليومية للشعب العربي . والشعب العربي لا يستطيع ان يتجاهل هذه الحقائق ، لذلــك قــام العرب جميعــاً يستنكرون القرار وعلى جميع المستويات الدينية والسياسية والشعبية .

اما الموقف الصهيوني فيتلخص في ان الحركة الصهيونية كانت تطمع في تبرئة كاملة لليهود من صلب المسيح ، وفي القــاء المسؤولية امــا على الرومــان او على الجنس البشري كافة على اساس نظرية الخلاص . ولم تحصل على ذلك كله، ولكن الذى حصلت عليــه فيه الكفاية كبداية مهمة ، وفيه ما يدعوها الى الارتياح والانشراح ، ولذلك فان الاوساط الصهيونية رحبت جميعها بالقرار وان كانت ترغب في قرار اقوى .

اما الدوائر المسيحية الغربية فكلها رحبت بالقرار على لسان كنائسهــا وعلى لسان كتابها . وسنستعرض الآن هذه المواقف بشيء من التفصيل .

الموقف الديني

يلاحظ المرء في البرقيات والبيانات والمقالات التي كتبها المسيحيون العرب تعليقاً على القرار التمهيدي الذي اتخذ في الدورة الثالثة ، نوعاً من الاجماع على انهم يعتبرون الوثيقة مخالفة صريحة للانجيل . وقد كان هذا هو موقف اتباع الكنيسة الكاثوليكية واتباع الكنيسة الارثوذكسية الشرقية على حد سواء . ونقتطف فيما يلي بعض الآراء التي عبر عنها المسيحيون العرب في هذا الشأن .

ويجدر بنا ان نلاحظ منذ البداية ان رأي الطوائف المسيحية الشرقية هو ان لعنة اليهود ابدية وانه لا محل للتفرقة بين اجيال اليهود المتعاقبة ، على اساس ان دم المسيح على اليهود المعاصرين للصلب وعلى اولادهم من بعدهم .

انهالت البرقيات من كل جهة على قداسة البابا. ومن الامثلة على هذه البرقيات برقية السادة نجيب حداد وفرحات الخوري من طائفة اللاتين في جنين، بالاردن. قالت البرقية :

« قرار المجمع المسكوني بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح يخالف تعاليم الانجيل وحكمة الصلب لخلاص البشر من الخطيئة ، وينفي وحدة الكنيسة . ونلتمس قداستكم عدم تصديق هذا القرار واعلان بطلانه ».

وأصدر الشباب الكاثوليكي العربي في القدس البيان التالي [١] الذي ننشره في صلب الكتاب لانه تعبير عن الرأي الكاثوليكي العربي . يقول البيان : —

« اتبع بعض رجال الدين الغربيين حالياً خطة جديدة تهدف الى تفسير ما جاء في قرار المجمع المسكوني من وجهة نظرهم او كما املاها عليهم اسيادهم في روما ، وذلك باقتحام المدارس والقاء المحاضرات حول صحة موضوع التبرئة وجعل الشباب يؤمنون بواقع الامر ، وقد

(١) جريدة «المنار» الاردنية ، ٢٦ / ١١ / ١٩٦٤ .

اتخذوا اساليب عديدة نود ان نوضح البعض منها .

« يقول احدهم : الذين قتلوا السيد المسيح ليسوا يهود اليوم وانما قاتلو المسيح هم اجداد أولئك اليهود وقد رأى المجمع المسكوني ان يبرىء الابناء من جريمة الاباء والاجداد .

« ونحن في مفهومنا ان الانجيل هو المرجع الديني الوحيد للمسيحية ويذكر بوضوح ان اليهود عامة مسؤولون عن دم السيد المسيح كما وان الكتاب المقدس يذكر بان الله يطلب ذنوب الآباء من الابناء فقد قال الله تعالى « انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابناء» (سفر الخروج ٢٠ : ١٥) . فمن انت ؟ ومن انا ؟ ومن هم ليقروا التبرئة ؟

« واما قول المسيح الذي يتشبثون به لدعم هذه الوثيقة ، « أبت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يفعلون » ، فقد كان الطلب واضحاً وموجهاً الى الله جل جلاله وليس لسلطة دينية ما ، فلو اراد السيد المسيح لكان قد وجه ذلك الى القديس بطرس نفسه ولبقية التلاميذ،او حتى كان بامكانه ان يذكر وهو على خشبة الصليب : « سامحوهم على مر الاجيال » مثلاً . فمن هو الأحق يا ترى بمسامحة اليهود، انتم المخلوقات ام هو الهكم العظيم؟ ام ذلك المجمع المسكوني الذي كما يقال « لقد تأبط شراً »، والذي يضم الاكثرية من اصحاب الافكار السياسية المناصرة للصهيونية والاستعمار بوجه عام ؟ فنحن عامة الشعب المسيحي العربي نقول لهم ان الله قد توعد اولئك الذين تسول لهم انفسهم جعل الانجيل العوبة مسخرة بين ايديهم لاتمام هدف ما ..... فليذكر اولئك ان الكتاب المقدس اختتم بهذه العبارة«ان كان احد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وان كان احد يحذف من اقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحيوة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب » .

« ثم ان هذا التحريف من المجمع المسكوني ، الذي يقصد به رفع تلك الوصمة الابدية عن اليهود،مدعاة للتساؤل : هل هو نتيجة دراسات لاهوتية فلسفية تتعلق بجوهر الدين او ناتج عن مؤتمرات سياسية غايتها خدمة الصهيونية ؟»

« فاذا كانت دراسات لاهوتية فانها مصيبة ، اذ انها تزعزع العقيدة الدينية للمسيحيين الكاثوليك من الأساس »

« وان كان من نواح سياسية فالمصيبة اعظم ، حيث انه من شأن تلك الوثيقة ان تطلق باع الصهيونية في مختلف الاقطار بعد ان يكونوا قد شعروا بزوال تلك الوصمة التاريخية عنهم » .

وفي بيت لحم اجتمعت في ٢٤ / ١١ / ١٩٦٤ نخبة من وجهاء ورجال وشيوخ وشباب وهيئات وجمعيات طائفة اللاتين في بيت لحم وتباحثت في امر قرار المجمع المسكوني وارسلت اثر ذلك البرقية التالية [٢] :

« قداسة البابا بولس السادس الكلي القداسة الفاتيكان — روما

الطائفة اللاتينية في مدينة المسيح ، مجتمعة اليوم برجالاتها شيوخاً وشباباً وهيئات وجمعيات ، تستنكر بشعور دافق وحماسة عميقة قرار المجمع المسكوني المعلن على العالم بتبرئة اليهود من جريمة دم السيد المسيح، باعتبار ان هذا القرار خروج صارخ ومخالفة واضحة لحقيقة الانجيل المقدس الذي تعلمناه وسيرتنا عليه الكنيسة المقدسة عبر الاجيال والقرون . وان هذا القرار بحكم المفهوم العام توطئة لاعتراف الفاتيكان باسرائيل المعتدية على مقدساتنا واملاكنا وباعتبار انه طعن جارح لوحدة الطوائف المسيحية التي سعيتم قداستكم لها في حجكم المبارك للاراضي التي تمثلت عليها مراحل صلب المسيح . وتعلن هذه الطائفة مقاطعتها

(٢) «المنار» ٢٢ / ١١ / ١٩٦٤

للكنيسة الكاثوليكية وانصرافها في النهاية الى اتخاذ ما تراه موافقاً لقيامها وموقعها في هذا الجزء المقدس من العالم راجية قداستكم بما عرف عن حكمتكم الاصلية وتقوا كم الصحيح عدم اقرار هذا القرار حفظاً لاسس الدين المسيحي وعدم تعريضها لبحوث امثال بحث الكاردينال بيا الذي زلزل به الكيان المسيحي في الشرق والغرب » .

طائفة اللاتين « بيت لحم »

وجاء التأييد من كل جانب لموقف البطاركة العرب في المجمع المسكوني ضد الوثيقة . ومن الامثلة على هذا التأييد برقية رؤساء الطوائف الكاثوليكية في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور التي بعثوا بها الى رئيس الوزراء الاردني ووزير الداخلية . تقول البرقية :

« رؤساء الطوائف المسيحية الكاثوليكية في منطقة بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور يؤيدون موقف رؤسائهم في المجمع من كرادلة وبطاركة ومطارنة في معارضة الوثيقة المتعلقة باليهود ، وتنبيهاً للرأي الديني في الغرب يقترحون على حكومتكم الرشيدة منع جميع الاساقفة الذين صوتوا مع القضية من الدخول الى الاراضي المقدسة [3] » .

رؤساء الطوائف الكاثوليكية
في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور

وعلى هذا النحو سار ابناء طائفة الروم الكاثوليك في القدس . فقد عقدوا اجتماعاً قرروا خلاله ارسال برقيتين لقداسة البابا وبطريرك الطائفة واصدروا بياناً ننشره بكامله لانه تعبير عن الرأي الكاثوليكي العربي ، يقول البيان : —

« ان العدد الكبير من الاساقفة الغربيين انقادوا الى غير صوت الضمير الانساني ليرفعوا عن اليهود وصمة ، ونسوا ان الكنائس الشرقية

(٣) المصدر السابق

والكثير من اتباعها الكاثوليك العرب يعيشون في محيط تملؤه خيام اللاجئين والمشردين ضحايا الاضطهاد اليهودي وظلمه الصارخ . ولما كان القرار لم يتخذ الصبغة النهائية بعد وكانت الاصوات المضادة له كثيرة وكلها من البطاركة والمطارنة العرب كان لا بد من عرضه على قداسة البابا للموافقة عليه او رفضه .

« ولذا فنحن نرسل نداء الى الحبر الاعظم لكي يوقف هذا القرار ويجمده وان لا يخضع لتأثيرات تتجاهل كياننا وكيان الكنائس الشرقية التي نزل عليها هذا القرار نزول الصاعقة . فان هو فعل كسب مسيحي الشرق وسارت الكنيسة نحو الوحدة والاتحاد . وان هو لم يفعل فان ما نخشاه هو حدوث تصدع يعود بالويل على كنيسة الله في الشرق والشقاق بين ابنائها وفي مهد المسيح نفسه وحيث تقوم الجلجلة التي نصب اليهود عليها الصليب [٤] » .

وقد طير ابناء الطائفة برقية الى قداسة الحبر الاعظم البابا بولس السادس وبرقية اخرى الى غبطة البطريك مكسيموس الصايغ بطريك الروم الكاثوليك الذي بذل جهوداً جبارة لاقصاء هذا الموضوع عن بساط النقاش . وهذا هو نص البرقيتين :

« قداسة الحبر الاعظم البابا بولس السادس — روما

قرار المجمع المسكوني بتبرئة اليهود من تهمة صلب السيد المسيح قد اثار فينا الدهشة والاستنكار لان قول ابائهم « دمه علينا وعلى ابنائنا » لا يزال مسجلاً في الانجيل ، وبلادنا تحوي الجلجلة حيث يقيم الوف من اللاجئين الذين شردوا عن ديارهم والذين يتعذبون من ظلم اليهود انفسهم ابناء الذين صلبوا السيد المسيح . فنلتمس من قداستكم ان تحولوا دون نشوب شر اكبر بين مسيحي هذا المشرق وان توقفوا هذا القرار بعدم

(٤) المصدر السابق

اعطائه موافقتكم وعدم اصداره نهائيــاً . وان غبطـة بطريكنا مكسيموس عندما حارب هذا القرار وطلب عدم بحثه كان يتكلم باسم مسيحي هذا المشرق كله[٥] » .

وارسل المجتمعون البرقية التالية :

« غبطة البطريك مكسيموس الرابع الصايغ — دمشق

مواقفكم المشرفة ضد القرار بتبرئة اليهود شجعتنا ورفعت رأسنا . فنطلب منكم بالحاح ان تتابعوا جهودكم لكي يتجمد هـذا القرار ويلغى نهائياً حفاظـاً على سلامتنا ووحدة صفوفنا وسلامة كنائس الله المقدسة التواقة الى الوحدة المسيحية[٦] » .

وبعث السادة عوني ابو جـودة ومنصور يواكيم ومـاجد حدادين وكريم ساحورية ووجيه ساحورية بالبرقية التالية الى القاصد الرسولي :

« سيادة القاصد الرسولي — القدس

« ان جريمـة اليهود في صلب السيد المسيح اخف من جريمة تشويه الكتاب المقدس . هل يحق بعد الآن لبيا ورفاقه ، الذين انكروا صلب المسيح ، الوقوف امـام صليبه لتقديم الذبيحة الآلهيـة ؟ نحتج بشدة ونطالب بالغاء قرار التبرئة السخيف[٧] » .

ووقف الشباب العربي الكاثوليكي بالقدس رقيباً ، فيما يتعلق بالقرار ، حتى على الاصوات التي تصدر في اسرائيل . فقد ردوا على المطران حكيم المقيم في اسرائيل والذي كان عليه ان يدرك مدى استهتار اسرائيل بالمقدسات وهو يرى ذلك يقع تحت عينيه ويمس ابناء طائفتة . قال هؤلاء الشباب في بيانهم[٨] :

---

(٥) المصدر السابق
(٦) المصدر السابق
(٧) المصدر السابق
(٨) المصدر السابق

« واخيراً ، طلع علينـا من وراء مذياع اذاعـة المغتصبين ، اذاعة اسرائيل ، احـد رجال الدين « العرب » وهو المطران جورج حكيم .

« طلع علينـا وهو فخور معتز يمجـد الخطوات الجائرة التي اتخذها المجمع المسكوني بتبرئة اليهود ، ويدعو العرب للتفاهم ومد يـد الصداقة الى الذين اغتصبوا ديارهم واحتلوا وطنهم . اننا نتساءل هل يمكن لمثل هذا الرجل ان تجري في عروقه دماء عربية ؟ واذا صح انه عربي ، فكيف يبيع وطنه وحقوق امته ، كما باع يهوذا الاسخريوطي «اليهودي» السيد المسيح ؟ اننا نحن الكاثوليك العرب نرفض ان يمثلنا رجـل كهذا انتهازي يتاجر بالدين ويناصر الباطل على الحق . ونحب ان نؤكد له ان الكاثوليكي العربي انسان حر ، وهو يفهم دينه وعقيدته جيداً ، ولن يرضى بالانحراف عن اقوال السيد المسيح في الانجيـل حتى ولو تكالبت جميع قوى الاستعمار تحت ستـار الدين لتحرف الانجيل وتغير فيـه وتبدل .

« اننا نحن الشباب العربي الكاثوليكي في الاردن نناشد حكومة جلالة الملك المعظم ان تعود فتمنع مثل هـذا الخائن لوطنه وامتـه من دخول البلاد . ولا بد ان ننوه هنا ان الحكومة كانت قـد منعته من دخول الاردن فترة طويلة حين اكتشفت موقفه المعادي للقومية العربية ولاماني الامة العربية » .

هذه بعض الامثلة على موقف ابناء الطائفة الكاثوليكية في الديار المقدسة من قرار المجمع المسكوني . امـا الطائفة الارثوذكسية فقد كان موقفها ايضاً مماثلاً لموقف الطائفة الكاثوليكية ، ويكفي ان نشير في هذا الشأن الى التصريح الذي ادلى به مصدر مسؤول في بطريركية الروم الارثوذكس في القدس ردا على سؤال صحفي . قال : —

« ان التصريح الذي ادلى به المجمع الفاتيكاني والذي اطلعنا عليه في

الصحف يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية فقط . ان بطريركية الروم الارثوذكس المقدسية لم تشترك في المجمع الفاتيكاني هذا ولم ترسل اليه مراقبين من قبلها ، ولذلك فانها لا تتبنى ولا تعترف بالقرارات الصادرة عنه ، وعلى العكس من ذلك فانها تحافظ على تعاليم سيدنا يسوع المسيح المكنوزة في الكتاب المقدس والتقليد الشريف . وكل عمل ، مهما كان مصدره مخالف للكتاب المقدس والتقليد الشريف يحكم من قبل كنيستنا المقدسية الرسولية ويرفض كلياً [٩] » .

وتعبيراً عن راي الطائفة الارثوذكسية العربية نشر الايكونوس الياس الرشماوي رئيس الطائفة الارثوذكسية العربية في بيت ساحور بالضفة الغربية من الاردن ، مقالاً اعترض فيه على القرار وذكّر مصدريه بالاحكام السماوية الصادرة ضد اليهود وبالقصاص الذي سينال من يشككون في الدين [١٠] .

وعلق المطران نجيب قبعين ، رئيس الطائفة الانجيلية الاسقفية في القدس على القرار بقوله :

« كان قرار المجمع صدمة عنيفة للمسيحيين في الشرق وانا اعتقد ان المجمع اقحم نفسه في غير ما ضرورة في موضوع سيكون له بالغ الاثر على نظرة المسيحيين لتعاليم الانجيل وعلى علاقاتنا بالعالم [١١] » .

وقال المطران جبرائيل ابو سعدى ، النائب البطريركي لطائفة الروم الكاثوليك في الاردن :

« كنا نتمنى على اساقفة امريكا والمانيا وغيرهم من اساقفة الغرب ان يفكروا برفع الظلم عن النازحين العرب مثلما فكروا برفع الحيف الواقع على اليهود [١٢] » .

(٩) « المنار » ٢٥ / ١١ / ١٩٦٤

(١٠) يراجع نص المقال في الملحق رقم ٣ لهذا الكتاب . وقد نشر في جريدة « المنار » الاردنية ، ٢٦ / ١١ /١٩٦٤

(١١) مجلة « الاسبوع العربي » ، ٣٠ / ١١ / ١٩٦٤

(١٢) المصدر السابق

ودخل الشعر في المعركة فنشر الاستاذ صليبا الصايغ قصيدة تعرض فيها للوثيقة محللاً منتقداً . وقال :

يا ذا القداسة لا نقر صنيعكم	فدم المسيح احق الا يهدرا
فالقاتلون هم اليهود وسلهم	والقول في الانجيل ما فيه افترا

وذهبت بعض الطوائف الى ابعد من كل ما تقدم. فقد ذكرت جريدة «المنار» الاردنية في عددها رقم ١٣٧٥ الصادر في ٢٧ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٤ ان ابناء طائفة اللاتين في عنجرة بالاردن «اعلنوا انفصالهم عن الكنيسة الغربية وتعاونهم مع البابا وامتنعوا عن تأدية واجباتهم الدينية في الكنائس اللاتينية » .

وتطور الموقف تطوراً كبيراً ودقيقاً عندما وجه البابا كيرلوس السادس ، رئيس سينودس الكنيسة الشرقية ، الدعوة للبطاركة والاساقفة في كل من الجمهورية العربية المتحدة والسودان والحبشة والاردن لعقد اجتماع يبحث فيه قرار الفاتيكان بتبرئة اليهود من جريمة صلب السيد المسيح . وقد صدرت هذه الدعوة بتاريخ ٤ / ٢ / ١٩٦٥ .

ونشر القس عقل مقالاً دينياً ضافياً كشف فيه عن بعض جوانب قرار المجمع المسكوني . وكان من رأيه ان موضع الاستهجان في هذا القرار هو الآراء المستحدثة المضللة التي جاءت فيه واخطر هذه الآراء هو الرأي القائل بان يسوع المسيح كان يهودياً ، لان في هذا اعترافاً ضمنياً بالاتهامات اليهودية المعروفة للسيد المسيح من انه ولد من اب بشري يهودي وبطريقة غير شرعية ، على خلاف ما تراه المسيحية من الاصل الالهي للسيد المسيح ، وان من بين معجزاته الاولى معجزة الحبل بلا دنس .

وفي مقاله المذكور ، يدعو القس عقل الى اقامة كنيسة مسيحية وطنية تكون وتظل روحياً من البلاد واليها ، بدلاً من استجداء مسيحية غربية من الخارج [١٣] .

(١٣) يراجع النص الكامل لمقال القس عقل في الملحق رقم ٤

وتصدى للموضوع كثير من اخواننا المسيحيين من غير رجال الدين. ونأخذ مثالاً على رأيهم ما كتبه الاستاذ عيسى الناعوري بعنوان « قرار المجمع المسكوني اهو قرار للتنفيذ ام مع وقف التنفيذ ؟ » وفي حديثه هذا اكد ان قرار التبرئة فيه انكار للحقائق الانجيلية التي توارثتها اجيال النصرانية منذ عشرين قرناً ، وان مسعى اليهود لم يكن اعترافاً منهم بالديانة المسيحية ولا تقديراً لقيمة الكنيسة الكاثوليكية ولكن حاجتهم الى تأييد الكاثوليك في العالم لجريمتهم الجديدة في فلسطين هي التي دفعتهم الى هذا ، وانهم سواء بالقرار او بدونه لن يعترفوا بالمسيح ولا بديانته ولن يحترموا الكنيسة وعقيدتها . ثم تساءل الاستاذ الناعوري : هل سيعاد النظر في الاناجيل الاربعة وفي اعمال الرسل ، فتحور وتبدل بشكل يتناسب مع القرار ومع النفوذ اليهودي ، ام ان الاناجيل ستظل هي هي ويكون القرار قراراً مع وقف التنفيذ (١٤) ؟

هكذا كان الموقف العام للفلسطينيين المقيمين في الاردن .

لم يتوقعوا هذه الصدمة . صدموا في وطنهم وفي دينهم. وجاءت الصدمة من حيث توقعوا ان يأتيهم العون. كانوا ينظرون باكبار وتقدير الى امتناع الفاتيكان عن الاعتراف باسرائيل وعن التعامل او التعاون مع الحركة الصهيونية. فاذا كانت الاسباب التي دعت الفاتيكان الى اتخاذ هذا الموقف اسباباً دينية تتعلق بموقف اليهود من السيد المسيح فان من حقهم ان يقلقوا على موقف الفاتيكان عندما تزول هذه الاسباب .

ويظهر اثر قلق الطوائف المسيحية في الاردن بوضوح من اضطرار آباء الكنيسة الكاثوليكية في الاردن لعقد اجتماع ونشر بيان يوضحون فيه الامر لابناء الطوائف الكاثوليكية . وهذا الامر قلما يقع . ونظراً لاهمية هذا البيان فاننا نسجله للتاريخ . يقول البيان : (١٥)

---

(١٤) يراجع النص الكامل لمقال الاستاذ الناعوري في الملحق رقم ٥

(١٥) «المنار» ، ٢٦ / ١١ / ١٩٦٤ .

« عقد عموم رؤساء الطوائف الكاثوليكية في الاردن اجتماعاً عاماً في القدس في مساء هذا اليوم الموافق ٢٥ / ١١ / ١٩٦٤ وبناء على المعلومات الاكيدة التي وصلت اليهم في هذا الصباح من الفاتيكان وتنويراً للرأي العام اصدروا البيان التالي : -

« ١ - ان عنوان مشروع وثيقة المجمع المسكوني هو علاقة الكنيسة بجميع الاديان غير المسيحية . وما ورد فيها بخصوص اليهود لا ينفي مسؤولية اليهود بحادث صلب المسيح التاريخي كما ورد نصه في الانجيل .

«٢ - ان نص ما ورد بخصوص اليهود في هذا الفصل المتعلق بعلاقة الكنيسة مع جميع الاديان لا يزال مشروعاً لا غير ، ولم يبت فيه نهائياً، بل أرجىء البحث فيه والتصويت النهائي عليه الى جلسة المجمع المسكوني القادمة التي لم يحدد بعد موعدها .

« ٣ - ان التصويت الذي جرى على النص المتعلق باليهود بتاريخ ١٩٦٤/١١/١٠ ليس بتصويت نهائي ، وقد تدخلت السلطة الكنسية العليا فارجأت باستثناء خاص البت فيه الى الجلسة القادمة بالرغم من احرازه اكثرية الاصوات كما ذكرت الصحف .

« ٤ - ان عموم الرؤساء الروحيين الكاثوليك بالاردن يأملون ان يساعد هذا البيان على تنوير الرأي العام وتهدئة النفوس والخواطر».

وقد ابرق رؤساء الطوائف الكاثوليكية في الاردن نص هذا البيان كاملاً الى رئيس وزراء الاردن .

وواضح ان هذا البيان يعكس مدى القلق الذي احس به الرؤساء الروحيون استجابة للقلق الذي اثار نفوس اتباعهم . فقد اكدوا ان القرار لم يزل مشروعاً وانه لم يجر عليه تصويت نهائي وان الارجاء كان بتدخل مباشر من قداسة البابا،

وان القرار على اي حال لا ينفى مسؤولية اليهود من صلب السيد المسيح .

وواضح ان هذا البيان قد صدر بناء على تعليمات اكيدة وصلت ذلك اليوم من الفاتيكان. ومعنى هذا ان الاباء قد نقلوا الى الفاتيكان ثورة الطوائف المسيحية على مشروع القرار ، وان الفاتيكان اهتم بالامر بصورة مستعجلة وفوض الاباء باصدار البيان بالشكل السابق ذكره .

فالثورة احدثت اثرها. وقد حصل هذا كله في فترة اسبوع واحد من اعلان قرار الدورة الثالثة للمجمع المسكوني الذي اتخذ في ٢٠ / ١١ / ١٩٦٤ ، مما يدل على مدى حساسية الشعب العربي في هذا الشأن من ناحيتيه الدينية والقومية .

هذا فيما يتعلق بالموقف المسيحي . اما المسلمون العرب فقد ترددوا في الخوض في مسألة دينية خوفاً من ان يساء فهم موقفهم ويظن انهم يبحثون فيما لا شأن لهم به ، على اساس ان المجمع المسكوني مجمع ديني وان قراره قرار ديني ، ويبدو كذلك ان رجال الدين من المسلمين قد اكتفوا بالموقف المشرف الذي وقفه اخوانهم المسيحيون ، وان هذا الموقف يغني من الناحيتين الدينية والسياسية .

بيد ان المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي أذاع، بعد اجتماع عقده بمكة المكرمة ، بياناً نشرته جريدة « المنار » الاردنية في عددها رقم ١٣٧٥ الصادر في ٢٧ / ١١ / ٦٤ علق فيه على قرار التبرئة (١٦) . وكان من رأي المجلس ان المحاولات التي جرت للحصول على التبرئة تنفي عن الموضوع صفته الدينية وتجعله مجرد حركة سياسية ترمي الى ضمان تأييد العالم المسيحي للفكرة الصهيونية . واعرب المجلس عن استغرابه للمساس بالعقائد الدينية الموروثة ونقضها بعد الفي سنة وتجاهل موقف اليهود من اتباع السيد المسيح ومن الديانة المسيحية ذاتها ، ويرى المجلس ان اتخاذ قرار التبرئة معناه ان الكنيسة في عهدها الجديد ستسير في اتجاه موال للصهيونية ومعاد للاسلام والعرب .

ومن رأينا ان قرار التبرئة فيه خطورة دينية اخرى ، وهي نسبة السيد

---

(١٦) نشرنا النص الكامل لهذا البيان في الملحق رقم ٦ .

المسيح للشعب اليهودي . وقد التفت القس عقل الى هذه الزاوية . ونحن نؤيد موقفه لان الدين الاسلامي لا يعترف بالنسب اليهودي للسيد المسيح . فالسيد المسيح من روح الله حملت به والدته مريم العذراء، فلا نسب له في الشعب اليهودي. فاذا اعتبر من ذلك الشعب فان ذلك لا يكون الا اذا كان السيد المسيح قد تسلسل من صلب الشعب اليهودي ، اي من اب يهودي . وهذا ما ينفيه الدين الاسلامي وتنفيه العقيدة المسيحية الموروثة على حد سواء . ونسبة السيد المسيح للشعب اليهودي تثير سؤالاً خطيراً هو : من والد السيد المسيح ؟ من والده من ابناء اليهود حتى ينسب اليه، وينسب عن طريقه للشعب اليهودي ؟ لليهود جواب على هذا السؤال، ولكنه جواب لا نتصور ان الكنيسة ترضى به، وحتماً فان المسلمين لا يرضون به . وجوابهم ان السيد المسيح ابن سفاح .

والتآمر على صلب السيد المسيح حقيقة ثابتة في الاسلام ، وان كانت النتيجة لم تتحقق ، لا بفعل المتآمرين أنفسهم ولكن لاسباب خارجة عن ارادتهم . فالمسؤولية قائمة لا شك فيها سواء من الناحية الدينية او الناحية القانونية. فالقانون يعاقب على التآمر الجنائي ويعاقب على الشروع. اما من الناحية الدينية فلا يوجد دليل اقوى على رفض رسالة السيد المسيح من التآمر على قتله .

والمسلمون الذين يبجلون السيد المسيح اعظم تبجيل ويتفقون مع المسيحية في نقطة في غاية الاهمية بالنسبة الى الدينين الاسلامي والمسيحي، وهي معجزة ولادة السيد المسيح ثم بعثه (مهما اختلفت التفاصيل احياناً)، يرون في صيغة قرار التبرئة خطورة كبيرة على محور الالتقاء بين الدينين . وهم لذلك يستكبرون ان يفتح الباب للجدل حول هذا الموضوع بالذات وان يصدر الاذن بهذا الجدل من المجمع المسكوني نفسه .

والحقيقة المؤلمة التي يسجلها المسلمون العرب بمرارة هي ان قضية العرب العادلة في فلسطين لم تجد لها نصيراً في الغرب المسيحي، لا لدى السلطات الدنيوية ولا لدى السلطات الدينية . حقاً ان عدداً من الجمعيات الدينية المسيحية الغربية ترسل معونات للاجئين ، ولكن هذه المعونات لا تعبر في شيء عن تأييد هذه

الجمعيات لحقوق عرب فلسطين . انها صدقة ليس الا .

وقد احجم كثيرون من العرب المسلمين عن جعل قضية فلسطين قضية عربية اسلامية . احجموا عن ذلك خوفاً من ان يتهمهم المسيحيون بالتفرقة. ومع ذلك فان الغرب ، بمسايرته للحركة الصهيونية بسلطاته الدنيوية والدينية ، وتملقه لها بل وخوفه منها ، هو الذي يتنكر لحقوقنا ، من مسلمين ومسيحيين ، في وقت تقف فيه غالبية الشعوب الاسلامية والدول الاسلامية الى جانب حقنا كمسلمين ومسيحيين .

فهل يلام العرب بعد هذا اذا اتجهوا بكامل قوتهم الى العالم الاسلامي ؟

واذن فقد كان الموقف العام في اعقاب الدورة الثالثة للمجمع المسكوني هو ان قرار المجمع لم يجد له نصيراً في العالم العربي كله،وانما اجمعت الآراء على انتقاده والاعتراض عليه لاسباب قومية ودينية.اما اليهود فقد رحبوا به وبدأوا يعدون العدة لاستغلاله .

ثم جاء القرار النهائي المعدل الذي اقره المجمع في دورته الاخيرة بتاريخ ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ واصدره قداسة البابا بتاريخ ٢٨ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ وهنا اختلفت الآراء في النتيجة .

فبطريركية السريان الارثوذكس لانطاكية وسائر المشرق اصدرت بيانــاً بتاريخ٢١اكتوبر (تشرين‌اول)١٩٦٥شجبت فيه،باسم‌الرؤساء الروحيين للسريان الارثوذكس في الشرق الاوسط ، وثيقة المجمع المسكوني باعلان عــدم مسؤولية يهود اليوم عن صلب السيد المسيح [١٧] .

وفي القاهرة أدلى البابا كيرلس السادس بتاريخ ١٨ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ بتصريح عقب فيه على قرار المجمع المسكوني قال فيه :

« ان كنيسة الاسكندرية ، وهي كنيسة افريقيا وآسيا ، وكنيسة

(١٧) «المحرر» ٢٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

العقيدة السليمـة المستقيمة ، تتمسك بنصوص الانجيل التي تدين اليهود واولادهم من بعدهم بمسؤولية صلب السيد المسيح. واليهود، طبقاً لنصوص الانجيل ، هم الذين صاحوا يوم صلب المسيح بقولهم : اصلبوه ... دمه علينا وعلى اولادنا من بعدنا » . وقال ان اعضاء وفد الكنيسة القبطية، اعترضوا على فقرات النص المعدل وطالبوا بعدم اصداره اصلياً وتعديله احتياطياً . وقـال ان النص المعدل يعتبر نصراً للعرب واستجابـة لطلباتهم [١٨] .

وقال بطريريك الروم الارثوذكس في القدس ان رأي الكنيسة الارثوذكسية هو ان الوثيقة تخالف الانجيل الذي جاء فيه ان « دمه علينا وعلى اولادنا [١٩] » وكذلك فان ثيودوس السادس ، بطريريك الكنيسة الارثوذكسية لانطاكية والمشرق ، شجب البيان المسكوني وصرح بان المسؤولية الجماعية عن الصلب واقعة على الشعب اليهودي [٢٠] وقـال ان اليهود الذين آمنوا بالمسيح وتبعوه هم فقط الجديرون بالخلاص من اللعنة الواردة في الانجيل ضد قتلة المسيح [٢١] .

وصرح الدكتور جورج حكيم ، وزير خارجية لبنان، بانه كان من الافضل لو ان المجمع المسكوني لم يقر الوثيقة التي تقرر بان المسؤولية عن قتل المسيح «لا يمكن ان تنسب الى جميع اليهود » . واضاف بان التعديل الذي ادخل على البيان اثناء التصويت ، قد جاء تحسيناً للنص الاصلي الذي اعد في العام الماضي [٢٢].

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الاساقفة العرب الكاثوليك المشتركين في اجتماعات المجمع المسكوني اعربوا عن ارتياحهم للتعديـل الذي ادخـل على القرار . واشار الاساقفة العرب الى ان جميع الدول العربية عملت في كل مناسبة

(١٨) « الاهرام » والحياة ١٩ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(١٩) The Daily Star ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٢٠) «المحرر» ٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .
(٢١) «الاحرار» ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥
(٢٢) المصدر السابق

على التنديد بمعاداة اللاسامية [٢٣] .

وفي القدس ، صرح المطران نعمة السمعان، الاسقف المساعد لبطريرك اللاتين في الاردن ، بتاريخ ١٦ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ ، ان الوثيقة التي اقرها المجمع المسكوني تفقد اليهود سلاحهم الذي استعملوه للعودة الى فلسطين باعتبارهم « شعب الله المختار » ، لان الوثيقة تعتبر الكنيسة شعب الله الجديد . وقال ان ما ورد في الوثيقة ليس الا مجرد تصريح ولا يعتبر قراراً او عقيدة دينية . واشار الى ان هذا التصريح عرض على ممثلي الدول العربية في روما وفي الفاتيكان ونال موافقتهم . وايد المطران ميشيل عساف رئيس طائفة الروم الكاثوليك في عمان بيان المطران السمعان ، وقال انه يمثل وجهة نظر رؤساء الطوائف الكاثوليكية التي تمثلت في المجمع المسكوني . وقال ان البيان وضع في جلسة عقدها الرؤساء في القدس [٢٤] .

وايد هذا الرأى كذلك الكاردينال مكسيموس الرابع الصايغ ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الكاثوليك ، فقال انه « لم يعد هناك اي سبب لمعارضة المسلمين وثيقة المجمع المسكوني الفاتيكاني عن اليهود » . (وكأنما كان الاعتراض على الوثيقة منحصراً في المسلمين) . وقال ان وثيقة الفاتيكان المعدلة لا يمكن ان تستغل لصالح الصهيونية . غير ان الكاردينال العربي اضاف قائلاً : « ان العدالة المسيحية تفرض علينا واجب المطالبة بحق المضطهدين والمحرومين واللاجئين الذين طردوا ظلماً من منازلهم ليعيشوا على الحسنات الدولية . فاذا عارضنا اضطهاد اليهود فان علينا ايضاً ان نعارض الاضطهاد والظلم اللذين يرتكبهما اليهود » وقال الكاردينال الصايغ ان الدليل على انتصار قضية الاعضاء العرب في المجلس – وهي قضية عادلة – تلك الحملة التي شنتها الصهيونية في العالم ضد النص الجديد الذي اعتبرته تراجعاً من الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لضغط

(٢٣) Le Monde ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٢٤) The Daily Star ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

البطاركة الشرقيين [٢٥] .

واذن فالكنائس غير الكاثوليكية في البلاد العربية يبدو انهما زالت تعارض في القرار وتعتبره مخالفاً للانجيل . اما اقطاب الكنيسة الكاثوليكية فيبدو ان التعديلات التي ادخلت قد طمأنتهم ولم يعد القرار يثير قلقهم .

(٢٥) «المحرر» ، ٢٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

الموقف السّياسيّ

وقفت الدول العربية كلها موقف المعارض من القرار التمهيدي الذي اتخذ في الدورة الثالثة . وقد رأينا في استعراضنا لتاريخ القرار مدى الضغط السياسي الذي باشرته الحكومات العربية للحصول اما على الغاء القرار واما على تعديله بصورة تستبعد احتمال استغلاله سياسياً .

وفي هذا الفصل سنستعرض الموقف الرسمي في الاردن بوجه خاص ، ثم نستعرض موقف الكتاب العرب . وسنرى ان الرأي السائد هو انه وان كان القرار صادراً من جهة دينية، الا ان اسرائيل ، كما قال البطاركة العرب انفسهم ، قد بدأت في استغلاله لأغراض سياسية وستستمر في استغلاله، وان نشره في هذا الوقت بالذات غير مناسب وضار [1] .

في الاردن عقد مجلس النواب في ١٩٦٥/١١/٢٥ اجتماعاً خطب فيه النواب المسيحيون والمسلمون مستنكرين قرار المجمع المسكوني ومشيرين الى أخطاره القومية . وفي تلك الجلسة قال النائب سامي حداد بان الصهيونية سخرت للقرار السبل لتحرّف قدسية الانجيل وتتجنى على التاريخ . وناشد رعايا الكنيسة الكاثوليكية في الشرق العربي وفي الاردن بالذات الانفصال فوراً والانضمام الى الكنيسة الشرقية الارثوذكسية . واتخذ النائب عيسى عقل نفس الموقف وأيد النائب سامي حداد فيما قاله وطالب به ، واعلن ان « المسيحيين في هذا البلد

(١) مجلة « آخر ساعة » عدد رقم ١٥٧٠ الصادر في ١٩٦٤/١١/٢٥ .

يستنكرون بشدة هذا القرار الغاشم ويعلنون انفصالهم عن الكنيسة الكاثوليكية والكرسي البابوي في روما » .

ولفت نواب مسيحيون ومسلمون نظر الحكومة الاردنية الى وجوب اتخاذ الاجراءات المشددة لمراقبة المبشرين وطلبوا اليها منع اعضاء المجمع المسكوني الذين صوتوا الى جانب القرار من دخول الاردن لحضور احتفالات عيد الميلاد في القدس [٢] . وطالب بعض النواب باتخاذ الاجراءات الفورية ضد الارساليات التبشيرية التي يرعاها الفاتيكان . كما اشاروا الى العقارات التي تستملك في ضفتي الاردن لهذه الارساليات لتكون خطوة اولى لتدويل القدس .

ورأى نواب آخرون ان القصد الحقيقي من زيارة قداسة البابا للقدس كان لفت انظار الغرب لكي يتم تدويل القدس .

واعلن رئيس الوزراء حينئذ ، السيد بهجت التلهوني ، في تلك الجلسة بان الحكومة لا ترغب في الخوض في الموضوع من الناحية الدينية . اما من الناحية السياسية فانها تأسف لاتخاذ هذا القرار ، وهي تعرف الاسباب التي حدت بالكاردينال بيا الى تبنيه . وقال رئيس الوزراء ان اخواننا المسيحيين في هذا البلد يتمتعون بحرية الرأي ولهم الحق في ان يقرروا ما اذا كانوا يرغبون في الاستمرار في علاقاتهم من الناحية الدينية مع الغرب ام لا ، اذ ان الدولة لا علاقة لها بهذا الموضوع . وقال ان الحكومة لا تعرف شيئاً عن اسماء موقعي الوثيقة ، وعند الحصول عليها ستتخذ ما من شأنه خدمة المصلحة العامة [٣] .

وهذا النقاش الذي جرى في مجلس النواب الاردني أكد من جديد ان العرب ، على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ، يقفون صفاً واحداً في وجه اي قرار او اجراء ، مهما كان مصدره ، اذا كان من شأنه ان يؤثر في وطننا او ان يمسه من قريب او بعيد . وفي الوقت ذاته اكدت الحكومة مبدأ حرية العقيدة ، هذا المبدأ الذي

---

(٢) وأعرب عن هذا الطلب ايضاً رؤساء الطوائف في برقية بعثوا بها الى رئيس الوزراء الاردني ووزير الداخلية . « المنار » ١٩٦٤/١١/٢٥ .

(٣) « المنار » ١٩٦٤/١١/٢٦ .

يكوّن جانباً جوهرياً من تراثنا العربي . وأكد الجميع كذلك ان العرب يرفضون ان يسمحوا باستغلال الدين لتحقيق اغراض سياسية .

وأكد النواب المسيحيون مع اخوانهم المسلمين ان للقرار ناحيته الدينية والسياسية ، وانه لا يجوز لذلك الانزواء وراء ما يقوله البعض من ان القرار ديني صرف وأنه بعيد عن السياسة .

ولم يقف الامر في الاردن عند حد الكلام . فعلى الصعيد الرسمي أقر مجلس الامة قانوناً يقضي بحظر نقل الاراضي الى الارساليات . وقد جاء هذا القانون استجابة لرغبة شعبية عارمة اقلقها ما رأته من سياسة بعض الجهات الدينية ، ودير اللاتين الكاثوليكي بوجه خاص ، من شراء الاراضي والعقارات في منطقة القدس ، سواء في المدينة القديمة او ضواحيها ، ورأوا في هذه السياسة بادرة خطر عظيم يتهدد الاماكن المقدسة .

وعلى الصعيد الشعبي اخذ الشباب الكاثوليكي العربي في القدس يراقبون نشاط رجال الدين الغربيين ويكشفون عنه للرأي العام الاردني . ويبدو من البيان الذي اذاعوه ونشرته جريدة « المنار » الاردنية في عددها رقم ١٣٧٤ بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢٦ ان بعض رجال الدين قد بدأوا فعلاً في الترويج للقرار في الأوساط الكاثوليكية . والغريب ان يظهر هذا النشاط من جانب بعض رجال الدين الكاثوليكي بالرغم من ان القرار كان لا يزال مشروع قرار ، اي انه لم يبت فيه نهائياً ، وبالرغم من ان قداسة البابا لم يكن قد أقره .

وهذا النشاط يثير اسئلة لا يستطيع المرء ان يحبسها في نفسه . لماذا نشطوا ؟ ان موضوع القرار لم يكن قد اصبح جزءاً من العقيدة الدينية ليكونوا ملتزمين بالدعوة له . فما هو الهدف اذن من هذا النشاط ؟ وما هي جنسية رجال الدين الذين تطوعوا بالدعوة لوثيقة التبرئة وهي ما زالت مشروع قرار ؟ واذا كانوا من غير العرب ، وهذا ما نرجحه ، فما العمل ؟

ورأى البعض ان وثيقة التبرئة هي توطئة لاعتراف الفاتيكان باسرائيل . فقد

ابرقت الطائفة اللاتينية في بيت لحم الى قداسة البابا تقول : ان هذا القرار بحكم المفهوم العام توطئة لاعتراف الفاتيكان باسرائيل المعتدية على مقدساتنا واملاكنا وباعتبار انه طعن جارح لوحدة الطوائف المسيحية. وتعلن هذه الطائفة مقاطعتها للكنيسة الكاثوليكية وانصرافها في النهاية الى اتخاذ ما تراه موافقاً لقيامها وموقعها في هذا الجزء المقدس من العالم [٤] » .

وفي الدورة الرابعة والاخيرة ارسلت منظمة التحرير الفلسطينية وفداً لمقابلة قداسة البابا . وقد صرح الأب ابراهيم عياد ، عضو الوفد ، بأن النص الجديد يجعل الوثيقة خالية من مضمون سياسي يقدر اليهود على استغلاله . وقال ان الكاردينال تشيكونياني ، وزير خارجية الفاتيكان ، قد أكد ذلك للوفد [٥] .

اننا نشك في ان يكون هذا هو ايضاً رأي منظمة التحرير الفلسطينية ، ونرى على اي حال انه لا يحق لأي عضو من اعضاء الوفد ان يدلي بأية تعليقات او آراء لم تكن المنظمة قد اقرتها من قبل . فالوفد مطالب بتقديم تقريره الى الجهة التي اوفدته وهي التي تتصرف وتحدد موقفها .

هذا، وقد أجمع الكتّاب العرب على الصبغة السياسية للقرار وعلى ان اسرائيل ستستغله لأغراضها السياسية بالرغم من تنصل الفاتيكان من الاهداف السياسية .

وقد تناولت القرار التمهيدي بالبحث والتحليل في ثلاث مقالات نشرتها مجلة « فلسطين » ، ملحق جريدة « المحرر » . ونظراً لأني ابديت رأيي في الموضوع في هذا الكتّاب فاني لن اتعرض في هذا المقام للآراء التي أبديتها حينئذ. وحيث ان الكتّاب العرب قد اجمعوا على شجب القرار فانه لا داعي لعرض آرائهم جميعاً، وانما سنكتفي بالاشارة الى بعض الآراء التي ظهرت بعد ان اصبح القرار نهائياً .

علقت جريدة « الجهاد » على البيان النهائي بعنوان « نصر عربي جديد » ، فقالت : ان الخطوة الجديدة من جانب الفاتيكان لن تحفظ للمسيحيين وحدتهم

---

(٤) « المنار » ، ١٩٦٤/١١/٢٥ .

(٥) « الحياة » ، ١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

فقط ازاء التعاليم الصريحة للانجيل بل ستعيد غير قليل من الثقة بين المسلمين من ناحية وبين الذين قال فيهم تعالى لنبيّه العربي الكريم « لتجدن اقرب الناس للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يتكبرون».. من ناحية أخرى . لقد كانت كبيرة في الواقع ان يستطيع اليهود تغيير شيء من صميم التعاليم المسيحية ضدهم ، لا استجابة لأي ايمان منهم ، بل استغلالاً لحالة سياسية يدركون « باطل » جانبهم منها ، فسعوا الى كسب جانب قوي مثل الفاتيكان ثم فشلوا فيما كانوا يأملونه تحت ضغط المساعي العربية التي تسجل اليوم نصراً هو من صميم الاسلوب الجديد التي تعالج به قضية العرب الكبرى ، فلسطين [٦] » .

ونشر في « الاهرام » [٧] تعليق جاء فيه ان الدافع الرئيسي وراء اصدار الوثيقة لم يكن رغبة الكنيسة الكاثوليكية في نشر روح المحبة والغفران التي نطق بها الانجيل وانما كان رغبتها في محو جميع ما أشيع عن ارتباطها بعمليات اضطهاد اليهود في الاجيال السابقة خصوصاً في عهد النازية . وقال التعليق ان ذلك يتضح أولاً من ان صاحب الوثيقة هو الكاردينال بيا الالماني الجنسية الذي يرى مثل حكومته التقرب من اسرائيل تعويضاً لما عاناه شعبها من اضطهاد في عهد هتلر (الشعب لم يكن شعب اسرائيل كما زل قلم المعلق) . وثانياً ، من ان معظم مؤيدي الوثيقة من المجمع الغربي الذي يحرص على الاحتفاظ بعلاقات ودية مع اسرائيل نظراً لنفوذ الصهيونية السياسي والاقتصادي عليه . ومضى التعليق الى القول : وعلى ضوء ذلك يكون الفاتيكان قد منح نفسه في هذه الدورة حق تعديل بعض نصوص الانجيل . كذلك فان اصدار الوثيقة بعد عدد من تصرفات الصهيونية يكفي لادانة المؤتمر باصراره على اصدارها لأسباب سياسية ، وذلك يدعم الفكرة السائدة بان الدين في الغرب اصبح يستخدم الآن لخدمة التيارات السياسية . وبالموافقة على تلك الوثيقة يكون قد انتهى اول مشهد من مخطط

(٦) « الجهاد »، ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥ .

(٧) « الاهرام » ، ٢٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

الصهيونية في علاقاتها مع الفاتيكان . وسوف تشهد المرحلة القادمة طابعاً جديداً يرتكز على دعاية الصهيونية للضغط على الفاتيكان للإعتراف باسرائيل .

اما جريدة « فلسطين » فقد علقت على القرار بقولها انه جاء في وقت تحولت فيه الديانة اليهودية الى دولة . فاسرائيل لا تتكون من شعب من ابناء أمة واحدة ، وانما من اتباع ديانة واحدة .

وعلقت جريدة « الديلي ستار » بقولها إن الدولة الوحيدة في العالم القائمة على أسس طائفية هي اسرائيل ، لأنها هي المعلن عنها على انها دار الشعب اليهودي . ولذلك فان اي موقف يؤثر على الشعب اليهودي بأية طريقة من الطرق لا بد وأن يكون له جوانب سياسية . من هذه الزاوية تنظر الأمة العربية الى قرار الفاتيكان . ان الشيء الوحيد المرضي الذي جاء في قرار الفاتيكان هو تأكيده ان القرار ليس سياسياً . ولكن الفاتيكان مع ادراكه للخطورة السياسية للقرار الا انه مضى وأصدره . والذي يهمنا الآن بوجه خاص هو خطورة احتمال اعتراف الفاتيكان باسرائيل . ومع ان البابا بولس قد أكد مراراً حقوق الفلسطينيين في وطنهم المغتصب ، الا انه لا يوجد اي ضمان ضد تطور من هذا القبيل خصوصا وان الصهيونية ستنقل القرار الى ابعد الحدود . ثم قالت الجريدة ليس هناك ما يمكن للعرب ان يفعلوه في هذه المرحلة سوى اليقظة ضد هذا التطور . ومع ذلك يجب ان نؤكد انه يجب الا يحدث اي شيء من شأنه ان يعود بالضرر على القضية العربية [٨] .

واذن ، وحتى بعد التعديلات التي ادخلت على القرار التمهيدي ، تلك التعديلات التي اعتبرت في اوساط كثيرة انتصاراً لوجهة النظر العربية ، فان المخاوف والمحاذير السياسية لا تزال قائمة في الاذهان .

ومن المفيد في ختام هذا الفصل ، تمهيداً لمناقشتنا لرأي احد الكتاب العرب الذين رأوا حتى في القرار التمهيدي احتمال ضربة للصهيونية ، ان نشير الى رسالة

(٨) The Daily Star ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

كتبها جورج هيرتس ونشرتها جريدة « لوموند » الفرنسية تعليقاً على مواقف العرب . قال كاتب الرسالة ان من المعروف ان دول جامعة الدول العربيـة قد وقفت لتعارض القرار التمهيدي . غير ان الشيء غير المعروف هو ان رجال الدين الكاثوليك العرب وعدداً من الصحفيين المرموقين قد وقفـوا الى جانب البيان حتى بصيغته الاولى . وقال الكاتب انه في الوقت الذي كان فيه السفراء العرب لدى الفاتيكان والرئيس شارل الحلو يتدخلون للقضاء على البيان او لتخفيفه ، فان رجال الدين العرب اتخذوا موقفاً ايجابياً حيال البيان . ففي دورة سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ (حين اتخذ القرار التمهيدي) فان اثنين فقط من اعضاء المجمع العرب الذين يبلغ عددهم الخمسين قد صوّتوا ضد القرار في حين صوّت اثنان وثلاثون (وهم الذين كانوا حاضرين) الى جـــانب القرار . وقال ان من بين المؤيدين الرئيسيين للكاردينال بيا كان بطريك الجليل ، جورج حكيم . (ولم يذكر الكاتب ان هذا البطريك يقيم في الارض المحتلة) . وكذلك فقد وجد من بين الصحفيين حسن صعب ، الذي كتب في جريدة الأوريان التي تصدر ببيروت في عدد ٦ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٤ ان اللاسامية كانت خير حليف للصهيونية لأن هذه الحركة وجدت في اضطهاد اليهود في الغرب قاعدة لنموها . وبعد يومين من ذلك التاريخ نشر محمد النقاش في الجريدة ذاتها مقالاً بالمعنى ذاته . وكذلك احمد بهاء الدين فقد اعلن ذات الفكرة في مجلة المصور عدد ١١ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٤ [٩] .

هذا ما قاله الكاتب . ونحن لن نعلق على موقف رجال الدين فقد سبق لنا ان خصصنا فصلاً لذلك .

غير أنّا ستتناول بالتعليق الاشارة الى الاستاذ احمد بهاء الدين والى الاستاذ محمد النقاش ، فنحن لم نطلع على مقال الاستاذ حسن صعب لنعلق عليه .

اما مقال الاستاذ احمد بهاء الدين فقد اشرنا اليه في عدة مناسبات في هذا الكتاب . والامر الغريب في كاتب رسالة « لوموند » انه اخذ جانباً فقط من

(٩) Le Monde ، ٢ نوفبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ .

مقال الاستاذ بهاء الدين ، بل انه اخذ جانباً ثانوياً ، وترك الجوانب الرئيسية التي اشرنا اليها فيما سبق . وتسهيلاً على القــارىء ونظراً لأهمية هذا المقال فقد ألحقناه بهذا الكتاب [١٠] .

اما الاستاذ النقاش فلنا معه حديث آخر . ذلك انه نشر في مجلة الحوادث البيروتية مقالاً بعنوان « وثيقة المجمع المسكوني ضربة لنا ام للصهيونية » [١١] والكاتب والمجلة معروفان باتجاههما العربي المتحرر ، وبحرصهما الشديد على القضية الفلسطينية ، ولهما قراؤهما في جميع ارجاء الوطن العربي . ولذلك فان من الضروري مناقشة الآراء التي اوردها في مقاله والتي اعتبرهـــا كاتب جريدة « لوموند » تأييداً للقرار . وقد اخترنا مقــال « الحوادث » لأننا لم نطلع على « الاوريان » ، ولا نعتقد ان للكاتب رأيين متعارضين في الموضوع الواحد .

يقول الاستاذ النقاش :

« واجتهادي المتواضع اننا اهل لأن نبتهج بالقرار المشار اليه :

١ — لأنه ليس من العدل في شيء ان نعتبر ابناً مسؤولاً عن جرم ارتكبه أبوه . فكيف يجوز ان نعتبر جماعة برمتهـا ، جماعة تعد اثني عشر مليوناً من البشر ، مسؤولة ، وبعد ألفي سنة ، عن جريمة ارتكبها بعض الاجداد ؟ هذا بالطبع اذا كان الاحفاد هم انفسهم لا يقرّون تلك الجريمة بل يتنكرون لها ويندّدون بها . ولسنا ندري اذا ما حصل المجمع المسكوني على تأكيد من هذا النوع .

٢ — ان في القرار دليلاً على تسامح الكنيسة الكاثوليكية ، وهو تسامح ظهرت بشائره لا بالنسبة الى اليهود فقط ، بل بالنسبة الى سائر الاديان ، ولو ان حصة جميع الاديان ضئيلة الى جانب حصــة اليهودية . فحين يسود التسامح المقامات الدينية ، اي اكبر معاقل التعصب والترمّت

(١٠) يراجع الملحق رقم ٧ .

(١١) « الحوادث » عدد ٤٢١ بتاريخ ٤ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٤ .

في الماضي ، فذلك لخير البشرية جمعاء ، لا سيا في عصر التعايش السلمي والرغبة الاكيدة في تعاون مثمر بين ابناء البشر .

٣ – لم يكن طبيعياً ان ينادي العالم بالمساواة بين البشر ويشجب التفرقة العنصرية وتبقى الكنيسة رافعة لواء هذه التفرقة بالنسبة الى ملايين الناس . وقرار المجمع المسكوني بالنسبة الى اليهود أولاً يفتح الطريق امام عدم التمييز بين فريق وفريق على اساس المعتقد . بذلك يوضع حد نهائي لما يسمى بالحروب الصليبية ، في نطاق المبدأ على الاقل. ويعيش الناس اخواناً ، لله وحده عز وجل ان يحاكمهم وأن يطلب منهم الحساب عن معتقداتهم في يوم الدينونة الاكبر » .

ويمضي الكاتب بعد ذلك الى دعوة الدول العربية الى الاستمرار في عدم التدخل في قضية القرار . « فالمسألة ذات طابع ديني ، ولا يجوز للمدنيين ، ولا سيا ممثلي حكومات دنيوية ، أن يزجوا انفسهم فيها » .

ويعالج الكاتب بعد ذلك الذيول التي قد يجرها القرار بالنسبة الى اسرائيل . فيقرر انه لم تمتنع دولة كاثوليكية واحدة عن الاعتراف باسرائيل وعن مد يدها الى الايدي الملوثة بدم السيد المسيح من حكامها . ثم ان البابا نفسه لم يجد مانعاً من زيارة الناصرة ومصافحة أيدي عديدة من أيدي الشعب الملعون الملطخة بدم المصلوب ، قبل ان يصدر المجمع المسكوني قراره بتبرئة هذه الايدي . اما موضوع اعتراف الفاتيكان باسرائيل او عدمه فان الكاتب يحب « ان نعتقد بأن استنكاف الفاتيكان عن الاعتراف باسرائيل انما مرده الى حرص اكبر هيئة روحية في العالم على مبادىء الحق والانصاف » .

وينتهي الكاتب الى القول بأننا نستطيع اعتبار القرار نصراً لنا على الصعيد القومي والسياسي لثلاثة اسباب : أولاً لأن الكنيسة تقول اليوم بما قلنا به دائماً ، وهو اننا نميز بين اليهود كجماعة وابناء دين واحد وبين الصهيونية التي هي حركة استعمارية عدوانية تتخذ من الذكريات الدينية ستاراً لا اكثر ولا اقل . وثانياً

لأن منشأ الحركة الصهيونية، او قل حجة قيامها ، هو الاضطهاد الذي لقيته جماعة اليهود في أوربا. اما الآن، وقد زال عنهم شبح الاضطهاد وباتوا يستطيعون العيش بأمان في اوربا وفي كل مكان كانوا يسكنونه من قبل، فان الحركة الصهيونية تفتقد لذلك قاعدتها الاساسية . وثالثاً لأن الحركة الصهيونية تعتمد على حق الاحفاد في أرض الاجداد ، وما دام اليهود قد اغتبطوا بتبرئة الاحفاد من جريمة ارتكبها بعض الاجداد منذ ألفي سنة فلم يعد من حقهم – ولا من المنطق في شيء – ان يدّعوا لهؤلاء الاحفاد ملكاً كان للأجداد منذ ألفي سنة .

والواقع اننا استغربنا اشد الاستغراب هذا المنطق الذي سار عليه الاستاذ النقاش . استغربناه لانه يعالج قضية لا يؤمن احد طرفيها ، وهم اليهود والحركة الصهيونية ، بهذا المنطق الشريف . واستغربناه كذلك لانه تجاهل طبيعة الحركة الصهيونية والاسباب الحقيقية لما حل باليهود من اضطهاد .

اما الاسباب التي اوردها الكاتب على انها مدعاة للابتهاج فأسباب تحتاج الى كثير من النظر والتدقيق قبل التسليم بها .

فالسبب الاول الذي يقول بأنه ليس من العدل في شيء ان نعتبر ابناً مسؤولاً عن جرم ارتكبه أبوه هو في هذا المقام بالذات غير وارد على الاطلاق . لأن هذه المسؤولية – كما اوضح الكثيرون من اخواننا المسيحيين ، جزء من العقيدة الدينية – انها مسؤولية مقررة في الانجيل ولا يملك المجمع المسكوني تعديلها او الغاءها . والكاتب قد خرج عن القاعدة التي وضعها ، وهي عدم التعرض للناحية الدينية للقرار ، ذلك لان هذه المسؤولية هي من صلب العقيدة المسيحية . والعقائد لا تخضع للمنطق الذي سار عليه الكاتب .

واما عن السبب الثاني من اسباب الابتهاج ، وهو ان القرار دليل على تسامح الكنيسة الكاثوليكية تجاه الاديان جميعاً ، فاننا نرجو من الكاتب ان يعود الى نص القرار . ففي ذلك القرار لم ترد مطلقاً عبارة الدين اليهودي او الديانة اليهودية وانما ورد باستمرار عبارة « اليهود » او « الشعب اليهودي » او «الشعب

المختار » . فالقرار يتعلق باليهود كشعب لا كأتباع دين. ثم اذا رجعنا الى تاريخ القرار وجدنا اجماعاً بين المعلقين على ان الحركة الصهيونية هي التي أثارته واستعملت طرقها المعروفة في سبيله . ولم تتورع الحركة الصهيونية عن مهاجمة قداسة البابا بيوس الثاني عشر وكتابة المسرحيات مما اوجد نوعاً من العقدة عند الفاتيكان ، وفضلاً عن ذلك فان الوثيقة في اصلها كانت خاصة بالشعب اليهودي لا بالاديان كافة وعدلت فيما بعد بناء على طلب كرادلة المشرق . هذه الوقائع تضعف كثيراً من هذا السبب من اسباب الابتهاج .

بيد ان السبب الرئيسي الذي يدعونا الى عدم مشاطرة الكاتب ابتهاجه هو ان الشعب اليهودي الذي من اجله صدرت هذه الوثيقة لا يتحلى هو بروح التسامح التي رحب بها الكاتب . فموقف اسرائيل من المساجد والكنائس امر معروف – انه موقف التدمير والاضطهاد – وحتى صدور القرار فاننا نجد في البرلمان الاسرائيلي نواباً يقفون مشهرين بالديانة المسيحية . فقد نشرت جريدة « المنار » القدسية في عددها رقم ١٣٧٥ الصادر في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ الخبر الآتي: « تقدم مناحم بوراش النائب في الكنيست الاسرائيلي بطلب الى الحكومة يدعو فيه الى وقف برنامج يذيعه راديو اسرائيل اسمه «من الناصرة الى كرزيم». وقال بوراش انـه يجب على المجلس ان يسمع القسم الذي أذيع من هذا البرنامج يوم الخميس الماضي حتى يوافقه على ضرورة وقف اذاعة القسم الثاني . وقد اتهم بوراش المشرفين على البرنامج بأنهم يقومون بدعاية مسيحية تتحدث عن حياة المسيح والمعجزات التي قام بها . **وقال ان التقاليد اليهودية تمنع ذكر المسيح باعتبار الديانة اليهودية لا تعترف أصلاً برسالته** » . ان التسامح الذي يكون من جانب واحد فقط لا يؤدي الا الى المزيد من استغلال هذا التسامح من الجانب الآخر . وظاهرة الاستغلال هذه ظاهرة اصيلة في الحركة الصهيونية .

واما عن السبب الثالث من اسباب الابتهاج ، وهو أنه لا يجوز ، في عصر المناداة بالمساواة بين البشر ، ان تبقى الكنيسة رافعة لواء التفرقة بالنسبة لملايين الناس ، فان هذه التفرقة قد اقامها اليهود انفسهم برفضهم الاعتراف بالسيد

المسيح. يضاف الى ذلك ان التفرقة التي يشكو منها اليهود لم يكن مردها العقيدة الدينية . فالمانيا النازية عندما اضطهدت اليهود وغيرهم لم يكن ذلك الاضطهاد لاسباب دينية . ان دوافع التفرقة عميقة في النفس البشرية ، وتعود الى عوامل اقتصادية واجتماعية وعنصرية ودينية وسياسية متشابكة . والتفرقة الدينية داخل المجتمعات المتحضرة في ايامنا هذه اضعف أنواع التفرقة .

هذا عن اسباب الابتهاج.أما عن الاسباب التي ساقها الكاتب لاعتبار القرار نصراً لنا على الصعيد القومي والسياسي فاننا نلاحظ عليها بما يأتي : —

السبب الاول هو ان الكنيسة تقول اليوم بما قلنا به دائماً، وهو اننا نميّز بين اليهود كجماعة وابناء دين واحد وبين الصهيونية . ان هذا التمييز الذي اشار اليه الكاتب لا نجد له وجوداً على الاطلاق في وثيقة تبرئة اليهود. بل اننا نجد عكس ذلك تماماً ، وهو ان الوثيقة تتحدث باستمرار عن الشعب اليهودي ولم نجد في الوثيقة أي شجب للحركة الصهيونية او للاستعمار بوجه عام . ثم لو سلمنا جدلاً بأن الكنيسة الكاثوليكية قد اجرت هذا التمييز ، وهي لم تجره ، فماذا نستفيد من ذلك؟لقد أجرينا هذا التمييز منذ اليوم الاول لظهور القضية الفلسطينية فماذا استفدنا عملياً ؟ ثم ان الحركة الصهيونية تعتمد في دعواها على ما تزعمه من حق تاريخي اكثر من اعتمادها على الناحية الدينية . وحتى من الناحية الدينية فان وعد الرب بالعودة الى ارض الميعاد هو وعد لشعب، فماذا تجدي اذن هذه التفرقة بين اليهود كأتباع دين واحد وبين الصهيونية ؟

وأما عن السبب الثاني من أسباب النصر، وهو ان القرار قد ازال عن اليهود شبح الاضطهاد ، وبالتالي فانهم يستطيعون ان يعيشوا بأمان في أوربا وغيرها ، ولذا فان حجة قيام الحركة الصهيونية تتهاوى ، ان هذا السبب مغرق في المثالية وبعيد كل البعد عن واقع الحياة السياسية . وقد التفت الى هذا السبب بالذات الاستاذ احمد بهاء الدين واضطر الى استبعاده لأن السياسة — مع الاسف — لا تعرف هذه المثاليات [١٢] .

(١٢) مجلة «المصور» العدد ٢٠٩٦ الصادر في ١١ / ١٢ / ١٩٦٤

حقاً لقد قامت الحركة الصهيونية اول ما قامت نتيجة للاضطهاد الذي لقيته جماعة اليهود في اوربا . بيد ان الحركة الصهيونية وضعت لنفسها منذ البداية هدفاً محدداً ، وهو اقامة دولة اسرائيل وتهجير يهود العالم اليها . وعمدت الصهيونية ، لتحقيق هذا الهدف المزدوج ، الى كافة الوسائل والاساليب ، ومن بينها اصطناع حوادث الاضطهاد في البلاد التي ترغب الصهيونية في تهجير اليهود منها الى اسرائيل. فالصهيونية هي التي تثير شبح الاضطهاد في البلاد التي لا يوجد فيها اضطهاد لليهود. ويكفي في هذا المقام ان نشير الى ما نشرته صحيفة «دافار» الاسرائيلية في احد اعدادها ، وهذه الصحيفة هي الناطقة بلسان حزب الماباي، أقوى الاحزاب الاسرائيلية . يقول كاتب المقال : —

« سأختار عشرات من الشبان الاكفاء الاذكياء والمخلصين الذين كرّسوا حياتهم لهدفنا الاسمى والذين تستبد بهم الرغبة في العمل لانقاذ اليهود ، وسأبعث بهم الى البلاد التي يعيش فيها اليهود في حالة رضا خاطئة . ومهمة هؤلاء الشبان ان يتنكروا بمظهر غير اليهود ، وان يحملوا على الصهيونية المتوحشة وان يحيلوا حياة اليهود في تلك البلاد الى جحيم بشعارات اللاسامية ، كشعار « اليهودي القذر » و « اذهب الى فلسطين ايها اليهودي » وغير ذلك من الشعارات المرعبة . وفي وسعي ان اقول ان النتائج التي يحققها هؤلاء الشبان على صعيد الهجرة الكبيرة لليهود من هذه البلاد الى اسرائيل هي أضعاف ما يحققه المبعوثون العاديون من نتائج ولو كانوا يعدون بالالوف [١٣] » .

شعب هذه عقليته ، يا أخي الاستاذ النقاش ، سيهزأ من هذا النصر الذي تدعيه لنا .

والسبب الثالث من أسباب النصر التي اشار اليها الاستاذ النقاش هو ان الحركة الصهيونية تعتمد على حق الاحفاد بأرض الاجداد ، وما دام اليهود قد اغتبطوا

(١٣) « التطورات الاخيرة في قضية فلسطين » ، للاستاذ خيري حماد ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

بتبرئة الاحفاد من جريمة ارتكبها بعض الاجداد منذ ألفي سنة فلم يعد من حقهم – ولا من المنطق في شيء – ان يدعوا لهؤلاء الاحفاد ملكاً كان للاجداد منذ ألفي سنة .

هذا منطق لا نفهمه نحن ولم يقل به المجمع المسكوني ، فضلاً عن أن اليهود لم يغتبطوا الاغتباط كله بالنص الاخير لوثيقة التبرئة التي لم تستعمل عبارة التبرئة على الاطلاق . فهذا المنطق يستقيم في حالة واحدة فقط دون غيرها ، وهي الارتباط بين الجريمة والتملك . اما حيث لا يوجد هذا الارتباط فان ما يريده الاستاذ النقاش لا يتحقق فاليهود دخلوا فلسطين غازين قبل المسيح بقرون . وسبوا ثم اعيدوا الى فلسطين قبل المسيح . فحقهم الذي يستندون اليه قائم قبل الميلاد ولا علاقة له اطلاقاً بظهور المسيح او بالجريمة التي ارتكبها الشعب اليهودي في حقه . فغنمهم لم ينشأ عن الغرم حتى يزول بزوال الغرم . وقد يبرأ الابن من جرائم ابيه ولكنه لا يجرد بسبب ذلك من الاملاك التي ورثها عن أبيه. المعطيات في الحالتين لا تؤثر مطلقاً في ادعائهم التاريخي لان هذا الادعاء لم ينشأ عن الحكم بالادانة او التبرئة .

ثم هل سيصدر المجمع المسكوني قراراً آخر يعلن فيه ان يهود اليوم لا حق لهم فيما يدعونه من حق تاريخي ؟

المقارنة غير واردة ومن الخطورة ان نركن الى هذا النوع من المنطق .

لقد أطلنا في التعليق على مقال الاستاذ النقاش لانه أثار كثيراً من المسائل التي لم يثرها غيره من الكتّاب الذين علقوا على قرار المجمع المسكوني ، ولان للاستاذ النقاش قرّاءه الذين يحترمون ما يكتب ، ولان المنطق الشريف الذي سار عليه لا وجود له عند أعدائنا في القضية ، ولان هذا المقال حاول ان يعطي القرار ما ليس فيه . الخطر قائم ويتحصل في الطريقة التي ستستغل بها الحركة الصهيونية هذه الوثيقة والنتائج التي سيؤدي اليها هذا الاستغلال . وارجو ان نتذكر ان اسرائيل ابتدأت بكتاب كتبه مؤسس الحركة الصهيونية هرتسل ،

ولعل عربياً واحداً لم يقرأه حين صدوره ، ولو قرأه لضحك منه ومن كاتبه . وقامت اسرائيل بعد ذلك الكتــاب بحوالي نصف قرن من العمل المتواصل والاستغلال المستمر لكل مكسب والبناء عليه . والصهيونية القادرة على البناء على هذه المكاسب ما زالت يقظة نشطة .

فحذار من منطق الشرفاء مع غير الشرفاء .

المَوقِفُ الصّهيُوني

لقد اصبح واضحاً بما لا يحتاج الى مزيد من التدليل ان الحركة الصهيونية هي التي كانت وراء استصدار قرار المجمع المسكوني ، وانه لم ينبع من الفاتيكان نفسه . فالموضوع لم يكن له أي ذكر في الدورة الاولى للمجمع ، واثير فجأة في الدورة الثانية دون سابق انذار او اعداد

وقد استقبلت الاوساط الصهيونية القرار التمهيدي بالترحاب ، والاعداد للعمل ، وان كانت قد استهجنت الدعوة التي تضمنها القرار لليهود ليتحولوا الى مسيحيين .

فاتحاد الطوائف الاميركية العبرية صرح بان الاتحاد أعد برنامجاً « لترجمة الاتجاهات والرغبات المسيحية الحديثة حيال الاتصال باليهود الى عمل» والحاخام أيسر أونترمان ، كبير حاخامي اسرائيل ، رحب بالقرار التمهيدي وقال انه «يأمل في ان الكنيسة الكاثوليكية ستنظر بعين العطف الى نمو دولة اسرائيل[١]» وهذان المقالان يغنيان عن الاشارة الى البيانات الاخرى المماثلة التي صدرت من عدة جهات صهيونية .

وتوقع البعض ان يكون استقبال القرار النهائي أقل حرارة او حماسة . ولكن الواقع غير ذلك .

(١) Facts on File, 1964 ، ص ٣١٩ .

فالجهات الصهيونية رحبت بالقرار النهائي،وان أبدى بعضها نوعاً من التحفظ لان القرار حذف العبارة الخاصة بجريمة قتل الرب واستبدلها بعبارة لا تقل عنها دلالة . كما ان البعض تأثر لان القرار استعمل عبارة «يأسف» بدلاً من «يشجب» عندما أشار الى اللاسامية .

غير ان هذه التعديلات ستضيع وينطمس أثرها في خضم الدعاية الصهيونية .

وهذه أمثلة على الموقف الصهيوني من القرار الاخير :

صرح ناحوم جولدمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي، بأن القرار يقضي على تهمة قتل الرب، التي كانت مصدراً للعديد من اعمال الاضطهاد والظلم التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الشعب اليهودي . وقال اننا سنحكم على القرار من طريقة تنفيذه من جانب الكنيسة الكاثوليكية في المستقبل [٢] .

وهكذا ، ولما يجف المداد الذي كتب به القرار ، فسرته الصهيونية على أنه تبرئة،وبدأت تذكّر الناس بأعمال الاضطهاد التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الشعب اليهودي ، وبدأت تطالب بالثمن . أي أنها بدأت في تأكيد عقدة الذنب لدى الكاثوليك .

وأصدر اتحاد الجمعيات اليهودية في فرنسا ، وهو اتحاد يضم خمسين جمعية ، بياناً رحب فيه بالقرار ، وان كان قد انتقد استعماله عبارة « يأسف » بدلاً من «يشجب» عندما أشار الى اضطهاد اليهود . وقال البيان انه يرجو أن يساعد القرار في النظر الى الاقليات القومية نظرة احترام [٣] . والاقليات القومية بطبيعة الحال ، في طليعتها اليهود في نظر مصدري البيان .

وكذلك أعرب بيان أصدره مجلس الممثلين لليهود البريطانيين عن أمله في أن يُنَفَّذَ البيان باتخاذ الاجراءات الملائمة . وقال المجلس انه يأمل في ان يستجيب

(٢) Le Monde ، ٢٠ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

(٣) المصدر السابق .

للبيان جميع الاشخاص الذين يتطلعون الى الكنيسة الكاثوليكية للهداية . كما اعرب عن تقديره للآباء الذين عملوا على «تفنيد الحركات التي كانت تسعى لتشويه التعاليم الكاثوليكية [٤]» .

وقال الدكتور جواكيم برنز ، رئيس المؤتمر اليهودي الاميركي ، انه يرحب بالقرار ، الا ان آثاره تعتمد على مدى تطبيقه اليومي في حياة الابرشيات الكاثوليكية [٥] .

وصرّح المدير الاوربي لجمعية اليهود الاميركيين بأن البيان حدث تاريخي في العلاقات اليهودية المسيحية ، وانه سيكون له صداه البعيد في جميع الاوساط . وقال : ومع ذلك فانه لما يؤسف له ان وردت في البيان عبارات من شأنها ان تثير سوء الفهم والاضطراب . ومن الامثلة على ذلك بوجه خاص تلك العبارات التي تشير الى العصور القديمة (أي الى انكار اليهود للمسيح) والى اصل المسيحية . ومع ذلك فمن الواجب الاشارة الى ان البيان قد قضى على « خرافة » المسؤولية الجماعية لليهود عن الصلب ، هذه « الخرافة » التي سببت كثيراً من الآلام في الماضي ، على حد قوله . وقال ان البيان يحقق عدالة بديهية عندما يستنكر الاضطهاد ، وانه سيؤدي الى تحسين العلاقات بين اليهود والمسيحيين [٦] .

وفي تل أبيب رحبت الاوساط الاسرائيلية بالقرار واعتبرته كافياً للقضاء على السبب الديني للاسامية ، غير ان هذه الاوساط اعلنت انها ما زالت تنتظر الاجراءات العملية التي ستتخذ تمشياً مع هذا القرار [٧].

وكان هذا هو أيضاً موقف الجمعيات اليهودية المسيحية بطبيعة الحال. فالمسيو جاك مادول ، رئيس جمعية الصداقة اليهودية المسيحية في فرنسا ، صرح مرحباً بالقرار وقال انه في استطاعة المرء ان ينتقد مثلاً حذف عبارة «قتل الرب» من

---

(٤) The Manchester Guardian ، ٣٠ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٥) The Daily Star ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٦) Le Monde ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٧) المصدر السابق .

النص. ولكن ذلك لا يهمه. انما الشيء الذي لا يستطيع ان يفهمه هو لماذا لم يشجب المجمع اللاسامية رسمياً . وأعرب المسيو مادول عن تقديره لشجاعة ومثابرة آباء مثل الكاردينال بيا والكاردينال ينار . وقال انه يعتبر البيان مجرد بداية ، وان العلاقات بين المسيحيين واليهود ستزداد عمقاً نتيجة للحوار الاخوي من الجانبين وكذلك بين المسيحية والاديان الاخرى غير المسيحية وفي مقدمتها الاسلام [٨] .

وختاماً لهذه التعليقات نذكر تعليق كاتب يهودي طالب فيه، بتهكم، بدعوة مجلس مسكوني يهودي ليقرر براءة أبناء هذا الجيل من المسيحيين من الجرائم التي ارتكبتها المسيحية سابقاً ضد اليهود [٩] .

واذن ، وعلى خلاف ما يشاع احياناً ، فان الحركة الصهيونية رحبت بالقرار حتى بصيغته المعدلة ورأت فيه نقطة بداية جدية للعمل مع الكنيسة الكاثوليكية وفي الاوساط الكاثوليكية . من الطبيعي انها كانت ترغب في الحصول على قرار اقوى، ولكن فيما صدر الكفاية . لقد بدأت الحركة الصهيونية سيرتها مع الكنيسة الكاثوليكية في اتجاه حددته الحركة الصهيونية نفسها. أما نهاية هذه المسيرة فقد لا تختلف عن مسيرة الحركة الصهيونية مع بريطانيا .

---

(٨) المصدر السابق .

(٩) مجلة «نيوزويك» الاميركية عدد ٨ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ .

موقف الآخرين

أما موقف الكنائس الغربية والصحافة الغربية من القرار فقد كان هو الآخر موقف ترحيب .

فالكنائس البروتستانتية والارثوذكسية في اميركا رحبت بالقرار [1] .

وصرّح البطريك أياكوفس ، رئيس الكنيسة الارثوذكسية لاميركا الشمالية والجنوبية ، بأنه يرحب بالقرار الخاص بأن اليهود لم يكونوا مسؤولين مسؤولية جماعية عن قتل المسيح [2].(وهذا الموقف يناقض موقف الكنيسة الارثوذكسية في المشرق العربي) .

وفي جنيف أصدر السكرتير العام للمجلس العالمي للكنائس(الذي يمثل أربع عشرة كنيسة) بياناً قال فيه ان المجلس يرحب بقرار المجمع المسكوني الذي عبر عن الحقيقة الانجيلية التي نشرت في جميع الكنائس وهي ان الشعب اليهودي جاء بالوحي السماوي الى البشر ، وان الرباط العميق القائم بين اليهود والمسيحيين ليس مجرد ذكرى وانما هو حقيقة واقعة . وقال ان هذا القرار يجب الا يفسر على انه بادرة سياسية وانما ،هو تعبير عن تراث انجيلي مشترك [3] ، وقال انه

(١) Le Monde ، ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥

(٢) المصدر السابق بتاريخ ٢ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٥ .

(٣) Le Monde ، ١٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

نتيجة للقرار فاننـا نستطيع القول بأن جميع الكنائس ستسعى لتجديد نظرتها الى الشعب اليهودي وستبدأ في التعويض عن اغلاط الماضي [٤] .

وأصرّ الآباء الاميركيون ، بما فيهم المونسنيور جون اوستيخر ، وهو يهودي سابق ، في مؤتمر صحفي ان الوثيقة تعبر عن ادانة اللاسامية تعبيراً قوياً ، وان هذا ما دعا له الكرادلة الاميركيون [٥] .

وطالب القس لورنتان ، الخبير بشؤون المجمع ، بالاسراع في اعادة النظر في الكتب المدرسية بحيث تحذف منها بذور العداء لليهود [٦] .

وغني عن القول ان القرار يعبر عن تفكير الكنائس البروتستانتية المختلفة ، ولذلك فان الكنائس الغربية كلها تقف الى جانب القرار .

فاذا انتقلنا الى الصحافة الغربية فاننا نجدها هي الاخرى ترحب بالقرار وان كان بعضها قد رغب لو كان القرار ادفأ واكرم .

فجريدة نيويورك تايمز الاميركية قالت ان معظم المراقبين يرون ان البيـان كان اقل دفئاً وكرماً من البيان الذي سبق اقراره وذلك بسبب الفقرات الدينية التي اضعفت الفقرات الخاصة باليهود [٧] . وبعد مصادقة البابا على القرار كتب مراسل الصحيفة المذكورة في روما يقول ان صدوره ينهي محاولات استمرت خمس سنوات لاصلاح خطأ دام تسعة عشر قرناً . وقال لقد دل التاريخ بوضوح ودلت الدراسات السوسيولوجية الحديثة على ان التفسيرات الدينية الضيقـة لوصف آلام المسيح كانت مصدراً خصباً للاسامية يمتد من الاهانة الاجتماعية الى الافناء الجماعي . وقالت الصحيفة ان رد الفعل المسيحي للتفسيرات المـاضية للانجيل ، كما عبر عنهـا البابوات والمجامع السابقة ، هو ادانة اليهود دون تمييز ،

---

(٤) New York Times ، ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٥) New York Herald Tribune ، اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٦) Le Monde ، ٢٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٧) New York Times ، ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

غير أنه أصبح لزاماً على جميع الكاثوليك اعتباراً من ٢٨ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ ان يعترفوا بأن ما حدث للمسيح في آلامه لا يمكن ان يعزى ، دون تمييز ، الى جميع اليهود الذين كانوا احياء حينئذ ولا ليهود اليوم . كما ان القرار قد ذكّر الكاثوليك بتراثهم المشترك مع اليهود في العهد القديم وبالحقيقة القائلة ان الله يعتبر اليهود اعزاء لديه من اجل آبائهم وان الله لا يندم على العطايا التي يقدمها ولا على الدعوات التي يصدرها [٨] .

وفي نفس العدد عقدت النيويورك تايمز افتتاحية طويلة بعنوان « لا مسؤولية جماعية » قالت فيه : من بين المراسيم التي اعلنها بالامس (٢٨ اكتوبر « تشرين اول » ١٩٦٥) البابا بولس السادس المرسوم الذي أثار اكبر اهتمام واعنف مناقشات : ذلك البيان هو الذي يعبر عن وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية حيال اليهودية والشعب اليهودي . ومع ان النص الجديد اضعف الى حد ما من النص الاصلي ، الا انه قد حافظ على الغرض الاساسي الذي كان في ذهن البابا يوحنا الثالث والعشرين منذ البداية . وبموجب المرسوم الجديد يحظّر ان يعلم ان الشعب اليهودي في ذلك الوقت او الآن يتحمل اي ذنب جماعي بسبب فعل القادة الذين سلموا المسيح للرومان لصلبه [٩]، ويكون من الخطأ ان يعتقد ذلك.

ومضى التعليق الى القول ان ادانة اليهود بجريمة قتل الرب واعتبارهم ، كجنس ، ملعونين الى الابد لم يكن له ابداً أي اساس في المنطق او العقل او القانون او الانسانية . فكما جاء في المرسوم الذي اعلن بالامس ، فان العقيدة الكاثوليكية هي ان « المسيح قد مر بآلامه وموته في حرية » . ومع ذلك فان فعل القادة اليهود بجلب الصلب كان حتى اليوم يطبق على مستوى ديني او صوفي. فالجملة الرهيبة في انجيل متى – وهو الوحيد من بين الاربعة الذي ذكرها – قالت ان اليهود الذين حرّضوا مطالبين بموت المسيح قالوا « دمه علينا وعلى اولادنا » .

---

(٨) The New York Times ، اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

(٩) وهكذا بدأ التخريب من الآن للايهام بأن الرومان هم الذين ارتكبوا جريمة الصلب وان قادة اليهود لم يقوموا الا بمجرد تسليم المسيح للرومان .

وهكذا كان ، وبناء على نص الانجيل ، ولعدة قرون حتى اليوم . ومن الطبيعي ان الكلمات التي اعلنت يجب ان تتحول الى افعال والى ما هو اصعب من ذلك ، الى مشاعر .

ومع ذلك فان بيان الفاتيكان الثاني قد اقتحم الحواجز بقرار أهميته الكبرى في انه ديني او تاريخي بصورة أوفى . فقد كان من اهم قواعد اللاسامية عبر الاجيال قاعدة اللعنة الانجيلية الخاصة بقتل الرب . وسواء كانت الكنيسة الكاثوليكية تدين او تستنكر او تأسف (وهي الكلمة التي استعملت في النهاية) « مظاهر اللاسامية » فان ذلك لا يعدو ان يكون امراً لغوياً ، وسيضمحل من الذاكرة سريعاً ذلك النقاش حول اختيار الكلمة . فالشيء المهم هو ان الكنيسة الكاثوليكية قد اعلنت ان أي فعل ضد الانسان او مضايقته بسبب العنصر او اللون او الوضع الحياتي او الدين امر غريب عن فكر المسيح .

ويمكن القول بأن هذا ليس مذهباً جديداً ، بيد ان ثقل المجمع المسكوني واعلانه من جانب البابوات ، وحرارة عبارته وجديتها ، وما رافقه من دعاية عالمية بمناسبة احتفال الامس-كل هذا يجعل منه حدثاً مرموقاً في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية وجميع المسيحية .

وفضلاً عن ذلك من يستطيع ان يقول انه لم يبزغ فجر جديد عندما توجه الكنيسة كلمات الصداقة والترحيب الى الجميع وهي التي كانت تعتبر الشعب اليهودي ملعوناً ، وترسل الصليبيين ضد المسلمين الكفرة، وتعتقد ان الهندوسيين والبوذيين وعباد الاوثان يسيئون الى الله اساءة أبدية ؟ .

واختتمت الصحيفة تعليقها بقولها : في هذا البيان الخاص « بعلاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية » يمكن القول،بالرغم من خيبة الامل فيما يتعلق بالكلمات، بأن الروح والهدف المسكونيين اللذين كانا لدى البابا يوحنا قد تحققا .

هذا ما قالته صحيفة اميركية واسعة الانتشار .

ونشرت مجلة الايكونومست البريطانية تعليقاً على القرار بعنوان « لا صليبية

بعد الآن » قالت فيه : ان الكنيسة الكاثوليكية كانت تعتز في الماضي بحماسها الصليبي . غير ان مجمع الفاتيكان أقرّ في ١٥ اكتوبر (تشرين اول) بأغلبية كبيرة بياناً يظهر لاول مرة نظرة ودية متسامحة تجاه الاديان الكبرى غير المسيحية — الاسلام والهندوسية والبوذية واليهودية . فقد اعلن القرار ان الكنيسة لا ترفض ما هو « صحيح ومقدس » في هذه الاديان .

والامر الذي لم يكن منه مفر هو ان الفصل الخاص باليهود هو الذي أثار أعظم اهتمام . والامر الذي لا مفر منه كذلك ، هو ان هذا الفصل قد اجتذب أقوى المناورات من الجماعات اليهودية والمضادة لليهودية التي كانت تحرص على الحصول على تعديلات للمشروع التمهيدي الذي اقرّه المجلس في السنة الماضية . ويقول بعض المراقبين ان التعديلات التي ادخلت على المشروع قد اضعفته ، وعلى الأخص التعديلات التي حذفت الامر ضد تسميه اليهود «بقتلة الآلهة » واستعمال كلمة يستنكر « بدلاً من يشجب » عند الاشارة الى اللاسامية . غير انه مهما كان التغيير في الالفاظ ، فان مؤدى الوثيقة لم يتغير : انه رفض حازم للاسامية ولنظرية مسؤولية اليهود الجماعية عن صلب المسيح. والمهم الآن هو الآثار العملية للبيان .

ولم يحدث حتى الآن تكرار لصرخات الاحتجاج الغاضبة التي أطلقتها معظم الحكومات العربية عندما أقرّ المشروع التمهيدي في العام الماضي . وقد يكون ذلك راجعاً الى ان الكاردينال بيا والمسؤولين عن النص النهائي قد بذلوا جهوداً كبيرة لتأكيد الصبغة الروحية الصرفة للوثيقة وصبغتها غير السياسية ، او لعل ذلك يرجع الى ان العرب قد تأثروا بخطاب البابا يوم الاحد الماضي الذي اكد فيه الاصول المشتركة للمسيحية واليهودية والاسلام — وهو الامر الذي يعترف به العرب بحرية، في اللحظات غير السياسية . او لعل العرب قد ادركوا آخر الامر ان كل ما من شأنه ان يمنع الاضطهاد من جديد— ولهذا يمنع الهجرة الكبيرة الى اسرائيل — هو في صالحهم [١٠] .

(١٠) Economist ، ٢٣ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥

هذان مثلان نسوقهما وفيهما الكفاية ، ذلك أنه لم تشذ عنهما جريدة او مجلة غربية .

وهكذا اصبح الموقف الغربي العام «من ديني ودنيوي» مهيئاً أكثر من ذي قبل لتقبل الافكار الصهيونية والتعاون مع الحركة الصهيونية والتفاهم معهـا والابتعاد عن كل نقد لليهود ، حتى لا يفسر هـذا النقد بأنـه اضطهاد لاسامي او أنه من رواسب الافكار والنزعات النفسية والاجتماعية التي كانت سائدة قبل القرار .

بَعْدَ البَيَانْ

مبادئ العمل الصّهيوني

قبل الخوض في الكيفية التي ستستغل بها اسرائيل والحركة الصهيونية وثيقة المجمع المسكوني ، يجدر بنا ان نلم بايجاز بمبادىء العمل الصهيوني وأساليبه . وهذا الالمام امر ضروري لأن البحث سيكشف عن أمور لا يمكن ان نقرّها ، بينما هي أمور مألوفة وطبيعية في المنطق الصهيوني .

والنقطة الاولى التي يجب ان نتذكرها دائماً ، هي ان الحركة الصهيونية حركة لا أخلاقية ، لا تؤمن الا بنفسها ، والغاية لديها تبرر الوسيلة مهما كانت . انها تضع امامها هدفاً معيناً تسعى اليه ولا يهمها ان يكون الطريق منحرفاً او ملتوياً او دائرياً او مستقيماً . فهي مثلاً لا يقلقها ان تزوّر التاريخ وتكذب عليه ، ولا يهمها العبث بمقدسات الناس . فمن المعلوم مثلاً ان اسرائيل والحركة الصهيونية تطبعان القرآن الكريم والكتاب المقدس طبعات محرّفة ، عبثاً بالدينين الاسلامي والمسيحي .

وفي الوقت ذاته لا يضايقها ابداً ان تناقض نفسها فتخاطب شعباً من الشعوب بنقيض ما تخاطب به شعباً آخر ، ولا يقلقها ان تتخذ مواقف متناقضة . ففي الوقت الذي تساعد فيه الدول الافريقية المناهضة للاستعمار والتمييز العنصري نجدها تقيم احسن العلاقات مع افريقيا الجنوبية . وفي الوقت الذي عارضت فيه جميع الحركات التحررية في افريقيا نجدها اول من يسعى للدول الافريقية بعد استقلالها . انها لا تشعر بأدنى حرج على الاطلاق في ان تقلب موقفها رأساً

على عقب .

غير ان اسرائيل تحاول في جميع المواقف ان تكون منطقية مع مبدأ من المبادىء تختاره لنفسها في الموقف الذي تحدده . فالشعار الذي نادت به الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل وهو « اعطوا ارضاً بلا شعب لشعب بلا ارض » شعار تستجيب له غالبية الناس التي لا تقف لتحقق في صحة هذا الشعار وتمشيه مع الواقع . وفي ايام ثوراتنا في فلسطين كانت الدعاية الصهيونية تصور تلك الثورات على انها خروج على القانون والنظام ولذا يجب قمعها فالقانون والنظام يجب ان يسودا . واذا هدأت الثورات قالت الدعاية الصهيونية ان العرب لا اعتراض لهم على البرنامج الصهيوني ولو كان لهم اي اعتراض لثاروا عليه . ولهذا يجب تنفيذ ذلك البرنامج . وهكذا فانه في كل موقف من المواقف تتخذ تفسيراً يقبله الناس لانها تنجح في عزل ذلك الموقف عن المواقف الاخرى معتمدة على ان ذاكرة غالبية الناس في الشؤون التي لا تهمهم بصورة مباشرة هي ذاكرة قصيرة.

وهذا الاسلوب في العمل الدعائي او السياسي يكشف ظاهرة اخرى من ظواهر النشاط الصهيوني . وهذه الظاهرة هي انها تتجنب دائماً عرض الوقائع عرضاً تاريخياً كاملاً وصحيحاً : انها تتخير وتتخير ما يلائم المقام واللحظة . وفي هذا تعتمد ايضاً على جهل غالبية الناس بما لا يعنيهم مباشرة بشرط ان يكون العرض الذي تقوم به عرضاً ينسجم فيما بين اجزائه بعد حذف الاشياء التي لا ترضيهم . فعند عرضهم لتاريخ فلسطين مثلاً تقرأه وكأن فلسطين لم تعرف من الشعوب الا الشعب اليهودي وان فلسطين في تاريخها الطويل لم ينزل بها الا الشعب اليهودي . وكم من الناس يعرف التاريخ الحقيقي لفلسطين او لأي بلد من البلدان؟

ان انصاف الحقائق او ارباعها لا تقلق الحركة الصهيونية . وكم عدد الاشخاص الذين يعرفون الحقيقة كاملة ؟ ولهذا فان الحركة الصهيونية لا تتورع في ان تبرز نصف الحقيقة او ربعها على انها الحقيقة كاملة . فاذا أكره فلسطيني واحد على بيع ارضه اصبحت هذه الواقعة الفردية حقيقة شاملة عن الشعب الفلسطيني ، فالشعب الفلسطيني كله قد باع ارضه ، وهو لا يبيعها مكرهاً وانما يبيعها باختياره

وطمعاً في المـــال . فواقعـة الاكراه لا تذكر ، ولا يذكر كذلك ان حادثة البيع كانت فردية محضـة . واذا راق لهم (كما هو الحـــال في وثيقـة التبرئة) فانهم يجزؤون الامور بحيث تحصر المسؤولية في قلة لتبرئة الجميع ، بينما يريدون ان يدان الرومان لفعل يريدون نسبته لبيلاطس فقط .

ولا تتورع الحركة الصهيونية من اصطناع المشاكل لتحقيق غرض من اغراضها. فهي لم تتورع ابداً في ان تحشد مئات الاطفال والنساء واليهود في سفن لا تصلح للملاحة وفي السير بها لشواطىء فلسطين. وكانت كارثة انسانية استغلتها الحركة الصهيونية لاثارة الرأي العـــام العالمي من اجل الهجرة الصهيونية الى فلسطين . وبطبيعة الحال فانها لم تعرض الحقائق كاملة،لم تذكر انها غررت بأولئك المساكين وكذبت عليهم وضللتهم او انها هي التي قامت فعلاً باغراق احدى البواخر التي كانت تقل اللاجئين وانما اظهرت الفعل على انـه تلقائي من اشخاص يبحثون عن وطن لهم خلاصاً من معسكرات اللاجئين . وكذلك فان كثيرا من المشاكل التي يواجهها اليهود في بعض بقاع العالم هي من صنع الحركة الصهيونية . انهـا تتعمد اثارة هذه المشاكل لاشعار اليهود بغربتهم حيثما يوجدون خارج اسرائيل وحملهم على الهجرة الى اسرائيل ولاقناع العالم بأنه لا حل لمشكلة اليهود الا بانشاء دولة لهم يستقرون فيها وتحميهم وهم خارجها .

والحركة الصهيونية على استعداد دائم لارتكاب الجرائم لتحقيق اغراضها ولا تهمها مطلقاً لا دولة المعتدى عليـه ولا مكانته . فالحركة الصهيونية قتلت اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الاوسط . قتلته في القاهرة لتوتير العلاقات بين مصر وبريطانيا.وعندما اكتُشفت الحقيقة لم تفعل بريطانيا شيئاً والقي اللوم كله على عاتق عصابة صهيونية متطرفة . وقتل اليهود الكونت برنادوت وسيط الامم المتحدة في فلسطين ومن العـائلة المالكة السويدية ونسب حادث الاغتيال ايضاً لعصابة صهيونية متطرفة تبرأت الوكالة اليهودية من اعمالهـا الاجرامية . وأدان مجلس الامن ما حدث واستنكرته الامم المتحدة،ولكن حادث الاغتيال كان تحذيراً كافيـاً لكل من يظن في نفسه القدرة على النظرة الموضوعية للقضية

الفلسطينية ويحاول ان يقف في وجه الأطماع الصهيونية . ومحاولات الحركة الصهيونية لارهاب العلماء الالمان الذين يعملون في الجمهورية العربية المتحدة مشهورة . ومجزرة دير ياسين التي تبرأت منها الوكالة اليهودية ، وجيشها هو الذي ارتكبها ، ما زالت ماثلة للاذهان . ان سلسلة الأعمال الاجرامية الصهيونية لا حصر لها ولعلها لم تنته بعد .

والى جانب هذا فان الحركة الصهيونية معروفة بشرائها للضمائر وباتباع مختلف الوسائل للايقاع بالساسة وغيرهم في براثنها . ومتى وقعوا فانها تمتصهم لآخر قطرة من دمائهم. انها تدرس من تضع عينيها عليه دراسة وافية، للتعرف على نقاط قوته وضعفه ، وعلى مطامحه وآماله ، وعلى خصومه واعدائه . وفي ضوء المعلومات المتجمعة تختار طريقة الاغراء واسلوب الهجوم . فهذا تقدم له المساعدات المالية في حملته الانتخابية ، وذاك يعيّن رئيساً لمجلس ادارة هذه الشركة او تلك ، وذلك يودع في حسابه مبلغ ملائم ، وآخر يمنح شهادة فخرية او يسمى شارع باسمه او يدعى لزيارة اسرائيل او تعرض عليه الحسناوات كما يشاء ، او تعطى له الاصوات اليهودية في الانتخابات ، او تؤلف الكتب عن حياته تمجيداً له وتعظيماً (كما هو الحال مع الكاردينال بيا الذي نشرت الكتب عنه) وهكذا الى ما لا حصر له من الوسائل التي تستعملها الحركة الصهيونية لاجتذاب الانصار مستغلة في ذلك جميع نواحي ضعف الطبيعة البشرية وآمال الإنسان ومطامعه .

ومتى وقع الضحية فانه لا خلاص له. سيظل عبداً مطيعاً للحركة الصهيونية خوفاً من التشهير به وافتضاح امره . ولا يضير الحركة الصهيونية افتضاح امرها في الوقت ذاته لان السخرية والاحتقار ينصبّان على ضحاياها وليس عليها .

والى جانب الاغراء هناك وسائل التهديد والتشهير . فدراسة الاشخاص ، وخصوصاً اصحاب المناصب العامة، قلما لا تكشف عن نواح يحرص اصحابها على اخفائها . هذه النواحي بالذات هي التي تحرص الحركة الصهيونية على معرفتها

لتستغلها في الوقت المناسب . قد يكون اصحابها نسوها او لم يعيروها اهتماماً، ولكن الحركة الصهيونية لا تنساها ولا تعتبرها قليلة الاهمية .

والحركة الصهيونية مشهورة بالمرونــة في اساليبهــا ، ومشهورة بالقدرة على التنقل من معسكر الى معسكر بل والبقــاء في معسكرين متناقضين في وقت واحد خدمة لمصالحها . ولا يضيرها ان تنقلب على حليف الامس اذا وجدت حليفاً اقوى .

ونضرب مثلاً على هذا موقف الحركة الصهيونية قبل قيام امرائيل وسعيها لكافة الدول لكسب تأييدها. والحركة الصهيونية لم تضرب على اوتار المبادىء ، وانما ضربت على اوتار المصالح ، وشتان بين الاثنين .

قدم قادة الحركة الصهيونية للحكومة الفرنسية مذكرة قالوا فيها : —

« ستضم البلاد التي نعتزم احتلالها مصر السفلى والاقسام الجنوبية من سوريا ولبنان ، وسيمكننا هذا الوضع من ان نصبح سادة التجارة مع الهند والجزيرة العربية وشرق افريقيا وجنوبهــا . ولا يمكن لفرنسا الا ان ترغب في رؤية الطريق الى الهنــد والصين محتلة من شعب يسير وراءها الى الموت . وهل هناك من شعب يصلح لهذا الهدف اكثر من اليهود الذين شاء القدر لهم منذ بداية عصور التاريخ ان يرتبطوا بمثل هذا الهدف؟ وليس ثمة من شك في ان اليهود والفرنسيين قد خلقوا منذ الازل ليعملوا معاً » .

هذا مــا قالوه للحكومة الفرنسية . اما مـــا قالوه لالمانيا التي كانت تريد لنفسها دوراً في حركة الاستعمار فهو : —

« نحن نريد ان نقيم على الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط حضارة عصرية ومركزاً تجارياً يكونان دعامة للسيادة الالمانية مباشرة او لا مباشرة . وستكون فلسطين عن طريق الهجرة اليهودية قاعدة سياسية وتجارية، بل صخرة المانيّة — تركيّة، كصخرة جبل طارق، على حدود المحيط الانجليزي العربي » .

ومضوا الى امريكا وبريطانيا وقالوا : —

« ان فلسطين اليهودية التي تخلقها بريطانيا العظمى وتساعدها اميركا تعني ضربة مميتة توجه الى السيطرة الاسلامية — البروسية (اي الالمانية) — الطورانية على الشرق . ويجب ان يكون من الواضح كل الوضوح ان ثمة ارتباطاً كلياً بين المصالح الامريكية والبريطانية واليهودية في وجه المصالح التركية — البروسية »

ومضوا الى روسيا عام ١٩٤٤ فقالوا : —

«... ولن تتمكن روسيا السوفياتية عن طريق تشجيعها الهجرة اليهودية من تحميل الجماعات اليهودية في طول العالم وعرضه جميلاً لا تنساه فحسب ، بل ستخلق لنفسها ايضاً مركزاً ممتازاً في الشرق الاوسط [١] » .

وهكذا قدمت الحكومة الصهيونية وعوداً متضاربة لجميع الدول التي اتصلت بها . هذا هو اسلوب العمل الصهيوني. المبادىء لا قيمة لها ولا اعتبار، والوسائل لتكن ما تكون ما دامت تهدف الى نفس الغاية .

يقول الاستاذ احمد بهاء الدين في تعليقه على « الأسرار الخطيرة وراء وثيقة تبرئة اليهود [٢] » ما يلي: —

« ان الحركة الصهيونية — بفروعها المتشعبة — تعمل في الواقع على مستوى عدة جبهات واتجاهات .

« حيث تستطيع تحريك الشكوك القديمة والتلويح باحتمالات عودة الاضطهاد لتدفع مزيداً من اليهود الى الهجرة الى فلسطين.... تتحرك.
« وحيث لا تستطيع ، تعمد الى استغلال الاتجاه المتحرر الداعي الى ازالة كل اسباب التمييز بان تربط هذا التحرر لا بقضية اضطهاد اليهود الاوروبية القديمة، ولكن بقضية اسرائيل والدولة الصهيونية الجديدة .

(١) « التطورات الاخيرة في قضية فلسطين » للاستاذ خيري حماد ، ص ٣٠٤ وما بعدها .
(٢) مجلة « المصور » العدد ٢٠٩٦ بتاريخ ١١ / ١٢ / ١٩٦٤

حتى انها ، بنشاطها في مجال الفكر بالذات ، تنجح احيـاناً في ان تجعل تأييد اسرائيل والصهيونية علامة من علامات الفكر والتمدن .

« وحيث لا يسعفها التعصب ولا يسعفها التحرر، تعمد الى سلاح عجيب خطير ، هو سلاح عقدة الذنب وابتزاز هذه العقدة .

« كيف ؟

« امامنا نموذج شهير في اسلوبها تجاه المانيا الغربية . فالنظام الهتلري قد أباد من السوفييت الملحدين والبولنديين الكاثوليك والبلقانيين الارثوذكس اكثر مما اباد من اليهود. ولكن حسابات كل هذه المذابح ختمت واغلقت، وبقي حساب اليهود مفتوحاً .. لان هنـاك من يحرك عملية استغلاله باستمرار وتحويله الى عقدة يكفر عنها بالتعويضات والاعانات ».

فالحركة الصهيونية تمتاز بالمرونة في الاساليب ، هذه المرونة التي ترجع اول ما ترجع الى انعدام القيم الخلقية عندها والى الاصرار على بلوغ اهدافها مهما كانت الاساليب . ومع ذلك فهي تعمل بدهاء وذكاء وتحاول ان تلبس كل خطوة برداء من المبادىء والقيم . وقـد انطلت هذه الاساليب على الكثيرين ممن لا يعرفون الحقائق كاملة . واكثر الناس لا تعرف الحقائق كاملة عن فلسطين وعن العرب . وهذا الجهل بالحقائق تستغله اسرائيل الى اقصى حدود الاستغلال .

هذه ، بايجاز ، بعض الطرق والوسائل والمبادىء التي تلجأ اليهـا الحركة الصهيونية . والنقطة الاساسية التي يجب تذكرها دائماً هي ان الحركة الصهيونية حركة انانية انتهازية لا اخلاقية. هذا هو المقياس الذي يجب ان تقاس به الحركة الصهيونية دائماً . يجب ان نتوقع منها اي شيء وكل شيء .

ومن طبيعة الحركة الصهيونية ان الفشل لا يقعدها عن العمل ، كما ان النتائج الجزئية التي تحصل عليهـا لا تثبط عزيمتها . ان الحركة الصهيونية لم تستطع ان تفوز من المجمع المسكوني ومن قداسة البابا بكل ما ارادت . فقد ارادت تبرئة واضحة صريحة لليهود غـير محدودة بزمان . فجاء قرار المجمع المسكوني وبيان

قداسة البابا دون ما ارادت . ولكن ذلك لن يضيرها ، بل انها ، وقد امسكت الآن بأنيابها ستزداد ضراوة وتعنتاً وصلابة، لقد امسكت الآن بطرف الحبل بعد ان لم يكن في يدها شيء . وهذا الذي امسكت به لن يفلت من يدها ابداً .

ولذلك فان الحركة الصهيونية ستمضي قدماً في الخطة التي رسمتها . وستزداد دراستها للكتاب المقدس ولاعمـال البابوات وللعقيدة الكاثوليكية عمقاً واتساعاً لزعزعة ايمان الناس بالكتاب المقدس وبالاعمال البابوية وبعقيدتهم .

هل ستتورع الحركة الصهيونية من استعمال وسائلها هذه مع الفاتيكان ومع الكنيسة الكاثوليكية واتباعها بعد ان حدث ما حدث ؟

اننا نعتقد جازمين بانها لن تتورع ، فليس هناك ما يدعو مطلقاً للاعتقاد بان اسرائيل والحركة الصهيونية لن تسعى لاستغلال الفاتيكان وبيان المجمع المسكوني لتحقيق اغراضها الخاصة . ويجب الا نتوقع ان تحقق اسرائيل اهدافها مـع الفاتيكان بين عشية وضحاها . فالميزة الاساسية للحركة الصهيونية هي المثـابرة والصبر واغتنام الفرص والفوز في معارك جزئية هنا وهناك حتى تكسب المعركة الكبرى التي تأتي سهلة وطيعة بعد الفوز في المعارك الجزئية .

وانطلاقاً من هذه المبادىء ، فلننظر في الكيفية التي ستستغل بها اسرائيل والحركة الصهيونية وثيقة التبرئة . وهنا يجب ان نؤكد ان هـذا الاستغلال لن يتوقف على الاعتراف الرسمي باسرائيل من قبل الفاتيكان ، ولا على رضا اليهود بالوثيقة ، فالحركة الصهيونية تعمل على استغلال كل شيء ترى فيه مصلحة لها . والعرب يخطئون اذا هم ركزوا جهودهم كلهـا للحيلولة دون اعتراف الفاتيكان باسرائيل . فالخطر لا يكمن في الاعتراف باسرائيل فقط، وانما يكمن في جوهره، في استغلال القرار وتحريفه والزيادة عليه .

فمثلا ان كثيراً من الدول الكاثوليكية تعترف باسرائيـل والخطر هو ان تستغل هذه الوثيقة لجعل هـذه الدول او رجال السياسة فيهـا اسهـل انقياداً للحركة الصهيونية .

ستسعى اسرائيل لاستغلال الوثيقة في مستويات مختلفة. فهناك اولاً مستوى الرأي العام، وهناك ثانياً مستوى الساسة واصحاب النفوذ، وهناك ثالثاً مستوى الكنائس المسيحية الاخرى ، وهناك رابعاً مستوى الشعب اليهودي ، وهناك خامساً مستوى الفاتيكان. علماً بأن المكاسب التي تحقق في اي من هذه المستويات ستؤثر حتماً في المستويات الاخرى .

بداية بلا نهاية

« نتيجة للبيان الذي صدر في روما فاننا نستطيع القول بأن جميع الكنائس ستسعى لتجديد نظرتها الى الشعب اليهودي وأن تبدأ في التعويض عن اغلاط الماضي » .

« ان اثار البيان ستعتمد على مدى تطبيقه اليومي في حياة الأبرشيات الكاثوليكية » .

« ان البيان سيؤدي الى تحسين العلاقات في السنوات المقبلة » .

« ان القرار يقضي على تهمة قتل الرب التي كانت مصدراً من أعمال الاضطهاد والظلم التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الشعب اليهودي. اننا سنحكم على القرار من طريقة تنفيذه من جانب الكنيسة الكاثوليكية في المستقبل » .

« ان البيان سيساعد في النظر الى الأقليات القومية نظرة احترام » .

« ان اختيار الكلمات سيتلاشى سريعاً من الذاكرة ... وان الكلمات التي أعلنت يجب الآن أن تتحول الى أفعال » .

هكذا كانت بعض التصريحات التي صدرت في أعقاب البيان . وكلها تنبىء عن نشاط سيكون متشعب الاتجاهات والجبهات .

ما الذي ستجدده الكنائس في نظرتها الى الشعب اليهودي ؟ هل سينحصر

ذلك في ميدان العلاقات الدينية؟ ان الكنائس كلها الآن لا تعتبر اليهود مسؤولين جماعياً عن قتل المسيح ، بل ولا تعتبر أفراد الشعب اليهودي مسؤولين ، فالمسؤولية الآن قد انحصرت في القادة في ذلك الوقت وفيمن تبعهم . أما غيرهم فليس مسؤولاً . واذن فالعقدة الدينية قد حلت . والامر لا يحتاج الى اكثر من التعايش السلمي بين الديانات .

ولكن هل سيقف هذا الامر عند هذا الحد ؟

طبعاً لا .

سيعاد النظر بسرعة ، أكثر مما حدث حتى الآن ، في الكتب المدرسية، وفي المؤلفات الشعبية بوجه خاص . وستؤكد في جميع هذه الكتب والمؤلفات ، نواحي « الاضطهاد والظلم التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الشعب اليهودي » . هذه هي كلمات ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

ان حساباً طويلاً بين الكاثوليكية واليهودية عمره حوالي الفي سنة يحتاج الى تسوية ، والمدين في هذا الحساب ، كما سيظهر الآن ، هو الكنيسة الكاثوليكية . سينبش التاريخ نبشاً ، وسيحاكم الاموات من البابوات وغيرهم .

وفي الوقت الذي ستبعث فيه محاكم التفتيش الى الحياة ، ستقام محاكم تفتيش من نوع آخر لمحاكمة كل من تجرأ أو يتجرأ على اليهود أو اليهودية .

ففي جو التعايش السلمي الذي دعا له المجمع المسكوني ظهر مثلاً كتاب باللغة الانكليزية بعنوان «محاكم التفتيش الاسبانية» بقلم هنري كامن . وفي هذا الكتاب دعا المؤلف الى وجوب وضع نهاية للخرافات ، ولبداية مرحلة من التسامح . وقد عتب المؤلف في كتابه على اليهود عزلتهم . وفي هذا الكتاب دعا المؤلف « انه يجب ان ينظر الى المحاكم ليس انها مجرد فصل من فصول عدم التسامح ، بل على أنها فصل من فصول التطور الاجتماعي والديني في اسبانيا » . ويقول المؤلف :

« ان تجدد الاضطهاد (عام ١٧٣٠) يدل بوضوح على ان اليهود لم يستطيعوا كمجموعة ان يندمجوا في المجتمع . وهذا الضعف المستحكم في المجتمع اليهودي قد ساهم في عزلهم وفي القضاء على المرتدين. واكثر من هذا، لقد كان قضاء جلبوه على أنفسهم » .

هذه نظرية خطيرة ولا يمكن لدعاة الصهيونية أن يقبلوها، لانها تحطم عقدة الذنب التي أثاروها بنجاح في الماضي ويرغبون الآن في اثارتها داخل الكنيسة الكاثوليكية . ولذلك فقد ثاروا على الكتاب [١] .

ومن الآن فصاعداً ستعزى جميع الاضطهادات التي حلّت باليهود الى التعصب الديني الكاثوليكي ، بوجه خاص . وقد صرّحت بذلك جريدة النيويورك تايمز فيما نقلناه عنها في فصل سابق .

وعلى الكنيسة ، ومن ورائها اتباعها ، « أن تبدأ بالتعويض عن اغلاط الماضي » .

ما هو الشكل الذي سيتخذه هذا التعويض ؟

التعويض لن يكون مادياً . فالفاتيكان لن يدفع تعويضات .

ولكن باستطاعته ان يعوض بطرق أخرى ستجدها الحركة الصهيونية .

وأمام هذا كله ، وأمام ما سنتحدث عنه من عقدة الذنب ، ماذا سيجدي تصريح لقداسة البابا في جلسة خاصة مع وفد منظمة التحرير الفلسطينية او تصريح للكاردينال بيا بشأن التعديل الذي أدخل على القرار ، والخاص بأن الدافع له ليس سياسياً ؟ ان الكلمات ، كما قالت النيويورك تايمز ، ستتلاشى سريعاً من الذاكرة؛ وسيبقى منها في الاذهان ما تعمل الدعاية الصهيونية المنظمة على إبقائه .

(١) اسم الكتاب «The Spanish Inquisition» بقلم Harry Kamen . ورد النقد في The Observer Week end Review بتاريخ ١٩ ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٥ بقلم J.A. Cohen .

ولذلك فنحن نعجب من أولئــك الذين ظنوا ، او حاولوا ان يحملوا غيرهم على الظن ، بأن الموضوع قــد انتهى وان القرار لن تكون له آثار سياسية لمجرد وجود ثلاث او أربــع كلمات فيه .

ان السلاح الرهيب الذي ستشرعه الحركة الصهيونية هو سلاح عقدة الذنب .

فهذه العقدة التي يبدو أنها وجدت الآن ، والتي وضعت الفاتيكان في موضع المدافع،وربما المعتذر، عما ينسب للبابا بيوس الثاني عشر،لا يستبعد ان تكون في آثارها البعيدة كأثر عقدة الذنب التي افتعلت في الشعب الالماني . وكما أن الالمان قد حملوا على التكفير عن أعمال هتلر فلمــاذا لا يحمــل الفاتيكان على التكفير عن اعمال البابا بيوس الثاني عشر،بل وعن الاضطهادات التي أصابت اليهود في الماضي وأصبحت تُنسب الآن الى التعصب الكاثوليكي ؟

يضاف الى ذلك ، كما يقول الاستاذ احمــد بهاء الدين ، اننــا « حين نعود الى أسماء أقطاب الكنيسة الكاثوليكية التي ظهرت على السطح في مؤتمر الفاتيكان الاخير والتي إشتد بينها الجدل حول وثيقة تبرئة اليهود وغيرها من الوثائق، نجد أنها نفس الاسماء تقريباً التي اختلفت حول قضية الموقف من النــازية منــذ خمس وعشرين سنة . وكلهم كرادلة فوق السبعين من العمر . وهــذا كــله بالطبع غير خاف على اسرائيل ولا على الصهيونية العالمية.ومن هذه الثغرة تستطيــع بالتأكيد ان تمارس داخل الفاتيكان نوعاً من الارهاب الذي تمارسه علنا في المانيا الغربية : بتهديد كل سياسي وكل موظف كبير بكشف علاقته القديمة مع النــازية للتشهير به وتدمير مستقبله »[٢] .

وتقدر الحركة الصهيونية، بطبيعة الحال، ان في استطاعتها ان تخضع رجال الفاتيكان كما اخضعت رجالات المانيا الغربية . والحركة الصهيونية التي هان عليها التشهير بالبابا بيوس الثاني عشر لن تجد صعوبة خاصة في التشهير بمن هم دونه من رجال الكنيسة الكاثوليكية .

(٢) مجلة « المصور » عدد ٢٠٩٦ ، الصادر في ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٤

لقد صرّح الكاردينال بيا بأن هذه الوثيقة لا تعني اعتراف الفاتيكان باسرائيل . وأكدت مصادر الفاتيكان هذا التصريح المرة بعد المرة . وهذا الموقف يماثل تماماً الموقف في المانيا الغربية ، بلد الكاردينال بيا . فالمانيا الغربية لم تعترف باسرائيل الا مؤخراً . ومع ذلك فان عقدة الذنب جعلتها تساعد اسرائيل اكثر مما تساعدها اية دولة اخرى ، اذا استثنينا امريكا .

والذي لا بد من تسجيله بهذه المناسبة ، انه لا يشترط للحصول على المساعدة ان تخلص المانيا في اعتقادها بذنبها او ان يؤمن الفاتيكان بانه مسؤول بسكوته ، الى حد ما ، عما حل باليهود وغيرهم من اضطهاد إبان الحكم النازي . ليس هذا هو المهم . انما المهم ان المانيا الغربية تتنصل من افعال هتلر ، كما قد تتنصل الكنيسة من موقف البابا بيوس الثاني عشر ، وان سيف التشهير الذي تشرعه الحركة الصهيونية فيوجه الساسة الالمان ستشرعه ايضاً فيوجه رجال الفاتيكان. فهل سيكون لرجال الفاتيكان الشجاعة التي تجعلهم لا يكترثون بهذا التشهير ؟

ان الدلائل الاولى التي كشفت عنها الوثيقة تشير الى ان عدداً من الكرادلة يخيفهم سيف التشهير ، وانهم سيمضون مع الحركة الصهيونية الى النهاية المحتومة التي مضى اليها ساسة المانيا الغربية .

واذن فان الإتجاه الاول للحركة الصهيونية مع الفاتيكان سيكون تثبيت عقدة الذنب التي أفلحت الحركة الصهيونية في إقتعالها ، ثم ابتزاز مـا تستطيع ابتزازه من الفاتيكان ثمناً لذلك .

وقد فتحت الوثيقة الباب على مصراعيه للإتصال بين الكنيسة والحركة الصهيونية . فقد دعت الوثيقة ، كما رأينا ، الى البحث اللاهوتي والحوار الأخوي بين اليهود والمسيحيين لتعميق العلاقات والاحترام المتبادل بين الطرفين .

والحركة الصهيونية لن تتلكأ في ان تمد يدها لهذه اليد التي تدعوها للقيام بالبحث اللاهوتي والحوار الاخوي . هذه نتيجة طبيعية كنا قد اعلنا عنها في

بحثنا الذي نشرناه بمجلة «فلسطين» [٣] . وجاءت الاحداث مصداقاً لما حذّرنا من وقوعه . ففي ١ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ اعلن المطارنة الكاثوليك الاميركيون عن تشكيل لجنة مكوّنة من ثلاثة عشر رجلاً من رجال الدين الاميركيين للعمل مع الجماعات اليهودية بقصد التفاهم بين العقيدتين . وجاء في البيان الذي اعلنه هؤلاء المطارنة ان المجموعة الجديدة ستعمل كلجنة فرعية للجنة المطارنة المختصة بالشؤون المسكونية . وتتكوّن غالبية اعضاء اللجنة من آباء من المربين ورؤساء التحرير والكتّاب وسيضم الى اللجنة فيما بعد راهبات ورجال عاديون من غير رجال الدين . وقال البيان ان الغرض من اللجنة هو التعريف المشترك وتحقيق الاحترام المتبادل بين الكاثوليك واليهود وتشجيع دراسات الكتاب المقدس وتشجيع ورعاية الاجتماعات الكاثوليكية اليهودية في الولايات المتحدة، هذه الاجتماعات التي كانت تعقد في السنوات الاخيرة بصورة غير رسمية ومن ابرزها سلسلة الاجتماعات التي جرت في دير بندكتين بمدينة لاتروب والاجتماعات التي يجري الآن التخطيط لها في دنفر وسان فرنسيسكو [٤] .

واذن فقد بدأ التنفيذ العملي حتى قبل ان يصبح القرار نهائياً ، وقبل ان يعتمده قداسة البابا .

ومن الطبيعي ان يقوم بهذا الحوار والبحث عدد من رجال الدين اليهود من مناصري الحركة الصهيونية — وهم كثيرون . وقد يطول هذا الحوار ويتشعب . وستحاول الحركة الصهيونية بشتى السبل نقل خطواتها خطوة خطوة في اتجاه اهدافها السياسية . وقد طبعت هذه الاهداف بالطابع الديني الانساني التحرري، مؤكدة واجب الفاتيكان في العمل على الا يتعرض الشعب اليهودي مرة اخرى لما تعرض له اثناء الحكم النازي . وسيكون الهدف الاول لهذا الحوار في نظر الحركة الصهيونية الاعتراف بان قيام اسرائيل هو تحقيق «لوعد الرب لشعبه بالعودة

(٣) يراجع مقال المؤلف في الاعداد ٧ و٨ و٩ بمجلة «فلسطين» — ملحق «المحرر» ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ . و ١١ و ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

(٤) The New York Times ، ٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

الى ارض الميعاد » .

فاذا نجحت في اقناع رجال الفاتيكان بذلك ، او عدداً كافياً من الكرادلة ، او حصلت على تأييدهم سواء اقتنعوا أو لم يقتنعوا،فان الخطوة التالية هي تحديد ارض الميعاد. لقد«وعد»الرب بان حدود اسرائيل تمتد من الفرات الى النيل،وهذه هي عقيدة اسرائيل . وهذا « الوعد من الرب » يجب ان ينال المساندة والتأييد لتحقيقه ، ذلك ان بقاء اسرائيل في الرقعة التي تحتلها الآن لا يعتبر تحقيقاً شاملاً « لوعد الرب » ، ومن واجب الكنيسة ان تبذل كل ما لديها من قوة لمساندة من يعمل على تحقيق «وعد الرب» بكامله .

ويستطيع الكرادلة ، في تبنيهم هذا التفسير ، ان يطمئنوا الى مساندة الرعية الكاثوليكية في الدول الغربية. فالعالم الكاثوليكي الغربي لم يثر على وثيقة تبرئة اليهود ، بالرغم مما رأى فيها المسيحيون العرب من خروج صريح على الكتاب المقدس. فهل سيثور ام يرحب عندما يعلن الفاتيكان اوالمجمع المسكوني بأنه يرى « وعود الرب » تتحقق في قيام اسرائيل وفي امتدادها من النيل الى الفرات ؟ وأي كاثوليكي يستطيع ان يعترض على مساندة العمل لتحقيق « وعود الرب » ؟ وأي كاثوليكي يجرؤ ان يتكلم واجهزة الإعلام الصهيونية ستتناوله بالتشهير لخروجه على الكتاب المقدس ؟

ان الحركة الصهيونية قد نجحت في تصوير قيام اسرائيل على هذا النحو في كثير من الكنائس البروتستانتية الغربية . ولم تجد مقاومة تذكر لهذا الادعاء . فلماذا لا تنجح الخطوة ذاتها مع اتباع الكنيسة الكاثوليكية في الغرب خصوصاً، وأنه ليس لنا في العالم الغربي حليف واحد لقضيتنا ؟ وعندما تتضافر السياسة مع الدين لن نجد من الغرب الا قلة من الاحرار تتوفر لديهم الشجاعة الكافية ليقفوا الى جانبنا. وهذا بالضبط هو ما تهدف اليه الحركة الصهيونية في خطوتها الاخيرة هذه .

واذن فان النص في الوثيقة على « البحث اللاهوتي والحوار الديني » بين

الكنيسة والشعب اليهودي وراءه ما وراءه،ونظراً لانالحوار والبحث لايمكنان يتامع «شعب»،وانما يجب ان يتا مع هيئات ومنظات تدّعي تمثيل ذلك الشعب، فان الحوار سيتم، كا اسلفنا، مع اسرائيل (بصفتها تدّعي تمثيل الشعب اليهودي) او مع جناحها السياسي (وهو الحركة الصهيونية) او مع الصهيونيين من رجال الدين اليهود .

وبطبيعة الحال فان البحث اللاهوتي سينصرف فيا ينصرف اليه لبحث العهد القديم وبصورة خاصة بحث وعود الرب التي كان من بينها ، كا جاء في الوثيقة ، الوعد بظهور السيد المسيح . وبالاشارة الى تحقيق هـذا الوعد الوارد في العهـد القديم يُفتح الباب على مصراعيه لبحث امر تحقيق «الوعود» الاخرى .

ثم ان فتح باب البحث اللاهوتي والحوار الاخوي سيشرك اسرائيل والحركة الصهيونية في تفسير الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة . فموضوع البحث والحوار كان من بين المبـادىء الاساسية التي نادى بهـا حكماء اسرائيل في بروتوكولاتهم لافساد عقائد الناس. ترى هل فُتح الباب امام الحركة الصهيونية لإفساد العقيدة المسيحية الكاثوليكية ؟

والذي يدعو الى الدهشة حقاً ، ويثير التساؤلات الكثيرة ، هو ان تصدر هذه الدعوة لاجراء الحوار الى شعب لا يعترف بالسيـد المسيح ولا بالكنيسة . فعلى اي أساس سيكون الحوار؟ هل سيعترف الشعب اليهودي بأن السيد المسيح هو مسيحهم المنتظر،خلافاً لما استقر عليهرأيهم لمدة الفي سنة تقريباً؟هل ستقبل اسرائيل بأن تنقلب الى دولة مسيحية فتحقق بذلك الأمل المسيحي؟من المؤكد ان هذه الامور لن تقع ، وان الشيء الوحيد الذي سيقع هو ان يسير البحث والحوار لخدمة اسرائيل والحركة الصهيونية . اما الكنيسة فلن تستفيد شيئاً .

وستبرز اجهزة الإعـلام والدعاية الصهيونية هـــذا الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية ، وتتوسع فيه ، وتضيقه ، وتفسره ، حسبا تريد ؛ وتثير الظلال الكثيرة من المعاني حوله – ذلك لأن الحركة الصهيونية لن تبدأ هذا الحوار عن

حسن نية ، وانما ستبدأه لتحقق اهدافاً سياسية محددة تطبعها بالطابع الديني . وستستغل الحركة الصهيونية مجرد البدء فيهذا الحوار الى ابعد حدود الاستغلال، بغض النظر عن الاهداف الدينية الخالصة التي قد يرمي اليها رجال الدين الكاثوليك من وراء هذا الحوار .

وفي هذا الحوار ستسعى الحركة الصهيونية الى توسيع مدلول ومفاهيم العبارات التي وردت في الوثيقة . ثم تسعى لتوسيع المفاهيم في اتجاهات تخدم مصالحها ، وهذا الاسلوب في العمل ليس جديداً على الحركة الصهيونية . واكبر دليل عليه التفسيرات والمفاهيم التي اعطيت لعبارة « الوطن القومي اليهودي » الواردة في وعد بلفور .

ولذلك فان مجرد البدء بالحوار، سيحقق هدفاً من اهداف الحركة الصهيونية وسيمهد السبيل لتحقيق اهداف اخرى .

وفي اثناء ذلك ستبدأ الحركة الصهيونية في تلمس طريقها للضرب على وتر آخر ينسجم مع طبيعتها التوسعية والاستعمارية. ألا يرغب الفاتيكان في ان تكون له السيادة الروحية على الاماكن المقدسة ، او ان يشارك الشعب المختار ، شعب السيد المسيح وأُمه العذراء والحواريين في هذه السيادة الروحية ؟ ألا يرغب الفاتيكان في ان يحقق حلم الكنيسة القديم في انتزاع الديار المقدسة من ايدي المسلمين ؟ لقد قامت الحروب الصليبية من اجل هذا الهدف ، وقام الخلاف بين الكنيسة الشرقية ، بمساندة روسيا القيصرية ، والكنيسة الكاثوليكية، بمساندة فرنسا من اجل ذلك . ولكنها جميعاً فشلت في تحقيق حلم الكنيسة . اما الآن ومع وجود اسرائيل ، فان الفرصة مواتية لتحقيق ذلك الحلم القديم بمؤازرة الفاتيكان الروحية واعترافه بان قيام اسرائيل هو تحقيق « لوعد الرب » وان ارض اسرائيل يجب ان تشمل الارض التي «وعد» بها الرب ، والممتدة من النيل الى الفرات .

وستعد الحركة الصهيونية الفاتيكان باجزل الوعود لكسب تأييده. والحركة

الصهيونية مشهورة بوعودها الخلابة التي تحرص على ان تجعلها متجاوبة مع اهواء من تقدم اليه . ولا يضير الحركة الصهيونية ان تحنث بوعودها بعد ان تحقق اهدافها . وتاريخها حافل بالوعود التي قطعتها ولم تف بها .

بهذا المنطق او ما يشابهه ستحاول اسرائيل مخاطبة الفاتيكان . وقد نجحت هذه الخطة الصهيونية مع الدول الدنيوية ، فلماذا لا تجربها اسرائيل مع الفاتيكان ، فقد تنجح ؟ وتوقع الفشل لا يمنع الحركة الصهيونية من المحاولة وانما يجعلها اكثر حيطة وبراعة في اجراء المحاولة وفي تخير ظروفها والاشخاص الذين تجري معهم .

وتستطيع اسرائيل ان تؤكد للفاتيكان انها ستضمن تأييد الدول الاوروبية والاميركية لخطوتها هذه . فليس بين هذه الدول في اوروبا او امريكا دولة واحدة تعطف على العرب حقاً او تستطيع ان تقف في وجه المطامع الصهيونية وخصوصاً اذا ناصرها الفاتيكان . فالكنائس الغربية الاخرى تعطف على اسرائيل وبعضها يعتقد ان قيام اسرائيل هو تحقيق للعهد القديم . وهكذا فالكنائس الغربية كلها ستقف الى جانب اسرائيل . ولن يكون الفاتيكان وحيداً . هكذا سيمضي المنطق الاسرائيلي ولكن باسلوبه الخاص .

وستحاول اسرائيل ان تزين للفاتيكان بان إدخال المدينة المقدسة تحت السيادة الروحية للفاتيكان يضعف كثيراً من امر الكنيسة الشرقية ، المنافس التقليدي للفاتيكان في الشرق ، ويقوي في الوقت ذاته من موقف الفاتيكان في مسعاه لايجاد الوحدة او التفاهم على الاقل بين الكنائس المسيحية المختلفة . وستقول الحركة الصهيونية ان الوقوف عند مجرد اقرار الوثيقة دون السير بها الى النتائج التي رسمتها الحركة الصهيونية سيؤدي الى تقوية مركز الكنيسة الشرقية في الديار المقدسة التي تعارض هي والعرب جميعاً هذه الوثيقة معارضة شديدة . وسيكون من الطبيعي في هذه الحالة ان تناصر الدول العربية الكنيسة الشرقية ضد الكنيسة الكاثوليكية . فالنتيجة اذن ، حسب هذا المنطق الصهيوني ، ستكون خطيرة على مركز الكنيسة الكاثوليكية في الديار المقدسة ، وهذا بطبيعة الحال

ما يأباه الفاتيكان ، وستتخذ اسرائيل من رد الفعل الطبيعي لدى المسيحيين العرب ضد بيان المجمع المسكوني دليلاً على سلامة منطقها هذا .

واسرائيل بطبيعة الحال قد لا تتكلم بهذه اللغة الا بعد ان تتأكد من تأييد عدد من الكرادلة قد يتولون هم تمهيد الطريق مع الفاتيكان، كما مهد الكاردينال بيا الطريق لاصدار الوثيقة . والكرادلة الاميركيون جاهزون ، ولا شك ، للقيام بهذا الدور .

وكما تنقلت الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل من دولة الى دولة ، تستغل التنافس فيما بينها وتعرض نفسها عليها لتكون الاداة الطبيعية لحماية مصالحها وتحقيق اهدافها ، فان اسرائيل ستتنقل بين الكنائس المسيحية تثير التنافس فيما بينها على المكانة الاولى في الديار المقدسة . وبخلق التنافس بين الكنائس المختلفة تستطيع اسرائيل ان تفوز بتأييدها جميعاً مادياً ومعنوياً .

وستذهب اسرائيل الى الكنائس البروتستانتية تحذرها مغبة تأخرها في تبرئة اليهود من دم المسيح . وقد تبدأ في التمييز بين الكنائس الكاثوليكية والكنائس غير الكاثوليكية داخل اسرائيل لتشعر الكنائس غير الكاثوليكية بمكانتها الثانية ولتنذرها بأنها ستكون في هذه المكانة بعد ان تحقق اسرائيل « وعد الرب » وتحتل القدس وتعيد بناء هيكل سليمان مكان المسجد الاقصى .

واسرائيل بارعة في خلق هذا النوع من التنافس ، وفي استغلاله لصالحها الى ابعد الحدود .

ومن الغفلة بمكان ان نتصور ان الكنائس الغربية على اختلاف انواعها قد لا تستجيب لهذا النوع من المنطق ، خصوصاً وانها ترى دولتها تؤيد اسرائيل تأييداً مطلقاً . ومن الغفلة كذلك ان نحاول ان ننسى ان القدس هدف من الاهداف الرئيسية الاولى لاسرائيل . ولذلك فان اسرائيل لن تتورع مطلقاً في محاولة اي سبيل قد يعينها على تحقيق هذا الهدف وكسب الانصار ، خصوصاً

قبل ان تتمكن الدول العربية من ان تفعل شيئاً جدياً حيال اسرائيل .

واسرائيل رفضت تدويل القدس وما زالت ترفضه لانها تريد القدس عاصمة لها .

فالمسألة اذن ليست مسألة اعتراف الفاتيكان باسرائيل . انها اعمق من ذلك وابعد مدى . وانه لمن البساطة بمكان ان يقنع العرب بالتصريحات التي تصدر عن الفاتيكان مؤكدة ان قرار المجمع المسكوني لا ينطوي على اية اهداف سياسية . صحيح ان موقف الفاتيكان من البيان ومفهومه له أمران يهماننا حقاً ، ولكن يهمنا ايضاً وبصورة مباشرة جداً موقف اسرائيل والحركة الصهيونية من البيان ومفهومها له واستفادتها منه . ولا يقف امام ذلك كله اطمئناننا الى ان القرار ديني بحت وليست له ظلال او ابعاد سياسية .

اننا لا نعني مما تقدم ان الفاتيكان قد تآمر على فلسطين مع اسرائيل والحركة الصهيونية ، كما اننا لا نزعم بان الفاتيكان سيستجيب للمحاولات الصهيونية . فنظرتنا الى الفاتيكان واحترامنا لقداسة البابا يجعلاننا نجلها عن هذا كله . ولكننا لا نريد ان نفتح على انفسنا ابواباً جديدة يحتمل ان تستغلها الحركة الصهيونية ضدنا وضد وطننا وضد قضيتنا العادلة بأي وجه من الوجوه .

ونحن ننزه البابا عن ان يصدر من الفاتيكان ما قد يتيح للظالم ان يتمكن من ظلمه او يتمادى فيه . ومع ذلك فمن حقنا ان نحذر وان نحتاط .

والى جانب هذا فان الحركة الصهيونية ستبدأ في استغلال رجال الدين في المذاهب الاخرى ، ولن يرضى رجال الدين الكاثوليك بعد الآن ان يتخلفوا عن رجال الدين من المذاهب الاخرى .

وللتدليل على ذلك يكفي ان نشير الى مثال واحد .

كلنا نعلم حرص الصهيونية على تهجير يهود روسيا الى اسرائيل . ورغبة منها

في احراج روسيا امـــام الرأي العـام العالمي ، فقد اصطنعت قصة اضطهاد الاتحاد السوفييتي لليهود ، وأثارت زوبعة في هـذا الشأن ، علماً بأن روسيا تعامل اتبـاع الديانات المختلفـة معاملة واحدة لا تميّز فيهـا بين مسيحي ومسلم ويهودي .

وبدأت الحركة الصهيونية تحشد الرأي العام العالمي ضد روسيا .

وكان من بين الخطوات التي اتخذت،ان عقد اجتماع مشترك في ٢٢ مايو (ايار) ١٩٦٤ في مدينـة بفرلي هيلز بكاليفورنيا حضره حوالي الفي شخص من رجـال الدين البروتستانت والكاثوليك . وقد احتج هـذا الاجتماع على اضطهاد الاتحاد السوفييتي لليهود . ان رجال الدين المسيحيين هؤلاء لم يحتجوا على اضطهـاد الدين المسيحي في الاتحاد السوفييتي (والاتحاد السوفييتي لا يميّز بين اليهودية والمسيحية في المعاملة) . كلا لقد احتجوا على اضطهاد اليهود .

ووقع المجتمعون على رسالة أسموها «رسالة الضمير» .

من أعدّ تلك الرسالة ؟

لقد اعدّتها «عصبة مكافحة التشهير » وهي هيئة تابعة لجمعية « بناي بريث » الصهيونية الشهيرة .

وُقدمت الرسالة لوزارةالخارجية الاميركية ولوفد اميركا لدى الامم المتحدة الذي يرأسه جولدبرج اليهودي .

واتهمت الرسالة الاتحـاد السوفييتي بأنه يُجري «حمـلة تشهير بماضي اليهود وحاضرهم في الجرائد وغيرها من المطبوعات الرسمية » .

وكان من بين الموقعين على الرسالة ثلاثة من الكرادلة الكاثوليك هم: فرانسيس سبلمان، ورتشارد كشينغ، وجوزيف ريتر [٥]. وكان لهؤلاء الثلاثة دور مشهود

(٥) **Facts on File, 1964** ، ص ٢٠٨ .

في المجمع المسكوني .

وهكذا فان رجال الكنيسة الكاثوليكية قد اخذوا علانية يتدخلون في غير شؤون الدين ويتبنون المواقف الصهيونية .

ما هي الحدود التي سيقفون عندها ؟

التاريخ وحده سيطلعنا على ذلك

* * *

وللوصول الى الأهداف التي تضعها الحركة الصهيونية نصب عينيها ، فانها ستلجأ الى جميع وسائل الإعلام المتوفرة لديها ، وستسعى بكافة الوسائل لحشد الرأي العام الى جانبها ، بل والى ارغام الفاتيكان على خوض معارك علنية والى تبرير كل موقف من مواقف الكنيسة الكاثوليكية منذ نشوئها حتى اليوم .

وقد سبق لنا ان رأينا كيف اضطر الفاتيكان الى الاعتذار عن«زلة اللسان» التي وقع فيها البابا عندما تحدث عن اليهود وصلب السيد المسيح . لقد تجرأوا الآن، واصبح في مقدور اية جمعية لاية جالية يهودية ان تحاسب حتى قداسة البابا على كل ما يقوله .

والحركة الصهيونية حركة منظمة غاية التنظيم . وفروعها منتشرة في كل مكان ، تراقب وتحاسب وتتصرف . وهي في تصرفاتها جريئة الى درجة الوقاحة .

والى جانب التنظيم ، هناك وسائل الإعلام ، وهناك الإتجاه الى الرأي العام. وسيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام في الغرب ، وخصوصاً في امريكا، في غنى

عن التعريف [٦] .

اذا كان ابناء هذا الجيل من اليهود غـير مسؤولين عن صلب السيد المسيح ، فلماذا لا يكون ابناء الجيل الذي سبقهم والجيل الاسبق والاجيال السابقة حتى يوم الصلب ، غير مسؤولة هي الاخرى عن الصلب ؟

واذن فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية على خطأ طوال هذه القرون العديدة وهي تصرّ على مسؤولية الاولاد عن جريمة الآباء .

وسيقولون ان الجيل المعاصر للسيد المسيح كان سيشمله الاعفاء من المسؤولية لولا تعنت رجال الدين العرب بوجـه خاص ولولا اعتبارات سياسية تغلبت على الاعتبارات الدينية .

فالحقيقة ، اذن ، التي سيصورونها هي ان اليهود لم يكونوا في يوم من الايام مسؤولين عن صلب المسيح . وليجرؤ واحد في الغرب للرد على هذا .

واذن فعلى الكنيسة الكاثوليكية ان تكفر عن الآلام التي قاساها اليهود عبر القرون .

ألا أقل من ان يعترف الفاتيكان باسرائيل ؟

اليس عـــدم إعترافه استمراراً للتمييز ضـد اليهود المعاصرين من مواطني اسرائيل ؟ وسيتناسى الصهيونيون انـــه مثلاً لا توجد علاقات دبلوماسية بين الفاتيكان والولايات المتحدة الاميركية . ونعتقد ان الفاتيكان لم يعلن في يوم من الايام اعترافـه بالولايات المتحدة الاميركية . ولكن امريكا شيء واسرائيل شيء آخر .

ان فلسطين هي وطن اليهود وفيها اقاموا ملكهم وهيكلهم . هكذا يقول العهد القديم . فلماذا يستمر الفاتيكان في التنكر لما جاء في العهد القديم ؟

(٦) يراجع في هذا الشأن كتابا الفرد ليلنتال :
«What Price Israel» و «The Other Side of the Coin»

لا نهاية للأبواب التي ستطرقها الحركة الصهيونية ، بالرغم من الحدود الضيقة التي رسمها قرار عدم المسؤولية الجماعية لليهود عن جريمة الصلب .

ترى هـــل دخـــل الاسفين الصهيوني في جـــدران الكنيسة الكاثوليكية المنيعة ؟

ترى هل كان القرار البداية لنهاية أبعد من مرمى البصر ؟

مــاذا نعــمل

من المؤلم ان نقرر ان الحركة الصهيونية قد اعتادت ان تكيل لنا الضربة تلو الضربة بالكيفية وفي المواعيد التي تختارها . ولا تجد منا سوى ردود فعل تقليدية تستطيع دائماً التنبؤ بها مقدماً. وردودنا هذه هي في العادة الاستنكار والاحتجاج والشكوى والبرقيات والاجراءات الآنية المرتجلة . فمع ان اسرائيل قد قامت فعلاً باحتلال عدد من المناطق المجردة من السلاح او باقامة التحصينات فيها او بممارسة السيطرة الفعلية عليها ، الا ان العرب لم يفعلوا شيئاً خاصاً يرد على هذه الاعتداءات المتكررة ، فظل الاحتلال قائماً والتحصينات منتصبة والسيطرة ممارسة .

اننا منذ النكبة لم نفاجىء اسرائيل بأي عمل لم تكن تتوقعه ، باستثنـاء اعمال الفدائيين عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ، واعمال قوات العاصفة في الفترة الاخيرة. وقد ادت هذه الاعمال المفاجئة الى ارتباك حقيقي في التخطيط الاسرائيلي وفي الاوضاع الداخلية في اسرائيل مما جعلها تستغل فرصة تأميم الرئيس عبد الناصر لشركة قناة السويس العالمية لتتآمر مع بريطانيا وفرنسا على الاعتداء على قطاع غزة والجمهورية العربية المتحدة .

والموقف الذي يواجهنا الآن لن تجدي فيه الردود التقليدية — عقد المؤتمرات واتخاذ القرارات وارسال الاحتجاجات واجراء المحادثات الدبلوماسيـة مع الفاتيكان . هذه الخطوات تتوقعها اسرائيل وتعرف نتائجها السلبية قياساً على

نتائج الخطوات المماثلة في الماضي . وفي استطاعة اسرائيل والمتآمرين معها السير لتنفيذ الخطة الموضوعة بعد ان تهدأ عاصفة هذه الردود . هذا مـا نعرفه عن اسرائيل وما تعرفه اسرائيل عنا .

وان من اهم نقاط الضعف في مواجهتنا للحركة الصهيونية ان افعالنا ، عندما نفعل، تأتي متأخرة بحيث تعجزفي معظم الاحيان عن ان توقف مجرى الاحداث، او تؤثر فيها . فمثلاً ، ومع ان وثيقة التبرئة قد عرضت على المجمع المسكوني في دورته الثانية عام ١٩٦٣ ، ونوقشت مطولاً في الدورة الثالثة التي عقدت في عام ١٩٦٤ ، الا ان العرب لم يتيقظوا للامر الا بعد ان أُقرّ الموضوع بصورة تمهيدية والتزم به المجمع .

بعد ذلك فقط طاب للعرب ان يتحركوا . بعد ذلك فقد طـاب للصحافة العربية ان تتعرض للموضوع وبعد ذلك فقط تحرك سفراء الدول العربيـة لدى الفاتيكان. اماالصوت الفلسطيني المنظم فلم تكن قد اتيحت له الفرصة ليعبر عن نفسه، فمنظمة التحرير الفلسطينية لم تكن قائمة عند انعقاد الدورة الثانيـة للمجمع ، وكانت في مطلع حياتها وامامها مشكلات التأسيس الضخمة عند انعقاد الدورة الثالثة ، اي بعد ان وصل القرار مراحله النهائية تقريباً . فلم يكن في مقـدور المنظمة ان تقوم بما يجب في هذا الشأن ، وان كنا نرى انه كان في الامكان الاعداد بصورة اكثر جدية بمناسبة انعقاد الدورة الاخيرة التي عقدت عام ١٩٦٥. فالمنظمة لم تتخذ قرارها بارسال وفد الى الفاتيكان الا قبل انعقاد الدورة بايام قلائل بحيث لا يتصور ان يكون في مقدور الوفد ان يعد نفسه الاعداد الكافي لهذه المهمة الخطيرة . وبالرغم مما نشر الوفد من بيانات فاننا نستبعد ان يكون الوفد قد حقق شيئاً او اثّر في الطريق التي سار فيها القرار .

لقد كان للحركات اليهودية والصهيونية ممثلون اقاموا في روما اثناء الدورات وفيما بين الدورات يتابعون ويناقشون ويؤثـّرون. استمروا يعملون خمس سنوات في مثابرة دون انقطاع وفي مختلف الاتجاهات وعلى مختلف المستويات . فبـأي منطق نتصور اننا نستطيـع ان نفسد عليهم كل مـا فعلوه بمجرد ظهورنا على

المسرح في اللحظة الاخيرة دون اعداد ودون تمهيد بل دون اتصالات سابقة الا مع نفر قليل من الاعضاء العرب في المجمع ؟

لم يكن امر الوثيقة سراً من الاسرار . ولكن اين المتابعة واين التخطيط لمواجهة تلك المؤامرة الصهيونية الجديدة ؟ ان البعض يغمى عليه عندما تذكر كلمة تخطيط ، لأن هذه الكلمة هي نقيض الاسلوب الارتجالي الذي كنا نواجه به قضايانا من داخلية وخارجية . فالتخطيط في موضوع الوثيقة كان يقتضي متابعتها ، والتعرف على جميع الاتجاهات داخل المجمع ، وعلى زعماء الاتجاهات المختلفة ، واجراء الاتصالات منذ البداية مع ممثلي الاتجاهات المختلفة ، ومع سكرتارية المجمع بصورة مستمرة ومنذ الدورة الثانية ، واعداد الدراسات والبحوث اللاهوتية والسياسية من قبل المختصين ، وارسال مبعوثين يقيمون في الفاتيكان مدداً ملائمة لاحكام الاتصالات وللاشتراك الفعلي في اعداد النصوص او اقتراح النصوص المناسبة . اما ارسال وفد في اللحظة الاخيرة ليبدأ في التعرف على الناس وعلى الاتجاهات وليباشر الاتصالات لأول مرة والدورة منعقدة والقرار اصبح معداً ، وانتهاء مهمة الوفد بتوزيع بيان لا يقرأه احد ، فهذا ابعد ما يكون عن المواجهة السليمة لهذا الموضوع .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فاننا نعتب على رجال الدين العرب انهم لم يلفتوا انتباه الرأي العام العربي الى الوثيقة منذ ان قدمت الى المجمع . ونعتب العتب نفسه على سفراء الدول العربية لدى الفاتيكان وفي روما ، وعلى وكالات الانباء والصحافة العربية ، لأنها لم تهتم بالموضوع منذ البداية . فلا يصح في موضوع بهذه الخطورة ان تترك معالجته للآباء العرب داخل المجمع ، وهم قلة في العدد ومحرجون امام التيار الجارف الذي استطاعت الحركة الصهيونية توجيهه داخل المجمع وداخل سكرتاريته ومن حوله .

والاحتجاجات والاعتراضات العربية جاءت متأخرة . لقد جاءت كلها بعد اتخاذ القرار التمهيدي . وكاد القرار ان يكون نهائياً في ختام الدورة الثالثة ،

اي قبل ان يتحرك الرأي العام العربي ، لولا تدخل قداسة البابا . وكان من الطبيعي ان تعجز هذه الاحتجاجات والاعتراضات عن ان تلغي القرار من جدول اعمال المجلس . فقد جاءت بعد أن اتخذ القرار التمهيدي باغلبية ساحقة داخل المجمع . ولذلك فان الموقف العربي لم يستطع الا ان يتسبب في ادخال بعض التعديلات على القرار . ومها كانت اهمية هذه التعديلات ، الا انها لم تقو على زحزحة المبدأ الاساسي الذي قام عليه القرار ، كما انها لم تنجح في كبح جماح التيار الصهيوني عن الفاتيكان .

ان اسرائيل قد خططت سياستها ولا زالت تخططها على اساس ما تعرفه من ردود الفعل العربية ، وعلى ما تكاد تكون متأكدة منه ، من ان زمام المبادرة ما زال بين يديها ، وان العرب ما زالوا يقفون موقف المدافع في مختلف الميادين، وان وسائل دفاعهم ما زالت بالية عتيقة عقيمة .

وقد جاء الآن هذا القرار من المجمع المسكوني . وتتوقع اسرائيل ألا يفعل العرب شيئاً سوى الاحتجاج وسوى عقد المؤتمرات . وتتوقع اسرائيل فضلاً عن ذلك ان يكون تدخل العرب المسلمين ضيقاً ومحدوداً ، خوفاً من ان يتهموا بالطائفية وبانهم يتدخلون في الشؤون الدينية للطائفة الكاثوليكية . وهذا التوقع من جانب اسرائيل له ما يبرره . فالمسلمون يتحاشون كل ما من شأنه ان يفسر، ولو من بعيد ، على انه تدخل في الشؤون الدينية لغير المسلمين . والعالم العربي قد قاسى كثيراً من الخلافات الطائفية التي كان يحرّض عليها ويدعمها الاستعمار في عصوره المختلفة . ولذلك اذا سار المسلمون والمسيحيون في هذ االاتجاه التقليدي — الذي يعتبر كل كلمة من المسلمين في مسألة لها ناحية دينية على انه تدخل في الشؤون الدينية — فان اسرائيل تكون قد حققت ما ارادته ، واقنعت انصارها بان الوضع في البلاد العربية لا يمكّن هذه البلاد من ان ترد على القرار رداً حاسماً وانه بالامكان اغفال المقاومة العربية للتخطيط الصهيوني الجديد .

ولذلك لا بد للجانبين الاسلامي والمسيحي في البلاد العربية من ان يدركا عن

ايمان ثابت لا يتزعزع ان الوطن شيء والدين شيء آخر ؛ وان المشاكل التي لهـا جانبان ، وطني وديني ، يجب ان تعالج على الصعيدين الوطني والديـني ، دون ان يشكك في نوايا من يعملون على الصعيد الوطني في امر تجتمع فيه الصفتان الدينية والوطنية . والمسلمون عندما وضعوا ايديهم في ايدي اخوانهم المسيحيين في الثورة العربية الكبرى وما قبلها للاطاحة بالخلافة العثمانية الاسلامية لم يتهموا اخوانهم المسيحيين بمحاربة الدين الاسلامي او بالتدخل في الشؤون الدينيـــة الاسلامية ، وانما ثاروا زملاء سلاح وابناء وطن واحد ليحـافظوا على عروبة وطنهم الواحد . والوضع الآن لا يختلف في شيء ، وان تغيّر الجانب الذي يجب ان تقوم الثورة السياسية ضده . ان العرب المسلمين ، في ثورتهم الوطنية مع اخوانهم المسيحيين ، قد قضوا على الخلافة الاسلاميـة ، ولكنهم لم يقضوا على الدين الاسلامي . وكذلك الحال الآن . فان تضافر جهود المسلمين والمسيحيـين للقضاء على الآثار السياسية المحتملة لقرار المجمع المسكوني لا يكون قضـاء على الدين المسيحي او المذهب الكاثوليكي او حرباً عليها . ومن حق العرب ، مسلمين ومسيحيين من غير اتباع المذهب الكاثوليكي ، ان يتوقعوا من اخوانهم الكاثوليك ان يفرّقوا بين القرار من ناحيته الدينية وبين القرار من حيث آثاره السياسية . فاذا ارادت الطائفة الكاثوليكية العربية ان تعتبر يهود اليوم ابرياء من دم السيد المسيح فذلك شأنها، غير انه منشأننا جميعاً ان نقاوم قراراً يؤدي الىانتزاع جزء من وطننا من ايدينا او الى تضافر القوى ضدنا لتمكين الخصم في وطننا المغتصب .

وانطلاقاً من هذه المبادىء يجب ان نواجه اسرائيل ومناصريها بعمل اسلامي مسيحي يشترك فيه المسلمون على اختلاف مذاهبهم واجناسهم والمسيحيون على اختلاف طوائفهم . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان اخواننا الكاثوليك والمسيحيين الآخرين قد حددوا موقفهم وطلباتهم، ومن حقهم على الدول العربية ان تنفذ المطالب التي تقع ضمن اختصاصها ، تاركة الامور الدينية الصرف ليتولاها اخواننا ، وهم خير من يتولاها ، لحمـاية الوطن العربي لأبنائه بمختلف مذاهبهم وطوائفهم .

لا شك في ان الرد النهائي الحاسم على جميع المناورات الصهيونية هو بالطبع تحرير فلسطين . واننا لنرجو ان يكون ذلك اليوم قريباً ، فنتخلص نهائياً من جميع المؤامرات والمناورات . والا فاننا سنظل نتعرض للمناورة تلو المناورة والمؤامرة تلو المؤامرة،الى ان تحقق الحركة الصهيونية جميع اهدافها الاستعمارية. ان التأخر في الحل الطبيعي للقضية يكلفنا كثيراً من الجهد والمال، اللذين نحن في امسّ الحاجة اليهما لبناء وطننا العربي ، ولكننا مضطرون لانفاقهما في غير البناء ما دامت اسرائيل قائمة .

والى ان يحين ذلك اليوم وكجزء من واجبنا الانساني والقومي فاننا نقترح ما يأتي : ـ

١ ـ عقد مؤتمر عالمي اسلامي مسيحي يدعو اليه رجال الدين العرب ، من مسلمين ومسيحيين على اختلاف طوائفهم ، للرد على قرار المجمع المسكوني من الناحيـــة السياسية : تأكيداً لعروبة الديار المقدسة ، ومساندة من المسلمين والمسيحيين جميعاً لتلك الصفة. وهذه المؤتمرات ليست جديدة علينا ، فقد عقدنا امثالها في فلسطين في عدة مناسبات قومية .

٢ ـ انشاء وحدة ضمن وحدات جيش التحرير الفلسطيني ، يكون قوامها متطوعين مسلمين من جميع ارجاء العالم ، ومسيحيين من بين الطوائف المختلفة في الديار العربية ، ومن بين ابناء الكنيسة الشرقية اينما كانوا ، للدفاع عن الاراضي المقدسة وحمايتها ؛ على ان تتولى منظمة التحرير الفلسطينية الانفاق على هـذه الوحدة وتسليحها .

٣ ـ تنفيذ القرارات التي اتخذتها المؤتمرات الدينية والشعبية في البلاد العربية في حالة ظهور اية تطبيقات للقرار من شأنها المساس بمصالحنا او وحدتنا القومية.

اننا لا نرغب في الدخول في خلاف مع الفاتيكان ، ولكننا في الوقت ذاته لا نستطيع ان نقف مكتوفي الايدي تجاه حركة قد تطعننا في وطننا ، سواء قصد المجمع المسكوني ذلك او لم يقصده. وتمشياً مع رغبتنا الصادقه في ان تكون

بيننا وبين الفاتيكان علاقات طيبة، فاننا ندعو الى تنفيذ الاقتراحين الاول والثاني دون تأخير ؛ وتنفيذ ما قرره عدد من اخواننا الكاثوليك في الاردن (من الامتناع عن الكنائس الكاثوليكية ومقاطعتها) الى ان تظهر النتائج العملية للقرار ؛ وفي الوقت ذاته اشعار الفاتيكان بصورة جدية بان الاقتراحات الاخرى (التي من بينها الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية) ستنفذ، وقد ينفذ ما هو اشد منها من الاجراءات ، اذا تبين ان اسرائيل ستستغل ذلك القرار مع اتباع الكنيسة الكاثوليكية من رعايا ودول لتحقيق اغراض سياسية، كالدعاية لاسرائيل او جمع التبرعات لها .

وتنفيذ الاقتراحين الاول والثاني لا يمكن ان يفسر على انه عمل عدائي تجاه الفاتيكان ولكنه سيحدث أثره السياسي ويلفت نظر الفاتيكان الى جدية الموقف وجدية الرد .

قد تبدو هذه الاقتراحات مشوبة بشيء من العنف ، ولكنها ليست ذات خطورة تقاس بما يطالب به اخواننا المسيحيون على الصعيد الديني . فنحن جميعاً نواجه قضية مصير، مصيرنا ومصير وطننا ، ولا نستطيع ان نقف نتلقى الضربة تلو الضربة الى ان يقضى علينا ، خوفاً من ان يسيء البعض فهم نوايانا واهدافنا او يغضب منا ونحن نعمل من اجل السلام والعدل والحق .

٤ — تعميق الاتصال الايجابي مع الكنائس الغربية .

لقد كان غياب العرب عن المحافل الكنسية الغربية سبباً من اسباب جهل رجال الدين في الغرب بقضايانا الوطنية وبحقوقنا وبما اصابنا من حيف . والكنائس الغربية التي لها اتباع في ديارنا لم تتأثر تأثراً ملحوظاً لا بتفكيرنا الديني ولا بأمانينا القومية .

وعلى العكس من هذا كان العمل الصهيوني واثره في الاوساط الدينية المسيحية في الغرب .

فالنشاط الصهيوني مع الكنائس المسيحية في الغرب ليس حدثاً جديداً ،

وان كان قد تعاظم في الآونة الاخيرة ، متخذاً اشكالاً متعددة . فقد رأينا دور اليهود في اعادة ترجمة الكتاب المقدس وفي اعـــادة تفسيره وفي تمويل المشروعات التي تساعد على تحقيق اهدافها . ورأينا المؤلفات التي تنشر برعاية جمعياتهم او باشتراكها فيها . وكلنا على علم بالمدى الذي سخّرت فيه الحركة الصهيونية رجال الدين المسيحيين في الغرب ، وخاصة في امريكا ، لخدمة اغراضها الخاصة . ثم ما اكثر الجمعيات المسيحية اليهودية المشتركة ، والجمعيات المسيحية التي تدعمها او تضللها الحركة الصهيونية .

وقلما عقد مؤتمر ديني مسيحي إلا وظهر أثر الحركة الصهيونية في قراراته .

وبعد هذا القرار الاخير ، سيزداد النشاط الصهيوني مع رجال الدين المسيحي . داخل المؤتمرات وخارجها ، ولن يسمع فيها الا صوت الحركة الصهيونية . أما صوتنا فلن يسمع به احد . وهل يقرأ أحد غيرنا صحفنا ومجلاتنا ؟

وفي اعتقادي ان واجباً ضخماً يقع على رجـال الدين المسيحيين عندنا . وفي اعتقادي كذلك ان رجال الدين قـد قصّروا حتى الآن في اداء واجبهم القومي على الوجه الامثل والمستوى الملائم . ولعـل ذلك يرجع الى ان عدداً كبيرا من اصحاب المناصب العليا في الكنائس في الشرق ليسوا من العرب ؛ كما أنه قد يرجع الى انشغال رجال الدين عندنا ، من حيث التفكير في أمور الدين وحدها . ولا نرى ما يمنع ان ترتب الامور بحيث يرسل الى المؤتمرات اشخاص قد اعدوا لها اعداداً خاصاً من حيث الاطلاع الوافي على قضايانا القومية : فرجال الدين جزء من هذا الوطن يصيبهم ما يصيبه ، وعليهم واجب نحوه .

والذي نراه ان من الواجب متابعة المؤتمرات المختلفة والاتصال بها والاشتراك فيها والاستفادة منها لشرح القضايا العربية .

والفرص كثيرة ومتوفرة ، ولكننا لا نستغلها .

فهناك مثلاً مجلس الكنائس العالمي . وهـذا المجلس يضم ممثلين عن الكنائس المختلفة ، وقد اصبحت الكنائس الشرقية عضوة فيه . ومع ان طبيعة اعمال

هذا المجلس لم تحدد بعد ، الا ان مجال الدعوة للقضية الفلسطينية والقضايا العربية مفتوح على مصراعيه ولو على نطاق فردي .

وهناك كذلك سكرتارية الديانات غير المسيحية في الفاتيكان التي يرأسها باولو كاردينال ماريلا . فلماذا لا يحكم الاتصال بهذه السكرتارية ؟ — ولنذكر ان سكرتارية مماثلة هي التي وضعت نص وثيقة تبرئة اليهود — ولكنهم كانوا على اتصال بهذه السكرتارية ، ولم نكن نحن على اتصال سابق باحد .

واللوثريون يعتبرون من اكبر الكنائس المنظمة في العالم ، بعد الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية ،ويبلغ عدد اتباع هذه الطائفة اثنين وسبعين مليوناً ويوجد منهم حوالي ثلاثة ملايين في آسيا وافريقيا ، ولهم الاتحاد العالمي اللوثري الذي يعقد اجتماعات منتظمة . وفي احد مؤتمراته هذه اتخذ قراره الذي سبق ان أشرنا اليه في فصل سابق من هذا الكتاب .

ان المؤتمرات والجمعيات والمؤسسات المسيحية لا حصر لها — ولكننا لسنا على اتصال بواحدة منها — ثم نعجب بعد ذلك كيف يناصرون الحركة الصهيونية .

والى جانب هذا ، فان هذه المؤتمرات مناسبة لتفويت الفرصة على الحركة الصهيونية لاستغلال الدين استغلالاً غير مشروع . فالدين يجب ان يكون بعيداً عن الاستغلال . كما ان الاشتراك في هذه المؤتمرات يؤدي الى فضح الألاعيب الصهيونية لتحوير الكتاب المقدس او تفسيره تفسيرات سياسية الهدف ، وان كانت دينية المظهر . وهذه تفسيرات قد تغيب على رجال الدين الآخرين ، اما ابناء الأمة العربية الذين يعيشون المأساة فانها لا تغيب عنهم . وقد ثبت ذلك بصورة قاطعة في المجمع المسكوني ، حيث كان للبطاركة العرب اثر ملحوظ في تخفيف صياغة وثيقة التبرئة .

وعلى اى حال،فان دراسة الكتاب المقدس دراسة تواجه التحديات الصهيونية للعقيدة المسيحية ، وابلاغ هذه الدراسة ، واجبان يفرضهما الدين على ابنائه. ولا

نعتقد ان رجال الدين المسيحيين العرب سيسمحون بالعبث السياسي في معتقداتهم.

ان الحركة الصهيونية ستسعى حتماً للحصول على وثيقة لا تقل عن الوثيقة التي حصلت عليها من الفاتيكان . فهل ننتظر حتى يقع ذلك ثم نبدأ في الشكوى والانين والانتقاد والحديث عن المؤامرات الصهيونيـة ضد الكنيسة والعقيـدة المسيحية ؟

ان الواجب يقضي منع وقوع هذا الضرر ، لانه متى وقع سيكون من العسير جداً ، ان لم يكن من المستحيل ، القضاء عليه ومحو آثاره .

والامر الذي يدعو الى الدهشة حقاً هو ان رجـال الدين المسيحيين العرب ، بل والمثقفين من العرب ، لم يسهموا بشيء يذكر في مجال البحث اللاهوتي . فانت قلما تجد كتاباً عربياً يبحث في اللاهوت المسيحي بشيء من العمق . اليس غريباً ان يعيش ابنـاء بلد المسيح على تراث فكري ينتجـه الغرب ويشترك في انتاجه يهود مغرضون لهم اطماعهم الخاصة ؟

يجب ان تنشط الاقلام المسيحية المؤمنة في الشرق لمحاربة الاخطار التي تتهدد العقيدة المسيحية والتي تنطلق من الغرب . والكنائس الشرقية غنية وقادرة ان تتبنى الدراسات بمختلف اللغات وان تعممها بحيث يسمع صوتها في محافل الفكر واللاهوت .

٥ – بدء الحوار بين المسلمين ومسيحي الغرب .

لا زالت تنتشر في الغرب افكار خاطئة جداً عن الاسلام والمسلمين . وقلما تقرأ كتاباً غربياً الا وتجد انـه ينسب كل تخلف في البلاد العربية الى الاسلام . وسار في هذا الرأي عدد من المثقفين العرب والقادة العرب . فالغرب اذن في حاجة ماسة لأن يطلع على حقيقة الاسلام . وقـد تطوع بعض كتـاب الغرب فكتب عن الاسلام في الآونة الاخيرة بروح بعيدة عن التعصب [١] .

(١) من الأمثلة على ذلك كتاب **Islam** بقلم البروفسور **Alfred Guillame** (١٩٥٤) .

ولكن الحوار يجب ان يبدأ .

وقد فتح المجمع المسكوني المجـال لهـذا الحوار . ففي القرار التمهيدي ثم في القرار النهائي اشارة خاصة الى المسلمين، وفي هذه الاشارة تحية وتقدير ودعوة .

فالبيان اعرب عن الاحترام والتقدير للمسلمين لانهم يعبدون آلهاً واحداً هو الرحمن الرحيم ، ولانهم يرتبطون بابراهيم ويبجلون المسيح على انه نبي الله ، وان لم يعترفوا بــه على انه ابن الله . وحث البيان كذلك على تناسي الخصومات الاسلامية المسيحية الماضية وعلى بذل الجهود للتفاهم لمنفعة جميع البشر . وقد اتخذ هذا القرار باغلبية ١٩١٠ ضد ١٨٩ صوتاً .

وهكذا فان الفاتيكان قـد اعلن نهاية الحروب الصليبية ودعا الى احلال التفاهم والتعاون بين المسيحيين والمسلمين .

وقد صرّح الأب توماس سترانسكي ، احد اعضاء السكرتارية الاميركيين ، بأن الوثيقة ما هي الا بداية لمواجهة الكنيسة لمشكلة الحوار مع غير المسيحيين . وقال ان لدينا القليل من المؤسسات والعلماء الذين يعرفون حالة الاسلام والبوذية والهندوسية حق المعرفة [٢] .

ومما لا شك فيـه ان الروح الصليبية قد لعبت دوراً كبيراً في تكييف العلاقات بين العالم العربي من جهة والغرب من جهة اخرى . فاللنبي، قائد الحلفاء في الشرق ، اعلن صراحة عندمـا دخل القدس في الحرب العالمية الاولى ، بانـه حينئذ انتهت الحرب الصليبية . وكذلك القائد الفرنسي غورو ، عندما دخـل دمشق ، ذهب الى ضريح صلاح الدين وأمسك بعمامته وقال : هـا قد عـدنا يا صلاح الدين. وفي أثناء حرب التحرير الجزائرية كان الساسة الفرنسيون لا ينفكون عن اعتبار هذه الحرب حرباً صليبية .

ومن الثابت كذلك ان الروح الصليبية هذه قد كان لها دور كبير في التأييد الذي لقيته الحركة الصهيونية من المتدينين في الغرب . انهم يريدون كسر شوكة

(٢) The New York Times ، ١٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ .

الاسلام واحتلال اراضيه . يقول الفرد ليلنتال ، وهو يعدد اسباب مناصرة المسيحيين الغربيين للصهيونية ، ان كثيراً من المسيحيين يعتبرون الدين الاسلامي ديناً وثنياً متعصباً وان تأييدهم لاسرائيل وسيلة لمحاربة الوحدة الاسلامية — العربية . ثم يقول ان التمييز ضد المسلمين ، المتولد من قرون من الصراع بين المسيحية والاسلام ومن القصص الخيالية عن الحروب الصليبية ، قد اختلطا بالجهل العميق بتاريخ فلسطين الحديث ، الامر الذي قوى الحماس المسيحي للقضية الصهيونية [٣] .

هذه الروح الصليبية يجب ان نستعين بالقرار للقضاء عليها ، وللتأكيد على ان اسرائيل ما هي الا استمرار لروح الحروب الصليبية ضد العرب والمسلمين .

وانطلاقاً من الفكرة التي تعتبر المسلمين من ابناء ابراهيم ، فان علينا ان نفهم العالم المسيحي ما يترتب على هذا من نتائج وبالرجوع الى نصوص الكتاب المقدس ذاته .

ان العالم العربي قد قاسى كثيراً بسبب الروح العدائية التي انتشرت ضده في الغرب . وكان للتعصب الديني الاعمى دور كبير في خلق هذه الروح العدائية ، وما ترتب عليها من مآس وآلام . ولذلك فمن واجب رجال الدين المسيحي ان يعملوا مخلصين للقضاء على هذه الروح وعلينا ان نساعدهم على ذلك .

واذا كان على الكنيسة الكاثوليكية ان تحاول اصلاح اخطاء الماضي في علاقاتها مع اليهود ، فان الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من الكنائس مطالبة باصلاح اخطاء الماضي والحاضر العديدة التي ارتكبت ضد العرب والمسلمين وكان التعصب الديني اقوى دوافعها الظاهرة والخفية .

واذن اذا كان لهذه التحية للمسلمين مغزى سياسي ، فنحن نرحب بها ، لأننا نرغب صادقين في ان يقوم بيننا وبين الفاتيكان واتباع الكنيسة الكاثوليكية في العالم كله علاقات من التعارف والاحترام المتبادل والتعاون لخير الانسانية . واذا

---

(٣) The Other Side of the Coin ، ص ٥ .

كان لهذه الاشارة معنى ديني فنحن نرحب بها ايضاً ، لأننا كمسلمين نجلّ السيد المسيح ونبجّله. وقد رفعه القرآن الكريم الى اعلى المراتب هو ووالدته العذراء . وكلنا كمسلمين ، نتطلع الى تلاق مع الكنيسة يقضي على ما اقامه الجهلة من تعصب ديني ضد الاسلام والمسلمين ، ذلك التعصب الذي كثيراً ما استخدم للاساءة الى المسلمين والمسيحيين على حد سواء .

ولهذا فنحن نرحّب بهذه الاشارة ، ونرى ان الواجب الديني والقومي والانساني يفرض على رجال الدين المسلمين ان ينشطوا في اتصالاتهم مع الآباء الكاثوليك ومع الكنيسة الكاثوليكية في جميع المستويات ، وان يبدأوا معهم الحوار الجدي ليتأكد التعارف والاحترام المتبادل ويزول ما في نفوس البعض من تعصب .

فالحق ، ان سنوات كثيرة ، بل وقروناً ، من التعصب المسيحي في الغرب ضد الدين الاسلامي قد اوجد نوعاً من العقدة والمرارة ، العقدة في الغرب ضد الاسلام والمسلمين ، والمرارة في نفوس المسلمين الذين لا يستطيعون ان يروا سبباً دينياً واحداً في الاسلام يجعل مسيحيي الغرب ينظرون الى المسلمين نظرة العداء احياناً والاحتقار احياناً اخرى .

وفي اعتقادنا ان في مقدور رجال الدين المسلمين ، اذا نشطوا ، ان يخدموا الاسلام والعرب خدمة واسعة وجليلة اذا هم شمّروا عن سواعدهم ونزلوا ساحة العمل وتعاونوا مع الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية في ازالة رواسب الماضي من جهل وتعصب . فالواقع ، وعلى الصعيد العقائدي ، هو ان المسلمين (كما جاء في قرار المجمع المسكوني) « اقرب الى المسيحيين في المعنى الديني وفي علاقات انسانية واسعة » . وهذه هي الحقيقة التي كنا ، كمسلمين ، ننادي بها دائماً ، ويصرّح بها القرآن الكريم في عدة مواضع . ومن العجيب ان يسمح لأصحاب الاغراض ان يطمسوا هذه الحقيقة الناصعة زمناً طويلاً .

ليس هذا هو مجال التحدث عن روح الدين الاسلامي ، ولكنه مجال التأكيد

على ضرورة العمل الجدي من جانب المسلمين لابلاغ هذه الروح لأتباع الكنيسة الكاثوليكية في الغرب – في اوروبا والامريكيتين الشمالية والجنوبية . وقد يكون من بين الطرق المجدية توجيه الدعوات لرجال الدين الكاثوليك في البلاد المختلفة ، وعلى الاخص من بلدان امريكا اللاتينية وآسيا وامريكا الشمالية ، لزيارة البلاد العربية ليروا بانفسهم المساجد القائمة جنباً الى جنب مع الكنائس ؛ وليروا كيف قام المسلمون العرب على مرّ القرون ، وبالرغم مما واجهته بلادهم من عدوان من الغرب ، بحماية الاماكن المقدسة واحترامها . ان سدنة كنيسة القيامة منذ قرون هم من المسلمين ؛ والى جانب كنيسة القيامة يوجد مسجد صغير اقامه المسلمون في المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب – ذلك العبقري الذي أبى ان يصلي في كنيسة القيامة تجنباً للعواقب التي قد تترتب على تلك الصلاة .

والحوار مع الكنيسة الكاثوليكية يجب ان يتم على اساس منظم ، تدعمه البحوث والدراسات والتفهم العميق للنظريات الفلسفية الاسلامية والمسيحية . ففي التراث اللاهوتي الاسلامي الكثير مما يمكن عرضه لتعميق تفهم الرسالات السماوية .

وقد كان للدراسات الاسلامية التي أجراها المستشرقون اثر ملحوظ في الدراسات الدينية في الغرب ، فالبداية العلمية لنقد الكتاب المقدس بدأت نتيجة لدراسة القرآن الكريم. وفي هذا يقول الدكتور الفاروقي : « يرجع امر اكتشاف هذه العناصر (اي عناصر التحريف في التوراة) وتثبيتها، الى العلماء فون جراف Von Graf وكوهنن Kuenen وويلهاوزن Well hausen في اواسط القرن الماضي . فهؤلاء دفعهم حبهم للاستطلاع لدراسة القرآن الكريم بحثاً وراء ما يلقي الضوء على العهد القديم الذي كانوا يدرسونه بقصد تفهمه تفهماً علمياً نقدياً تحليلياً . وفي دراستهم للقرآن الكريم تشبعوا بالمبدأ القرآني القائل بأن بني اسرائيل تلاعبوا في كتابهم المقدس ، وانهم حرّفوه حاذفين منه ما حذفوا ومضيفين اليه ما اضافوا لطمع غير خلقي في نفوسهم . فزعزع هذا المبدأ ما نشأوا عليه من ايمان بأن التوراة هي نفسها ، في كل حرف من حروفها ، من

صنع الله . وأخذوا عندئذ ، بدلاً من الحيرة في تفسير النزعات المختلفة التي تنم عنها نصوص التوراة ، يتبينون مختلف الايدي وراء هـذه النصوص ، فراحوا يبحثون عن اصولها وعن الاحوال التاريخية التي ادخلت هذه المواد في التوراة تحت ظروفها ، فكانت علوم التوراة النقدية التي عرفها القرن الاخير [٤] » .

وثبت لهؤلاء النقاد ان بني اسرائيل قد حرّفوا التوراة وخصوصـاً على يد عزرا .

واذن فالحوار مجدٍ وقد ثبتت فائدته .

ويشير الدكتور الفاروقي الى نظرية دخلت العقيدة المسيحية واليهودية ولا اساس لها الا في القرآن . وهذه النظرية تتعلق بالاسباب التي ادت الى اختيار ابراهيم . فالتوراة لم تذكر سبباً لهذا الاختيار والتفضيل. ثم جاء القرآن الكريم واوضح ان سبب الاختيار هو عقيدة التوحيد لدى ابراهيم ، وثورته على الوثنية. وتبنت المسيحية واليهودية هذه النظرية دون ان تشير اي منهما الى اصلها الإسلامي، وصار المعتقد عند الناس ان هذه النظرية جاءت من التوراة [٥] .

وكذلك فقد كان للفلسفة الاسلامية دورها الكبير في حركة الاصلاح الديني التي عمت اوربا في اواخر القرون الوسطى .

واذن فللاسلام دوره الكبير في القاء الاضواء على الكتاب المقدس ، كما قد يكون للكتاب المقدس دوره في توضيح بعض الاشارات الواردة في القرآن الكريم .

ولحسن الحظ ، فقد بدأ المسلمون يسيرون في طريق البحث العلمي وطريق الدراسات . ولعل مجمع البحوث الاسلامية في القاهرة يتولى المبادرة لبدء الحوار الذي ندعو اليه .

٦ — اقامة دورات في الارض المقدسة للدراسة المقارنة للديانات .

(٤) « اصول الصهيونية في الدين اليهودي » ، للدكتور اسماعيل راجي الفاروقي ، ص ٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٨ .

اني لا ادري لماذا لم تعقد هذه الدورات حتى الآن في العاصمة الروحية للعالم كله ، بل لماذا لم ينشأ حتى الآن معهد خاص بهذه الدراسات !

ان الحركة الصهيونية تقيم دورات كهذه في امريكا بقصد الترويج لمبادئها وآرائها السياسية والدينية . ونحن أولى باقامة هذه الدورات في المدينة المقدسة .

ولتحقيق الاهداف المرجوة من وراء هذه الدورات ، وهي اهداف تنحصر في ايضاح الحقائق الدينية بعيداً عن المؤثرات السياسية ، نرى ان يتكوّن مجلس لهذا الشأن من ابناء العرب المسلمين والمسيحيين . ويعد هذا المجلس برامج الدراسة ويختار المدرسين من ذوي الكفاءة والمعرفة والنزاهة الدينية والبعد عن التعصب .

وفي استطاعة الاوقاف الاسلامية والمسيحية ومجمع البحوث الاسلامية توفير الاموال اللازمة لهذا الغرض . وكذلك فان في استطاعة الحكومة الاردنية او الجامعة العربية اعتماد الدرجة او الشهادة التي تمنح للفائزين في هذه الدورات .

٧ — عقد الندوات والمحاضرات الدينية في موسم الحج المسيحي الى الاراضي المقدسة . ولا شك في ان مصلحة السياحة الاردنية ستتعاون في هذا الامر مع المراجع الدينية الى ابعد حدود التعاون .

٨ — توجيه الدعوات الى اندية الشباب المسيحي والجمعيات المسيحية واتحادات العمال المسيحية في الغرب وفي افريقيا وآسيا لزيارة الاماكن المقدسة والاختلاط بالشباب العربي المسلم والمسيحي. وفي اعتقادي ان الشباب الكاثوليكي العربي ، الذي اظهر ما اظهره من نشاط محمود في الرد على وثيقة التبرئة ، قادر على ان يتبنى برنامجاً من هذا القبيل بالتعاون مع الاندية والجمعيات الاسلامية والارثوذكسية .

٩ — المراقبة المستمرة الواعية للنشاط الصهيوني في الدوائر الدينية المسيحية وتنظيم الرد السريع على ذلك النشاط .

١٠ — عقد مؤتمرات دينية دورية في الارض المقدسة تحت شعار « السلام مع العدل » يدعى لها رجال الدين من مسلمين ومسيحيين وبوذيين وهندوسيين .

وقد اشار قداسة البابا الى مبدأ اقامة السلام مع العدل في البرقية التي بعث بها قداسته الى الرئيس عبد السلام عارف وهو في سماء العراق عائداً من زيارته الى بومباي .

١١ - التعاون المنظم مع الجمعيات التي ابدت معارضتها للقرار، بقصد فضح محاولات الاستغلال السياسي للقرار واطلاع الفاتيكان عليها أولاً بأول ومطالبته بالتدخل ، مع مراعاة تجنب اي نشاط من شأنه اثارة الكراهية او الاضطهاد لليهود لأن هذا هو غذاء الحركة الصهيونية وغذاء الهجرة الى فلسطين المحتلة .

هذا وقد وردت في تقرير وفد منظمة التحرير عدة توصيات نحجم عن ذكرها لوجوب احاطتها بالسرية . والذي ارجوه الا تدفن هذه التوصيات فتضيع حتى هذه النتيجة من نتائج زيارة الوفد الى عاصمة الفاتيكان . فمن الخطأ ان يعتقد ان دور المنظمة قد ابتدأ وانتهى بارسال الوفد الى الفاتيكان وعودته من هناك . والتقارير لا تساوي الحبر الذي تكتب به اذا لم يعمل على الاستفادة منها .

* * *

والى جانب هذا العمل الديني، الذي نرجو ان يتحقق جانب منه على الاقل، هناك النشاط السياسي الذي لا غنى عنه . والنشاط السياسي الذي ندعو اليه في هذا الفصل هو بالاضافة الى النشاط السياسي الرسمي ، اذ أن من واجبنا أن نبدأ بمساندة العمل السياسي الرسمي عن طريق العمل السياسي الشعبي .

فما لا شك فيه أن وثيقة التبرئة على صيغتها،قد أتاحت فرصة اضافية للحركة الصهيونية لاستغلال رجال السياسة وأصحاب النفوذ،وكذلك الاحزاب المسيحية في عدد من بلدان الغرب .

فالحركة الصهيونية كانت تعتمد حتى الآن في معالجة الساسة على الاغراء وعلى دفع الاموال في الانتخابات وعلى التهديد في بعض الاحيان . اما الآن فقد اصبح لديها سلاح اضافي جديد ووسيلة جديدة للتغلغل في الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد الكاثوليكية .

لقد اصبح من واجب رجال السياسة الكاثوليك ان يعينوا الحركة الصهيونية – اصبح هذا الواجب واجباً دينياً يطالب بـه الساسة سواء كان ايمانهم بالدين قوياً ام ضعيفاً .

ولن تحتاج الصهيونية الى كبير عناء مع ساسة الغرب لتصوير حركة التحرير العربية لفلسطين على أنها اضطهاد موجه ضد اليهود يقصد بـه الاضرار بالشعب اليهودي ، بل والقضاء عليه . وان اليهود في فلسطين المحتلة سيتعرضون الى ما تعرضوا له أيام النـازية ، وعلى الغرب المسيحي الكاثوليكي ان ينهض لدرء هذا الخطر عن الشعب المختار .

والغرب مستعد لتقبل هـذا الادعاء ، أو مجاراته في سياسته ، صدّقه أم لم يصدّقه ، كسباً للرأي العام الغربي وللحظوة عند الدوائر الدينية .

وستضغط الحركة الصهيونية بجميع وسائلها لتدرج موضوع حماية اسرائيل في برامج الاحزاب المسيحية المختلفة ، استناداً الى وثيقة التبرئة .

فالحركة الصهيونية نجحت نجاحاً كبيراً في التغلغل في الحركات الليبرالية في الغرب لانهـا صوّرت نفسها نصيراً للحرية وخصماً للاضطهاد الديني والعنصري. ومع ظهور الحركة الاشتراكية دخلت فيها أيضاً على أساس أنهـا مثال لمحاولة جريئة في الشرق الاوسط لبنـاء مجتمع اشتراكي تقدمي يقضي على التخلف ويعمر الصحاري ويورق الصخور الجرداء .

والآن ستتمكن كذلك من دخول الأحزاب المسيحية الديمقراطية والمسيحية الاشتراكية على أساس أنها تحقق وعداً من وعود الرب من جهة ، وتحقق اماني وثيقة التبرئة في محاولة لانهـاء الاضطهاد الديني الذي قاسى منـه اليهود من جهة أخرى .

والامر الذي يلاحظ هو ان التنظيمات السياسية السابقة في الوطن العربي كانت هزيلة بشكل لا يسمح لها بالتلاقي او باجراء الحوار مع التنظيمات السياسية السائدة في الدول الاخرى، وزاد من صعوبة التلاقي والحوار ان الاحزاب السياسية العربية

القديمة كانت عارية من المبادىء الفكرية بحيث لا يوجد لها مجال للحوار. واضيف الى هذا كله القصور الفاضح الذي رافق النشاط الحزبي فيما يتعلق بتطوير الوطن العربي والقضاء على ما فيه من تخلف .

فالاحزاب العربية لم تكن في وضع يمكنها من اقامة حوار او لقاء . فهي ، على اي حـــال لم تكن احزاباً او حركات سياسية بالمعنى الصحيح للاحزاب والحركات السياسية . كانت أشخاصاً لا أحزاباً .

وفي اعتقادي انه لا بد لنا من ان نجد السبل والوسائل لبـدء الحوار مع الحركات والاحزاب التقدمية في جميع ارجاء العالم. ويجب ان نركّز بصفة خاصة على الدول الافريقية ودول أميركا اللاتينية حيث ينتصر المذهب الكاثوليكي .

وهذا الحوار ، عندمـا يقوم على اسس فكرية سليمة ، لن يؤدي فقط الى كشف الاباطيل الصهيونية، ولكنه سيؤدي كذلك الى القضاء على فكرة التخلف العربي والى كسب الاحترام عند الآخرين .

ان الفكر العربي المعاصر مازال في معظمه مقيداً داخل حدود الوطن العربي، ولم يصل الا قليلاً الى الناس خلف هـذه الحدود . والتجربة العربية الرائدة في القضاء على التخلف مع الاحتفاظ بالقيم الروحية والانسانية ، في حاجة ماسة الى من يجعلها في متناول الشعوب الأخرى .

وقد بدأ الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة بـداية موفقة لبدء الحوار الفكري مع الاحزاب الاشتراكية في أوربا الغربية وفي مجموعة الدول الاشتراكية . فبدأ الحوار مع الحزب الاشتراكي في ايطاليا وقد يبدأ الحوار مع الحزب الاشتراكي في فرنسا .

هذه خطوة ولا شك في الاتجاه السليم ، وخطوة موفقة لتدعيم مفاهيم الحياة العربية المعاصرة .

ولكن العبء كله يجب ألا يقع على الجمهورية العربية المتحـدة ، فهي تحمـل الكثير نيابة عن الامـة العربية . ومن واجب الحركات الفكرية والعقائدية

الأخرى في الوطن العربي ان تبدأ الحوار ايضاً .

ان مراكز الإعلام العربي التي تشرف عليها جامعة الدول العربية وصندوق الإعلام الذي أقرّ إقامته وزراء الإعلام العرب في دورتهم المنعقدة في عمان في ابريل (نيسان) ١٩٦٥ يجب ان تتجه لا الى الإعلام فقط بمعنى نشر المعلومات . وانما يجب ان تمارس نشاطاً اعمق يجعل الفكر في حد ذاته جانباً اساسياً من جوانب نشاطها .

وقد دعونا كذلك في كتابنا «من التيه الى القدس» الى ضرورة انشاء رابطة القلم الفلسطيني ، لتكون الجناح الفكري لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي يُجري الدراسات ويقوم بالاتصالات في مجالات الفكر فيما يتعلق بالقضية .

ولا ندري لماذا لا تنشط الجمعيات الفكرية والاندية الفكرية في العالم العربي لاحكام اتصالها بالجمعيات الفكرية والاندية الفكرية في البلدان المختلفة .

ان تقاعسنا عن العمل هو احدّ سلاح في يد الحركة الصهيونية ، وهو سلاح يمكن القضاء عليه اذا نحن نشطنا ونظمنا امورنا وكانت لدينا الجرأة على العمل.

ان ما ينقصنا هو الحركة الدائبة ، والصهيونية منظمة مستمرة الحركة لا تهدأ ولا تستقر .

فلا بد لنا من الحركة والمثابرة والمواظبة والتخطيط والتنفيذ .

مَـــلاحِقُ

الملحق رقم ١

نص البيان التمهيدي *

« ... ان كنيسة المسيح تعترف بان مبادىء عقيدتها قد نبتت لدى الرسل والانبياء ، طبقاً لسر الخلاص الالهي. فهي تعترف فعلاً بان جميع المؤمنين ، وهم ابناء ابراهيم — حسب العقيدة — داخلون في رسالة ذلك النبي . كما ان خلاص الكنيسة سبق ذكره فيصورة صوفية فيخروج الشعب المختار منارض الاستعباد. لهذا فان الكنيسة—ذلك المخلوق الجديد في المسيح وشعب العهد الجديد—لا يمكن ان تنسى انها استمرار لذلك الشعب الذي تفضل الله عليه برحمته الواسعة ، في يوم من الايام بتحقيق عهده القديم ، موكلاً اليـــه الوحي المذكور في كتب العهد القديم .

« ولا تنسى الكنيسة كذلك ان المسيح وُلد — من ناحية الجسد — فيالشعب اليهودي ، وان أم المسيح ، مريم العذراء ، والحواريين ، وهم اساس ودعـامة الكنيسة ، قد ولدوا ايضاً في الشعب اليهودي .

« وتضع الكنيسة نصب عينيها دائماً ما قاله بولس الرسول في شأن اليهود : الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. » (الرسالة الى اهل رومية ٩/٤) .

* مجلة « آخر ساعة » ، عدد رقم ١٥٧٠ الصادر في ٢٥ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٤ .

ولما كان المسيحيون قد تسلموا من اليهود ذلك التراث العظيم فان هذا المجمع المسكوني يهدف الى التشجيع والتوصية بمراعاة التعارف والاحترام المتبادل تماماً بين المسيحيين واليهود ، الذي سيصبح عميقاً عن طريق البحث اللاهوتي والحوار الاخوي . كما ان المجمع المسكوني ، بالاضافة الى ذلك ، يستنكر بشدة ، ذلك الظلم الذي يستهدف له الناس في اي مكان ، كما يستنكر ايضاً الكراهية والمعاملة السيئة لليهود .

« ومن الواجب ايضاً ان نذكر ان اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الامل المسيحي ، والواقع ان الكنيسة ، حسب تعـاليم بولس الرسول (رسالة رومية ١١/٢٥) تفتح بعقيدة متينة ورغبة اكيدة ، في وجه ذلك الشعب ، باب الدخول في سلطان شعب الله كما وطده المسيح .

« لهذا يجب على الجميع ان يراعوا ، سواء عند تلقين الدين المسيحي او نشر كلمة الله او في المحادثات اليومية ، عدم اظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون او القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود . ويجب ، بالاضافة الى ذلك ، ان نحرص اشد الحرص الا نعزو الى يهود عصرنا ما ارتكب من اعمال ايام عذاب المسيح .

« وكثيراً ما أكد المسيح بان الله هو ابو البشرية ، كما جاء في « العهد القديم » وفي المسيحية . وكما يقول بذلك المنطق ايضاً . ولكننا لا نستطيع ان نتوجه الى الله او نعبده ، كأب لكل الناس ، اذا ما نحن رفضنا المعاملة الاخوية لبعض الناس الذين خلقهم الله على صورته. والحقيقة ان علاقة الانسان بالله الأب وعلاقة الانسان باخوته متحدتان فيما بينهما الى درجة تجعل كل انكار للاخوة البشرية ، انكار لله نفسه الذي لا يرضى على ذلك من احد، فالوصية الاولى تتفق مع الوصية الثانية بشكل يجعل خطايانا لا تغفر اذا لم نغفر نحن من كل قلوبنا لكل من يعتدي علينا . ولقد قيل في العهد القديم : ألسنا ابناء اب واحد ؟ ألم يخلقنا إله واحد؟ اذن فلماذا يكره بعضنا البعض ؟

« وهذا المعنى آكده العهد الجديد بوضوح: من لم يحب اخاه الذي يراه فكيف

يستطيع محبة الله الذي لا يراه ؟ وهذه الوصية التي جاءتنا على لسان المسيح ايضاً : من يحب الله فليحب أيضاً اخاه ..

« وبدافع هذه المحبة نحو اخواننا، فلننظر بعين الاعتبار الى الآراء والمذاهب التي ، وان تباينت كثيراً عن آرائنا ومذاهبنا ، فانها تضم نواة من تلك الحقيقة التي تنير قلب كل انسان يولد في هذا العالم ..

« ولنعانق أولاً المسلمين الذين يعبدون إلهاً واحداً والذين هم اقرب الينا في المعنى الديني وفي علاقات ثقافية انسانية واسعة .

« ولننزع من نفوسنا كل اساس تقوم عليه كل نظرية او عملية من شأنها ان تميّز بين الانسان وأخيه في الكرامة والحقوق والتي تميّز بين أمة وأمة .

« ومن الضروري اذن ان يتوقف الناس اصحاب القلوب الطيبة وخصوصاً المسيحيين ، عن التفرقة بين الناس ، وان يكفوا عن المعاملة السيئة ، بسبب الجنس او اللون او الوضع الاجتماعي او الدين .

«والمجمع المسكوني يناشد كل المسيحيين ، بكل ما وسعهم من قوة ان يكون سلوكهم حسناً بين الأمم ، ليكونوا في سلام مع جميع الناس . والمجمع المسكوني يناشد المسيحيين ايضاً ان يحبوا اعداءهم، وبذلك تكونون أبا كم الذي في السموات، فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين . »

الملحق رقم ٢

نصّ البيان الجديد بشأن اليهود *

عندما يتمعن المجمع في اسرار الكنيسة ، فانه يذكر العلاقة التي تربط شعب العهد الجديد **روحياً** بسلالة ابراهيم .

فكنيسة المسيح تعترف بان أصل ايمانها واختيارها يوجد في البطريرك وسائر الانبياء وفقاً لرحمة الله ، وتعترف بأن جميع المؤمنين بالمسيح ابناء ابراهيم في العقيدة ، تشملهم دعوة البطريرك المذكور ، وان خلاص الكنيسة قد **سبق ان رمز له** صوفيا في خروج الشعب المختار من ارض العبودية ، لهذا فان الكنيسة لا يمكنها ان تنسى بانها عن طريق هذا الشعب الذي تفضل الله برحمته التي لا تخطىء وانشأ معه ميثاقه القديم هذه الكنيسة قد تلقت الوحي في العهد القديم وانها تتغذى من جذور شجرة الزيتون الطيبة التي نمت عليها فروع شجر الزيتون البري لغير المؤمنين .

وتعتقد الكنيسة في الواقع ، ان المسيح ، سلامنا ، قد صالح في **ذاته** بين اليهود والاميين وحقق وحدتهم .

وتضع الكنيسة دائماً نصب عينيها كلمات بولس الرسول في ذوي **قرباه** الذين لهم التبني والمجد والعهود والناموس والعبادة والوعود ، ولهم ايضاً البطاركة ومنهم المسيح بحسب الجسد ابن العذراء مريم ، وتذكر الكنيسة **ايضاً** ان الرسل

* ترجم هذا البيان عن الفرنسية من النص المنشور في جريدة « لوموند » بتاريخ ٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٥ ، العبارات التي بالحرف الاسود هي التي اضيفت الى النص في الدورة الاخيرة .

من أصـل الشعب اليهودي ، وان الرسل هم أسس الكنيسة وأعمدتها وإن عدداً وافراً منهم كانوا من التلاميذ الاوائل الذين بشروا بالانجيل في العالم .

وتشهد الكتب المقدسة ان القدس لم تتذكر وقت مجيئه وان اليهود في سوادهم لم يقبلوا الانجيل ، واكثر من هذا فان عدداً كبيراً منهم قد عارض في نشر تعاليمه ، ومع ذلك **فان اليهود بسبب آبائهم بقوا** اعزاء عند الله الذي ليس في عطائه واختياره اي ندم ، ومع الانبياء والرسل ، فـان اليهود يترقبون الاله وحده حيث جميع الشعوب ستتضرع الى الله بصوت واحد ويخدمونه تحت نير واحد، وبما ان هنالك رابطة عظيمة بين المسيح واليهود فان هذا المجمع قد شجع وأوصى بالتعارف والتقدير المتبادل اللذين يتولدان بوجه خـاص من الدراسات الانجيلية واللاهوتية والحوارات الأخوية .

ومع ان ذوي السلطة عند اليهود واتباعهم قد حرّضوا على موت المسيح، فان ما ارتكب اثناء آلامه لا يمكن ان يعزى ، دون تمييز ، الى جميع اليهود ، الذين كانوا عائشين اذ ذاك ولا الى يهود ايامنا .

ومع ان الكنيسة هي شعب الله الجديد ، فانه يجب الا يعيّر اليهود ، بحجة الاستناد الى كتب مقدسة بانهم عند الله ملعونون او مرذولون ، ولذلك فليحترس الجميع من ان يلقن في التعليم المسيحي وفي الكرازة بكلمة الله **بما لا ينسجم مع حقيقة الانجيل وروح المسيح ، وبالاضافة الى ذلك فان الكنيسة ، وهي التي تستنكر جميع الاضطهادات في حق الناس اياً كانوا ، وذاكرة تراثها المشترك مع اليهود ، وغير مدفوعة بأية اسباب سياسية وانما مدفوعة بالمحبة الدينية الانجيلية فانها تأسف كل الأسف للبغضـاء والاضطهادات ومظاهر اللاسامية الموجهة ضد اليهود في جميع الازمان ومن اي مكان .**

وعلى اية حال، فان المسيح الذي كانت الكنيسة ولا تزال تسانده ، ان المسيح قد احتمل آلامه وموته طوعاً وبدافع محبة عظيمة من اجل خطايا البشر كلهم **لكي يصلوا الى خلاصهم** فعلى الكنيسة **اذن ان تردد** صوت المسيح باعتباره رمزاً لمحبة الله في العالم ومصدراً لكل نعمة .

الملحق رقم ٣

مقال الايكونوس الياس الرشماوي *

رئيس الطائفة الأرثوذكسية العربية في بيت ساحور بالضفة الغربية - الأردن

واخيراً قرر المجمع المسكوني الفاتيكاني تبرئة اليهود من صلب المسيح . ان اضطهادات عنيفة وشديدة تعرضت لها الكنيسة في التاريخ ، وكانت اي واحدة منها تكفي للقضاء على المسيحية وتدميرها لولا انها ديانة سماوية ومؤسسة على صخرة الايمان ، اذ قال السيد المسيح لتلميذه بطرس : « على هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » . ولذلك فقد انتصرت الكنيسة على جميع هذه الاضطهادات .

ومع ان قرار المجمع البابوي في مدينة الفاتيكان ينسف في ظاهره الايمان المسيحي، وقد جاء هذا – مع الاسف الشديد – من رأس الكنيسة الكاثوليكية وطغمته من الكرادلة ، الا أنه لن يغيّر شيئاً من واقع الايمان المسيحي ولن يؤثر في شيء على العقيدة المسيحية الراسخة المبنية على تعاليم المسيح .

وتناسى المجمع البابوي في قراره هذا ، حكم السيد المسيح على اليهود اذ انزل عليهم الويل في اربع عشرة آية وردت في الانجيل المقدس ، حيث اصدر حكمه

* نشر هذا المقال في جريدة « المنار » الأردنية ٢٦/١١/١٩٦٤ .

العادل عليهم : هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً . ثم جاء بعد ذلك القرآن الكريم فثبّت حكم السيد المسيح على اليهود بآية كريمة تقول «ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله » .

وفي سنة ٤٩١ ميلادية انعقد المجمع المسكوني في مدينة القسطنطينية « لتتمة المجمعين الخامس والسادس المسكونيين » بأمر من الامبراطور يوستنيانوس الثاني حضره فطاحل علماء الكنيسة واساقفتها في الشرق والغرب وسنّ مئة قانون وقانونين ، كان من ضمنها قانون يحدد علاقة المسيحيين باليهود ، فالقانون الحادي عشر يقول بنصه الحرفي ما يلي : —

«لا يجوز للمسيحي اكليركياً كان أو علمانياً ان يأكل من فطير اليهود ، او ان يتصاحب معهم او ان يستدعي أطباءهم اذا كان مريضاً ، او ان يقبل منهم أدوية » .

هذا هو القرار الخطير الذي اتخذه ذلك المجمع المسكوني المقدس بحق قتلة السيد المسيح . فاين قرار الامس المبني على العقيدة المسيحية المجردة من الخداع والمصالح والملتزمة بحرفية الانجيل من قرار اليوم؟ ذلك القرار المزري الذي سيطرت فيه روح الصهيونية المجرمة على المجتمعين فجردتهم من مسيحيتهم وايمانهم . وأثار الشكوك بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية . ولم يفطن اولئك المجتمعون في الفاتيكان لقول السيد المسيح : —

« الويل لمن تأتي على يده الشكوك ، خير له ان يعلق في عنقه الرحى ويطرح في البحر » .

ولست أدري ما هو الداعي الى مثل هذا القرار الذي إن دل على شيء فانما يدل على مدى الاستهتار بالقيم الدينية والاخلاقية مما فتح ابواب الفاتيكان الواسعة لناكري المسيح ، اليهود الأئمة ، الذين حملوا وزر صلب السيد المسيح بقولهم لبيلاطس النبطي الوالي الروماني « دمه علينا وعلى اولادنا » .

«ونحن في هذه البلاد المقدسة التي بزغت فيها شمس المسيحية فولد فيها السيد

المسيح ونما وترعرع في ربوعها وصلب ومات وارتفع الى السماء من أرضها يحزّ في نفوسنا بل ويؤلمنا أشد الألم ان نرى اتباع المسيح في الغرب يتجاهلون قصة الصلب التي وردت في الانجيل وقصة صلب فلسطين العربية في القرن العشرين وتشريـد اهلها وبنيها واغتصابها من اصحابها الشرعيين . أما كان الاجدر بالمجمع الفاتيكاني ان يثيرها حرباً مقدسة على صالبي المسيح وفلسطين ؟ أمـا كان الاجدر بهم ان يحاولوا تخفيف آلام فلسطين الجريحة بانزالها عن الصليب ومد يد العون والمساعدة الفعالة لها وتضميد جراحاتها ليرجع اليها بنوها فيكونوا بذلك قد انتصروا للسيد المسيح ولبلده فلسطين ؟

الملحق رقم ٤

مقال القس عقل *

لم أستهجن شخصياً شدة انحراف المجمع الكاثوليكي المسكوني في اقراره لوثيقة التبرئة المعهودة ، بقدر استهجاني لبعض تلك الآراء المستحدثة المضللة التي طلع على العالم بها في هذا الصدد .

ولعل اخطرها ما قد أُقحم في بنود قرار التبرئة ذاته ، والقائل — بان يسوع المسيح كان يهودياً . ان أقل ما يمكن ان ينعت به هذا الرأي المبتدع انه ملغوم خطر ، وان في مادته ما يهدد بنسف الديانة المسيحية من أساسها .

فالمعروف تاريخياً ولاهوتياً — ان السيد المسيح كان فوق كل جنس وبشر ، ذلك لانه جاء مباشرة من السماء ، من الله العلي القدير .. ولانه كان أصلاً ، مع الله ، وجاء من عنده — كانت طريقة الحمل به عجائبية خارقة لأساليب الطبيعة المرعية ، ومتسامية عن قوانينها المعروفة .

لهذا السبب فان عقيدة مجيء يسوع من عند الله ، هي اهم بكثير من رواية ميلاده في مذود بيت لحم. وعقيدة المجيء هذه، تنفي بصورة قاطعة انتماء السيد المسيح الى جنسية معينة ، او بلد خاص .. بالعكس ، انها تثبت منذ البداية ، صحة انتمائه الى السماء مباشرة .. مما يجعله بالتالي ملكاً للجنس البشري بكامله .

هذه حقائق عظيمة خطيرة يعترف بها، ويشهد عنها كل من الانجيل والقرآن.

---

* جريدة « المنار » ، ١٩٦٤/١١/٢٥ .

اما ان يلصق المجمع المسكوني الجنسية اليهودية بالسيد المسيح ، فمعناه نكران لأصل يسوع السماوي وتشكيك جذري هدام في طبيعته الالهية .

والمؤسف حقاً ان هذا التشكيك هو أقصى ما قد هدف اليه اليهود،ودرجوا على نشره منذ ان وقف فيهم السيد المسيح واعظاً في كنيس بلدته الناصرة . فقد قصد حينها ، ان يقولها لهم — بأن جميع نبوات أشعياء وسائر قدماء انبياءهم قد تحققت اخيراً في شخصه هو بالذات . أنه هو نفسه المسيح المنتظر والذي جاء الى هذه الارض من الله وليس بمشيئة بشر ..

وقد سجل الانجيل ، كيف قاوم اليهود آنئذ «ادعاء» يسوع ، وقاموا عليه محاولين رجمه وقتله — وهم يعبّرون عن رفضهم الجازم لأقاويله بالعبارة التاريخية التالية : —

« اليس هذا إبن يوسف النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم ، واخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا، أو ليست اخواته جميعهن عندنا ؟ فمن أين له هذه « الادعاءات » كلها ؟ »

ان مجرد النظر في عبارة اليهود العريقة هذه ، وما تحمله في مضمونها من تلميحات رخيصة ، واشارات مغرضة وتلويحات بعيدة المدى — يكفي لبلبلة أي انسان ، وبذر بذور الشك في فكره ، بالنسبة لحقيقة أصل السيد المسيح الالهي .. وخصوصاً وان امه قد حبلت به وهي عذراء وبدون ان تكون قد تزوجت بخطيبها يوسف .

وبالطبع ان انكار اليهود القدامى لمعجزة الحبل بلا دنس ، جعلت مسألة شرعية ولادة يسوع وصحة اصله وألوهية نسبه — موضوع طعن وتحقير من قبل اليهودية العالمية على مرّ العصور .

ولهذا فان تصريح المجمع المسكوني كما اوردته الأنباء ، والقائل — بأن « يسوع المسيح كان يهودياً » هو في رأينا أخطر بكثير مما يشغل بال الناس هذه

الآونة .. ذلك لان فيه اعترافاً ضمنياً باتهامات اليهود المعروفة عن السيد المسيح – بأنه ولد من أب بشري يهودي ، وبطريقة غير شرعية .

ليتني كنت مخطئاً .. وليت سيد الفاتيكان الذي عرفنا في هذا البلد وعرفناه يدرك مـدى خطورة استعداد يهود اليوم لاستغلال تصريح مجمعـــه المسكوني العابر .

لا ... لقد طفح الكيل أخيراً .. وهذا أكثر مما نستطيع نحن العرب المسيحيين احتماله بعد اليوم من الغرب .. لقد كفرنا فيما مضى بسياسة الغرب الحمقاء ، واليوم يدفعنا الفاتيكان دفعاً لان نكفر بمسيحيته الخرقاء » .

بقي سبيل واحد أمامنا لا مجال للمساومة فيه . انه سبيل التخلص كلياً من تلك الروابط التي تربطنا بالغرب المسيحي .

لهذا الغرض سنمتضي أمضى سكين في حوزتنا ، لنقتلع بــه جذور كل علاقة كنسية لنا مع الغرب ونقطعها إرباً إرباً .

ولسوف نجتز كل رئاسة كنسية أجنبية وارسالية دخيلة من أرجاء ربوعنا – لنقيم لجماعتنا الاصيلة عبر رحاب وطننا العربي الكبير كنيسة مسيحية وطنية يعتز بها كل مواطن لانها ستكون وستظل دوماً من البلاد واليها ..

لماذا يصر بعضنا على ضرورة استجداء مسيحية غربية من الخارج ؟ ترى هل كان المسيح أوروبياً ؟ وهـل هو وقف على امـيركا وكنتربري والفاتيكان وارسالياتها ؟

متى .. متى ، كانت ديانة المسيح مستوردة دخيلة على بلد المسيح ؟

أيها المسيحيون العرب لقــد وقعت الواقعة بينكم وبين الغرب المسيحي وفي هذه المرحلة الحـــاسمة لا يكفي مجرد الاستنكار لقرار المجمع المسكوني – مهما بلغت شدة هذا الاستنكار وحدّته ..

عليكم ان تقرروا الانفصال نهائياً عن كنيسة الغرب ..

انكم حالياً ، تجتازون أزمـة مريرة ... ولكن هـذه الأزمة هي في صميمها أزمة كرامة لا غير .

فهل من كرامة أيها الاخوان .. ؟

الملحق رقم ٥

مقال الاستاذ عيسى الناعوري *

نحن نفهم ان تكون الدعوة الى التآخي الانساني عملاً انساني المصدر والروح وان تكون البشرية في حاجة الى الايمان بهذه الاخوة الانسانية .

ونحن نفهم كذلك ان الغرب قد تعب من الصراع والحروب والدماء التي زرعتها العداوات السياسية ، والاحقاد القومية والاطماع الاستعمارية ، فأصبح يشعر بالحاجة الى الاستقرار والى التفوق على احقاده وعداواته واطماعه ، لكي يحل محلها مشاعر الاخوة والود بين الانسان والانسان .

ونحن نؤمن كما يؤمن الغرب ، بل اعمق واصدق مما يؤمن الغرب ، بحاجة البشرية الى السمو الى مستوى انسانيتها النابعة من مصدر إلهي منزه عن الطمع والحقد والشر والعداوة لكي تجد راحة النفس والاطمئنان والاستقرار، فتنصرف الى الابداع والى خلق الخير والجمال في الحياة لأجل الجميع .

كل هذا نؤمن به نحن ايضاً اكثر مما يؤمنون هم ، وهو الهدف الاساسي لكل دين ، وغاية التعاليم الاخلاقية في كل أمة .

لقد جاءت جميع الاديان لهذا الغرض ، لربط الارض بالسماء وجعل حاجات الروح في الانسان مرتبطة بحاجات الجسد . فيعمل المرء لدنياه كأنه يعيش ابداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً . وبذلك يجعل سعادة حياته في الارض مرتبطة

* جريدة « المنار » ، ١٩٦٤/١١/٢٧ .

بسعادة آخرته وهو لن يعرف السعادة في الارض من غير ان يريد السعادة للآخرين ، فسعادة كل فرد في الحياة مرتبطة بسعادة الآخرين ، ولا تتم الواحدة من دون الاخرى ، وهذا يفرض على البشر ، فرضاً لا مناص منه : ان يتحابوا ، ويتآخوا ويتعاونوا .

هذه الروح الانسانية الخيّرة نحن نؤمن بها كل الايمان وندعو اليها بكل ما نملك من قوة وحرارة واخلاص .

الا ان ما لا نؤمن به هو ان نمد أيدينا الى الحقائق الثابتة الخالدة لكي نبدلها او نحرفها او نشوهها ، لنجعل من هذا جسراً لاسترضاء الآخرين ، ولا سيما متى كان هؤلاء الآخرون ممن تأصلت الجريمة في نفوسهم ، وتغلغل في ضمائرهم حب المؤامرة على البشرية جمعاء على مدى اجيال التاريخ كلها .

واذا كان لا يجوز العبث بحقائق التاريخ العادية ، وهي اشياء من صنع الارض الزائلة المعرضة لكل خطأ كبير ، فان حقائق الدين الثابتة أحرى بأن لا تمسها يد بشرية زائلة بأي عبث ، لانها من صنع المتنزه عن كل خطأ . ان قيمة الدين في نفوس البشر هي في ارتباطه المباشر بالله وبحقائق الوجود الكبرى، فاذا اصبح من صنع البشر ، واذا جاز لبشري ان يحرّف فيه ويبدّل وفق اهوائه ، فقد انتهت مكانته في النفس ، وانتفى اثره فيها انتفاء تاماً، ذلك لأن ثقة البشري بالبشري هي ثقة معرضة للزوال في كل لحظة ، ولكن ايمانه بالله هو الذي يظل خالداً في نفوس الاجيال .

نقول هذا بمناسبة قرار المجمع المسكوني الغريب الذي لا يكتفي برفع مسؤولية دم السيد المسيح عن الاحياء من اليهود ، بل يبرىء حتى اليهود الذين صلبوه منذ حوالي الفي سنة ، بل هو لا يكتفي بهذه التبرئة للذين كانوا يلجون في الصياح امام بيلاطس: اصلبه اصلبه ... دمه علينا وعلى بنينا ... اطلق لنا براباس واصلب يسوع ، بل يطالب القرار بعدم لومهم على جريمتهم العتيدة .

ان في هذا القرار انكاراً للحقائق الانجيلية التي توارثتها اجيال النصرانية

منذ عشرين قرناً ، او هو بكلمة اخرى ، تكذيب علني للانجيليين الاربعة الذين أثبتوا في اناجيلهم جريمة اليهود بصلب المسيح وجريمتهم في البصق في وجهه ولطمه والهزء به قبل الصلب باصرار ولجاجة وصفاقة لا مزيد عليها .

واليهود لم يكتفوا بهذا . لقد كانوا هم الخاصة التي ظهر فيها السيد المسيح ولكنهم تنكروا له وانكروه وأهانوه ، وانتهوا الى تعليقه على الصليب . وقد جاء في الانجيل « لقد جاء الى خاصته وخاصته لم تعرفه » لقد هزئوا به حياً ، وما زالت أجيالهم تهزأ به وبدينه وبتعاليمه وبكنيسته وبأمه العذراء التي يقذفونها بكل منكر من القول .

واذا كانوا اليوم قد ألقوا بكل ثقل نفوذهم ودعايتهم على احبار الكنيسة الكاثوليكية لكي يفوزوا منهم بهذا القرار المستهجن ، فليس ذلك اعترافاً منهم بالديانة المسيحية ولا تقديراً لقيمة الكنيسة الكاثوليكية التي صلب اجدادهم مسيحها ولكنها حاجتهم الى تأييد الكاثوليك في العالم لجريمتهم الجديدة في فلسطين هي التي تدفعهم الى هذا ، وهم سواء بهذا القرار ، الذي انكر حقائق الانجيل ، ام من دونه ، لن يعترفوا بالمسيح ولا بديانته ولن يحترموا الكنيسة الكاثوليكية وعقيدتها .

اننا نحترم رؤساء الدين ما احترموا عقيدتنا وحافظوا على ارتباطها الالهي بنفوسنا . فاذا ما امتدت ايديهم الى العبث بالكتب التي تعاقبت الاجيال على الايمان بقدسيتها ، فهناك نعتبرهم قد خرجوا على كل حدودهم ، واعطوا المجال للشكوك وزعزعوا الدين في نفوس معتنقيه . ذلك لأن الدين ناموس الهي ، وليس من حق اي بشر ان يعدل فيه كلمة واحدة .

لرؤساء الدين حق الاجتهاد في تبصير اتباعهم بالحقائق التي ليس لها نص صريح في دستور الدين المكتوب ، اما التعدي على النصوص المكتوبة لتأويلها بشكل يخالف نصوصها الصريحة فهذا مما لا يمكن ان يكون لمخلوق حق فيه ولا سلطة ، ذلك لأن العبث بالنصوص يجعل من دستور الدين شيئاً بشرياً عرضة

للتبديل ، ومعنى هذا ان تنتفي سلطة الدين ، ويصبح مجالاً للتلاعب ولعبث العابثين وتنتفي صلته المباشرة بالسماء .

لقد درجت الأجيال الكاثوليكية على اعتبار البابا معصوماً من الخطأ عندما يقرر حقيقة دينية . وهذا طبعاً في مجال الاجتهاد في غير النصوص الصريحة . فاذا ما صدق البابا قرار المجمع المسكوني بتبرئة اليهود من صلب المسيح فقد قرر حقيقة جديدة مخالفة للانجيل ولأقوال المسيح نفسه وخرج بذلك عن اصول سلطته الدينية وعلى عصمته من الخطأ . وقرار مثل هذا يترتب عليه احد أمرين:

فاما ان تعيد الكنيسة النظر في الاناجيل الاربعة وفي اعمال الرسل ، فتحور فيها وتبدل بشكل يتناسب مع القرار ، ومع النفوذ اليهودي الذي اعمى بصائر احبار الكنيسة الغربيين ، وعندئذ لا نعود ننسب الاناجيل الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبعض الاحبار الذين ايدوه ، وعندئذ نحن في غنى عن هذه الاناجيل الجديدة الممسوخة .

واما ان تظل الاناجيل هي هي ، بنصوصها الاصلية دون تحريف وتظل كلها تصرح بان اليهود هم الذين صلبوا المسيح ، وليس سواهم ، رغم القرار ، ورغم المجمع المسكوني وعندئذ يكون قرار المجمع « قراراً مع وقف التنفيذ » وهو ما لا يرضى به اليهود ، وقد بذلوا كل نفوذهم العالمي للحصول عليه .

فهل سيكون قرار المجمع نافذاً ، فيتبدل معه نص الاناجيل وحقائقها الاصلية ، ام يظل « قرار مع وقف التنفيذ » ؟

هذا ما ننتظر ان تفسره لنا دورة المجمع المقبلة ، وبتفسيرها سيعرف العالم ان كان الغرب ينظر الى الدين كحقيقة ازلية ثابتة . ام يعتبره مهزلة يمكنه التلاعب بها كما يشاء .

الملحق رقم ٦

بيان المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي *

« طالعتنا الصحف بقرار صادر من المجمع المسكوني يقضي بتبرئة الشعب اليهودي من صلب نبي الله المسيح عليه السلام . وقد سبق هذا القرار محاولات خفية وظاهرة قامت بها الدوائر الصهيونية والقوى الاستعمارية الضالعة معها زمناً طويلاً لإصدار هذه التبرئة الامر الذي ينفي عن الموضوع أي صفة دينية، ويجعله مجرد حركة سياسية ، ترمي لضمان تأييد العالم المسيحي للفكرة الصهيونية وما تبيته من شرور للاسلام والعرب بل للانسانية قاطبة . ولا يسعنا في هذا المقام الا أن نسجل تقديرنا لموقف الاساقفة الشرقيين وغيرهم الذين حاولوا جهدهم منع صدور هذا القرار تكريماً لدينهم وعقائدهم أن تكون العوبة في يد اليهود وأعوانهم . اننا نؤمن إيماناً لا يتزعزع برأي الاسلام الثابت في قضية الصلب حيث جاء في القرآن الكريم « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » كما لا يزيدنا اقدام المسيحيين على تبديل عقائدهم وشرائعهم تحت تأثير الشهوات والاهواء الا استمساكاً بما أنزل الينا من كتاب لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . واننا لنعجب أشد العجب أن تسمح الشعوب المسيحية لحفنة من القادة الذين تأثروا بنفوذ الصهيونية الخادعة وتعاونوا معها الى درجة العبث بالعقائد الدينية الموروثة ونقض ما كان

---

* جريدة «المنار» ٢٧ / ١١ / ١٩٦٤ .

عليه أسلافهم طوال ألفي سنة مما يقوي الشكوك التي تروج لدى الكثيرين من المسيحيين أنفسهم من صحة كتابهم وعقائدهم ، وتعطي سلاحاً جديداً للقوى الالحادية والمادية التي تسخر بالشرائع المسيحية وتعمل على نقض عراها واحدة بعد الأخرى . واذا كان بعض أقطاب الكنيسة الكاثوليكية قد اكتشفوا بعد عشرين قرناً أن كتبهم المقدسة عندهم كانت تقوم على خطأ وأن اليهود لم يتعرضوا لنبي الله عيسى بأي أذى ، فماذا تراهم يقولون في أنواع الاضطهاد التي صبها اليهود على المسيح عليه السلام منذ جهره برسالته الكريمة الى أن رفعه الله تعالى إليه ؟ وماذا تراهم يقولون عن المجازر الدموية التي أوقعها اليهود باتباعه في كل بقعة كان لليهود فيها سلطان طوال قرون عديدة ؟ بل مـاذا يقولون فيما تنقله الصحف ووكالات الانباء العالمية في هذه الايام عن اضطهاد السلطات اليهودية في اسرائيل المزعومة للرعايا المسيحيين واغتصاب كنائسهم وممتلكاتهم وزج رهبانهم في السجون بدعوى ان اسرائيل وطن للشعب اليهودي وحده ولا يجوز أن يمارس على أرضها دين غير الدين اليهودي ؟؟ .

إن من المؤسف أن ينسى قادة الكنيسة الكاثوليكية هـذه الحقائق الثابتة لديهم قديماً وحديثاً ويعرّضوا دينهم لنكسة كبرى لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاديان إرضاء للصهيونية العالمية ، ولحفنة من رجـال السياسة الذين وقعوا تحت تأثيرها . واذا كانت الصهيونية العالمية قـد نجحت بالتأثير على أقطاب الكنيسة الكاثوليكية لاتخاذ هذا القرار فان ذلك يعني ان هذه الكنيسة في عهدها الجديد أصبحت على استعداد لان تسير في اتجاه موال للصهيونية،معاد للاسلام والعرب، وعلى الامة الاسلامية أن تكون على استعداد لمواجهة خطوات عدائية أخرى في هذا الاتجاه . ان على الكنيسة الكاثوليكية أن تذكر أن هذه السياسة العدائية التي لا تحمل أية مجـاملة للمسلمين والعرب ليس من شأنها الا إثارة العـداء بين العالمين الاسلامي والمسيحي وربما كانت هذه هي الغاية التي يريدها اليهود . ولا شك أن متابعتها يمكن أن تجر أضراراً بعيـدة المدى على الكاثوليكية كدين ، لأن أتباعها من المسيحيين العرب سيكتشفون حتماً أن دينهم ومقدساتهم قد

استحالت الى مطية للاغراض السياسية .. أما دولة الفاتيكان فان مصالحها في بلاد الاسلام يمكن أن تتعرض لأذى بليغ ولا سيا وأن لهـا في بلادنا مؤسسات ورعايا يتمتعون بالحمـاية الكريمة والضيافة الحسنة ، التي أسبغها عليهم المسلمون والعرب خلال القرون، ولا سيا في أزمنة مظلمة كانت المذاهب والفرق المسيحية المختلفة يضطهد بعضها بعضاً فمـــا وجد الجميـع غـير ديار الاسلام ملاذاً وحمى المسلمين مأمناً .

ان المجلس التأسيسي لرابطة العـالم الاسلامي اذ يستنكر الدوافع السيـاسية الخبيثة الكامنة وراء هذا القرار ليهيب بالمسلمين حكومات وشعوباً أن يعتبروا ويزدادوا ثقة بدينهم وأن يوحدوا كلمتهم ويجمعوا صفهم تجاه هذا الحلف الشرير وأن يدركوا أن تـآزرهم واجتماع أمرهم هو العصمة لهم من المكايد والشرور بعد عون الله تعالى وتأييده « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » .

الملحق رقم ٧

مقال الأستاذ أحمد بهاء الدين

المنشور في مجلة المصور الصادرة في
١١ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٤

الأسرار السياسية الخطيرة

السلاح الذي تستخدمه اسرائيل ضد رجال الفاتيكان .
كيف يجب ان يتصرف العرب ازاء هذه القضية ؟

قصة البابا ، والمؤتمر الكاثوليكي العالمي والوثيقة التي أصدرها لتبرئة اليهود الحاليين من دم المسيح ، وما يشاع عن وجود ضغط صهيوني على الكنيسة الكاثوليكة : كل هذه خيوط تتجمع منها قصة من اعجب القصص السياسية في هذا العصر .

ولعل الكتابة التحليلية الواقعية في هذا الموضوع تكون بالغة الحرج ، لانها تصدم كثيراً من المشاعر في كثير من الجبهات .

هل هي قصة دينية تدور حول صلب المسيح ؟ .

هل هي قصة عنصرية تتصارع فيها النزعات السامية والمعادية للسامية والصهيونية وغيرها ؟

هل هي قصة سياسية تحتدم فيها مواقف الشيوعية والنازية والرأسمالية وما اليها ؟ ...

انها كل هذا !

الجانب الديني

لا أظن أن من مهمة هذا المقال أن يتصدى لهذا الجانب او يتعمق فيه . ان المسيحية تقول ان اليهود هم الذين صلبوا المسيح ثم قالوا ان دمه عليهم وعلى ابنائهم من بعدهم ، فهم مسؤولون عن هذا الجرم حتى اليوم . والتعديل الذي أراد الفاتيكان أن يدخله هو أن يهود اليوم ، بعدما يقرب من الفي سنة ، ليسوا مسؤولين ولا ملعونين على هذا الجرم . أما الدين الاسلامي فهو يعلن أن الجريمة ذاتها لم تقع قط ، وبالتالي فلا مسؤولية هناك ولا مسؤولين .

الموضوع الديني اذن قديم . والجدل فيه قديم . ولو كان ما أستجد من رأي الفاتيكان مسألة دينية فحسب ، لما أثار هذا الضجيج كله .

ولكن أول امتداد لهذه القضية هو : الامتداد العنصري .

الجانب العنصري

انالاضهاد العنصريظاهرة قديمة عرفتها أوروبا بالذات عبر القرون الوسطى وحتى العصر الحديث ...

والحروب الدينية والعنصرية ، والمذابح الدينية والعنصرية ، تشغل جانباً باهظاً من تاريخ القارة الاوروبية كلها ..

ومن بين المظاهر العنصرية القديمة في اوروبا : نزعة معاداة السامية التي كانت تجد التعبير عنها في اضطهاد اليهود ، جيلاً بعد جيل ، على يد النظم الاوروبية الدينية والدنيوية .

فما انزله هتلر باليهود ، لم يكن اول مـا نزل بهم في ظل الحضارة الأوروبية بشتى تقلباتها .

هذه العنصرية ، والنزعة المعادية للسامية، لم تعرفها المنطقة العربية قط. اولاً لان العرب ساميون. وثانياً لان الدين الاسلامي لم يقل بنظرية صلب المسيح. وان كان العرب قد اصبحوا فجأة وفي القرن العشرين ضحايا لعدوان صهيوني يهودي متعصب ، يتمثل في احتلال فلسطين وتشريد العرب واقامة دولة لاسرائيل .

وكـأن العرب المتسامحين يدفعون بذلـك ثمن قرون من التعصب العنصري الأوروبي ، كانت قمتها هي ما ارتكبه هتلر في منتصف القرن العشرين .

وعندما كان الباحثون والمؤرخون ينقبون عن اسباب اضطهاد اليهود المستمر في اوروبا كانوا يصطدمون دائماً بسبب كبير من بين الاسباب هو: ما يسجله التاريخ عن جريمة اليهود في صلب المسيح .

ودائماً .. كان هناك حلان متصارعان للمشكلة اليهودية :

حل يقول بتجميعهم في دولة واحدة ، تكون وطناً قومياً لهم . وهذا الحل كان يتفق عليه المتعصبون ضد اليهود ، اولئك الذين يريدون لهم ان يختفوا من حيـاة بلادهم ، والمتعصبون بين اليهود ، اولئك الذين تكونت منهم الحركـة الصهيونية ، التي وصلت الى اقامة دولة اسرائيل على اشلاء شعب عربي .

وحل ثان يقول بان انتشار روح التحرر والتسامح والمساواة، واختفاء نزعات التعصب الديني والعنصري ، سوف تؤدي الى ذوبان اليهودي في البلاد التي يعيش فيها ، حين يحس ان له ما لأبنائها من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات . وهو الحل الذي يسمى بالـ « **Assimilation** » .

والخلاف ، في العالم اليهودي نفسه ، ما زال حتى الآن حاداً بين الاتجاهين ، حتى بعد قيام دولة اسرائيل ..

فبصرف النظر عن ان كل يهودي – بالتأكيد – يتمنى ان تظل وتزدهر دولة

اسرائيل ، وهذا امر طبيعي ، فان هذا الخلاف يتمثل في قضايا اخرى ، كقضية الهجرة الى اسرائيل .

وكلنا نذكر الانفجار العنيف الذي حدث منذ سنتين تقريباً ، حين ندد بن جوريون بكل يهودي يعيش خارج اسرائيل ويرفض الهجرة اليها ، ذاهباً الى حد اتهامه في يهوديته ذاتها .. فتصدى له يهود انجليز وفرنسيون وامريكان ، ممن لا يريدون بالطبع التضحية بحياتهم في تلك البلاد والهجرة الى اسرائيل . فيومها ايضاً كان رأي اصحاب بن جوريون ان ما يراه اليهود اليوم من موجة تسامح في الغرب امر عارض ويمكن ان يتحطم في اي مناسبة. وبالتالي فليس لليهودي الا دولته . في حين كان من رأي خصومه ان الاتجاه الى الذوبان والـ Assimilation قوي ونهائي ، والتطور الانساني لا يسمح برجعة الى الوراء في مجال التمييز العنصري والديني ..

المهم هو : ان مصلحتنا الواقعية والسياسية تكمن بالتأكيد في الاتجاه الثاني الذي يهدف الى تذويب اليهود في بلادهم الحالية ، وليس في الاتجاه الذي يرمي الى التمييز ضدهم وبالتالي الى تجميعهم في دولة اسرائيل ، وتدعيمها بالملايين فوق الملايين عن هذا الطريق .

وحين نجد اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية تعملان من اجل تحويل موقفنا نحن العرب من اسرائيل ، من موقف سياسي وطني الى موقف عنصري تاريخي ، يجب ان ننتبه وان نكشف هذه المحاولات في مهدها .

اولاً ، لان النزعة المعادية للسامية غريبة – تاريخياً – عنا وهي نزعة اوروبية في الدرجة الاولى .

وثانياً ، لان مصلحتنا السياسية هي في انتشار موجة التحرر الأوروبية ، التي تجعل اليهود يجدون مكانهم الطبيعي في مختلف بلاد العالم ، لا في دولة اسرائيل القائمة غصباً على ارض عربية هي فلسطين .

ووثيقة الفاتيكان الاخيرة ، من هذه الزاوية غير الدينية – لانني لا اعطي

نفسي حق الدخول في الجانب الديني والحكم عليه – تخدم في الواقع دعـاة هذا الاتجاه الثاني ..

ولكن هل المسألة بهذه البساطة ؟ .

هل المسألة كل المسألة هي ان هذا الاتجاه الى التحرر والقضاء على الحزازات العنصرية اتجاه سليم ويناسب في منطقه تاريخنا ومصلحتنا .. وخلاص ؟ ..

ان السياسة – مع الاسف – لا تعرف هذه المثاليات. ولذلك فعلينا ان ننقب عما وراء هذا من ظلال. وهذا ينقلنا الى الجانب الثالث من جوانب القصة الغريبة.

الجانب السياسي

ان الحركة الصهيونية – بفروعها المتشعبة – تعمل في الواقع على مستوى عدة جبهات واتجاهات ..

حيث تستطيع تحريك الشكوك القديمة، والتلويح باحتمالات عودة الاضطهاد، لتدفع مزيداً من اليهود الى الهجرة الى اسرائيل .. تتحرك ..

وحيث لا تستطيع، تعمد الى استغلال الاتجـاه المتحرر الداعي الى ازالة كل اسباب التمييز: بان تربط هذا التحرر لا بقضية اضطهاد اليهود الأوروبية القديمة، ولكن بقضية اسرائيل والدولة الصهيونية الجديـدة . حتى انهـا ، بنشاطها في مجال الفكر بالذات ، تنجح احياناً في ان تجعل تأييد اسرائيل والصهيونية علامة من علامات الفكر والتمدن .

وحيث لا يسعفها التعصب ولا يسعفها التحرر، تعمد الى سلاح عجيب خطير، هو سلاح عقدة الذنب . وابتزاز هذه العقدة ..

كيف ؟

امامنا نموذج شهير في اسلوبها تجاه المانيا الغربية. فالنظام الهتلري قد اباد من

السوفييت الملحدين والبولنديين الكاثوليك والبلقانيين الارثوذكس اكثر مما اباد من اليهود . ولكن حسابات كل هذه المذابح ختمت واغلقت ، وبقي حساب اليهود مفتوحاً .. لان هناك من يحرك عملية استغلاله باستمرار ، وتحويله الى عقدة يكفر عنها بالتعويضات والإعانات .

فهل هناك « عقدة » تبتز بها الصهيونية الفاتيكان ؟

نعم !

وهذا ما كشفت عنه الوثائق الخطيرة التي نشرت خلال الاسبوعين الأخيرين بالذات .

فقد ازيح الستار لأول مرة عن جزء جديد من ارشيفات الاوراق الخاصة بالدولة النازية الهتلرية ، وكان الجزء الجديد خاصاً بالعلاقة بين المانيا النازية والبابا الاسبق ، بيوس الثاني عشر ..

ان « النازية » هي احدى الخطايا الكبرى للحضارة في القرن العشرين . خطيئة يتنصل منها الآن كل فرد وكل مؤسسة ، كما يتهرب السليم من الاجرب..

فهل يمكن ان يكون البابا نفسه ، بمركزه الروحي الهائل ، قد انزلق ، ايام المد النازي الرهيب ، الى تأييده ؟

كلنا نذكر مسرحية « المندوب » التي أثارت ضجة كبرى في العام الماضي . والتي دارت حول البابا بيوس الثاني عشر ،وسكوته خلال الحرب العالمية الثانية ، بينما جنود هتلر يجمعون اليهود من الشوارع المحيطة بالفاتيكان ذاتها ، الى حيث كانوا يبادون في غرف الغاز .. سكوته رغم معارضة بعض رجال الكنيسة له ، سكوته رغم ان الامور وصلت في اوروبا الى درجة لا تسمح لاحد بالسكوت او الحياد السلبي .

وكانت الطريقة التي استغلت بها المسرحية تنم عن ابتزاز واضح للكنيسة الكاثوليكية وتهديد لها بكشف هذه الصفحة ..

وقد جاءت الوثائق الرسمية التي اذيعت اخيراً – ولعل اذاعتها ايضاً ليست مصادفة – لتؤكد ان ما ذهبت اليه المسرحية ، في اساسه صحيح ..

ولكن مـا هو « المنزلق » الذي انزلق منه البابا بيوس الثاني عشر الى تأييد هتلر او السكوت عنه ؟ ..

ان البابا بيوس الثاني عشر ، قضى سبعة عشر عاماً من حياته في الكنيسة ، يعمل في المانيا ، قبل ان ينتخب للبابوية . وشهد هناك فترة العشرينات والثلاثينات حين كادت الحركة الشيوعية تستولى على الحـكم في المانيا ثم لم يقهرهـا الا لجوء الرأسمالية الى دكتاتورية هتلر لتدميرها .

والذي يبدو لي ، من قراءة الوثائق المنشورة ، انه منذ ذلك الوقت تكون لديه اقتنـاع مبسط . ان الشيوعية ، بوصفها دعوة إلحادية ، هي الخصم الاعظم للكنيسة ، والنازية هي الاسلوب الوحيد الذي نجح في وقف الشيوعية . وبالتالي فعلى الكنيسة ان تقف من النازية موقفاً مؤيداً .. او موقفاً غير معاد على الاقل .

هذا التفسير ، يؤكده تصرف البابا بعد ذلك خلال الحرب العالمية الثانية . فمن بين الوثائق المنشورة ، على سبيل المثال :

* في يوم ٢ مـارس ١٩٣٩ ، انتخب بيوس الثـاني عشر بابا على الكنيسة الكاثوليكية . وفي يوم ٦ مارس ارسل خطاباً الى هتلر ، ينبئه بهذا الامر .

والخطاب نفسه اجراء روتيني ، يرسله اي بابا جديد الى رؤساء الدول المختلفة لدى انتخابه .. ولكن الباحثين في ارشيف الدولة الهتلرية وفي ارشيف الفاتيكان نفسه لاحظوا أمرين : الاول ان الخطـاب المرسل الى هتلر هو اطول الخطابات المرسلة الى رؤساء الدول واكثرها حرارة ، والثاني ان البابا قد وقـّع بيده ، لا على الخطاب الاصلي المكتوب باللغة اللاتينية كالعادة ، ولكن ايضاً على الترجمة المرفقة بالخطاب .

وبعد ارسال الخطاب باسبوع تقريبا ، ارسل « بيرجن » السفير الالمـاني في

الفاتيكان رسالة الى وزير خارجيته في برلين « فون ريبنتروب » يقول فيها ان البابا تعمد ان يشعره بان اول خطاب ارسله الىرئيس دولة كان خطابه الى هتلر.

* ولم تكد تمضي اسابيع على انتخاب البابا،حتى كانت الازمة التي ساقت الى الحرب العالمية الثانية قد انفجرت ، وهى ازمة مطالبة هتلر بضم اجزاء من بولندا الى بلاده .

ماذا كان رد فعل البابا خلال هذه الازمة ، مع ملاحظة ان بولندا حتى ذلك الوقت كانت اكثر دول اوروبا كاثوليكية تقريباً ؟

ارسل الى « بيك » رئيس بولندا يقترح عليه اعطاء الاقليات الالمانية مزايا جديدة. ثم ارسل اليه مرة اخرى يقول له «ان اعطاء دانتزيج وبولينيا الى المانيا قد ينقذ السلام » . ويومها ثار « بيك » ورد عليه قائلاً : ان نشر رسائل البابا سوف يصدم الرأى العام البولندي الكاثوليكي .

واشتعلت الحرب ، اذ اجتاح هتلر بولندا كما هو معروف في سبتمبر ١٩٣٩ ، اي بعد ستة اشهر فقط من انتخاب البابا السيء الحظ .

* وبتاريخ اول يناير ١٩٤٠،اي بعدنشوب الحرب واجتياح بولندا وتحطيمها بأربعة اشهر ، ارسل القائم باعمال سفارة المانيا في الفاتيكان رسالة يسجل فيها مقابلته الاخيرة للبابا ، ويروي فيها ان البابا أبقاه لديه اكثر من الوقت الرسمي المحدد للزيارة ، وانه قال له خلال المقابلة ان ما يشاع عن نفور البابا من النظم الشيوعية « الدكتاتورية » غير صحيح ، بدليل علاقاته الطيبة مع النظام الايطالي القائم « وهو نظام موسوليني الفاشيستي » .

* وقد كان البابا يصدر بيانات يعرب فيها عن أسفه ، بوجه عام ، على الدم المراق ، عندما هاجمت المانيا بولندا ، وبعد ذلك هولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا . ولكن لوحظ انه لم يصدر حتى مجرد بيان عام عندما هاجم هتلر النرويج والدنمارك. ولوحظ ان جريدة « اوبزرفاتوري رومانو » الناطقة بلسان البابا ،

كتبت في اليوم التالي لهذا الهجوم الاخير تقول : « انه لا يوجد في النرويج سوى ٢٠٠٠ كاثوليكي فقط . واذا كان البابا له رأيه في الموقف من الناحية الاخلاقية ، الا انـه ، من الناحية العملية ، يجب ان يفكر في مصير ٣٥ مليون كاثوليكي يعيشون في المانيا » .

* وفي ارشيف المانيا الهتلرية ، ان المندوب البابوي في المانيا كان يقابل مدير ادارة البروتوكول في وزارة الخارجية الالمانية يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ ، خلال اجتياح القوات الالمانية لفرنسا ، فقـال له انه مسرور للغاية من الانتصارات العسكرية الالمانية ، وانه يتمنى الا تتأخر ايطاليـا في دخول الحرب الى جانب هتلر ، وكان هذا الحديث قبل دخول ايطاليا الحرب بساعات .

الوثائق المنشورة هذه الاسابيـع حافلة بهذا النوع من التقارير . لا اظن، بعد تقديمها كنماذج، انه من المهم سرد الكثير منها . ولكن من المهم القفز الى الوثائق الخاصـة بسنوات الحرب الاخيرة ، عندما بـدأت المانيا النازية تنهار ، وبدأت القوات السوفيتيه تزحف من اطراف آسيا الى قلب اوروبا .

ففي سنة ١٩٤٣ ، توجد خطابات – نشرت – كتبهـا السفراء الالمان لدى الفاتيكان خلاصتها : ان البابا يقول ان هنـاك ارضاً مشتركة بين الكنيسة والمانيا هي محاربة الشيوعية . وانه لذلك يمكن العمل من اجل اعلان هدنة بين الحلفاء الغربيين وهتلر ، تسمح له بتركيز كل قوته ضد الاتحـاد السوفياتي ، بل يجب ان يقوم بين هتلر والحلفاء الغربيين تحالف ايجابي ضد الاتحاد السوفييتي ..

وعندما اخذ الحلفاء موقفاً من عدم التفاهم مع المانيا الا بعد التسليم بدون قيد ولا شرط .. نقلت التقارير المنشورة ان البابا كان معترضـاً على هذا الموقف من هتلر ..

وفي تلك الاوقات بالذات، اشتدت حركة النازية ضد اليهودية، وتمت واقعة القبض على يهود روما بالذات .

ولم يتحرك البابا ، لانه كان لا يريد ان يسهم في اضعاف موقف المانيا ، التي

ظل يعتقد انها الحاجز الوحيد ضد غزو الشيوعية لاوروبا .

ومن يقرأ الوثائق المنشورة سوف يلاحظ ان هذا « التفاهم المتبادل » بين البابا وهتلر ، ليس معناه ان العلاقات بينهما كانت «سمناً على عسل» . فقد كانت تمر بفترات بالغة الصعوبة والتوتر ، ولكن هذا كله كان يقف عند حد معين لا يتعداه ، محافظة على اقتناع البابا بفكرة ان المانيا الهتلرية هي الحاجز الوحيد ضد الشيوعية .

والذي زاد وضع البابا صعوبة ، ان رأيه هذا لم يكن يوافقه فيه كل رجال الكنيسة الكاثوليكية ، خصوصاً الذين تعرضوا لمحنة الاحتلال النازي في فرنسا وبولندا وغيرها . وهنا ايضاً تنم الوثائق عن انه كان هناك صراع حاد داخل الكنيسة الكاثوليكية حول الموقف من النازية بوصفها عدوانا على كل الشعوب والاجناس .

وحين نعود الى اسماء اقطاب الكنيسة الكاثولكية التي ظهرت على السطح في مؤتمر الفاتيكان الاخير ، والتي اشتد بينها الجدل حول وثيقة تبرئة اليهود وغيرها من الوثائق ، نجد انها نفس الاسماء تقريباً ، التي اختلفت حول قضية الموقف من النازية ، منذ خمس وعشرين سنة . وكلهم كرادلة فوق السبعين من العمر .

وهذا كله بالطبع غير خاف على اسرائيل ولا على الصهيونية العالمية . ومن هذه الثغرة تستطيع بالتأكيد ان تمارس داخل الفاتيكان ارهاباً من نوع الارهاب الذي تمارسه علناً في المانيا الغربية : بتهديد كل سياسي وكل موظف كبير بكشف علاقته القديمة مع النازي للتشهير به وتدمير مستقبله .. في الوقت الذي تمارس فيه جهدها على مستوى آخر ، للربط بين قضية « التحرر » بوجه عام وقضية « اسرائيل » الدولة ، والصهيونية الحركة ، لا اليهودية كدين فحسب ..

* * *

تلك هي طبيعة الارض التي نواجهها في هذه المشكلة ، بتعقيداتها المختلفة

وابعادها الواقعية : وتصرفنا – خصوصاً الدعائي – ازاءها يجب ان يكون شيئاً آخر غير مجرد رد الفعل الصارخ العصبي . تصرفنا يجب ان يؤكد على عدة معان هامة لتطورنا القومي والاجتماعي كله .

– ان الجدل الديني ، في الحدود الدينية ، لا دخل لنا فيه .

– ان مبادىء التحرر والتسامح والبعد عن العنصرية هي مبادئنا ، وان اسرائيل هي مظهر حركة عنصرية رجعية هي الصهيونية، وهي تركة اضطهادات أوروبية غير عربية . وان الفهم الحقيقي لقضايا التحرر والمساواة هو الى جانب العرب لا ضدهم ، وعلى العرب اخذ زمام المبادرة في هذا المجال .

– اننا مستعدون دائماً لنكشف كل محاولة اسرائيلية لاستغلال الدين والهيئات الدينية في قضايا سياسية . فنحن لن نقبل ان تسوى اوروبا تركتها العنصرية والسياسية الثقيلة .. على حسابنا .

الملحق رقم ٨

النصّ الأصلي للوثيقة التي قدّمها الكاردينال بيا

رئيس سكرتارية المجمع المسكوني
الى المجمع اثناء انعقاد دورته الثانية ، والتي
اقترح ضمّها الى الباب الخاص بعمومية الكنيسة

« الفصل الرابع : موقف الكاثوليك ازاء غير المسيحيين ولا سيما اليهود »

يجدر بنا ان نقول ، بعد ان تناولنا مبادىء «عالمية » الكنيسة الكاثوليكية انه نظراً لاختلاف الوضع ، لا يجب تطبيق نفس الاشياء عندما يتعلق الأمر بالحوار والتعاون مع غير المسيحيين،وان كانوا يعبدون الله، او على الاقل يحتفظون بدافع الطيبة ، بقانون الرسالة الخلقية المكتوبة على الطبيعة البشرية .

وأكثر ما يحدث هذا الامر،عندما يتصل باليهود المرتبطين بكنيسة المسيح، وذلك لسبب خاص .

تعترف كنيسة المسيح بأن مبادىء عقيدتها واختيارها طبقاً للسر الرباني لخلاص البشر موجودة أصلاً عند الانبياء والرسل . وانهم داخلون في نداء هذا النبي ، وان سلام الكنيسة مذكور في سفر الخروج المتعلق بالشعب المختار في ارض العبودية .

والكنيسة بصفتها جسماً جديداً في المسيح لا تستطيع ان تنسى انها استمرار لذلك الشعب الذي خصّه الله بكريم رحمته فيما مضى فأبرم معه « العهد القديم» .

وتعتقد الكنيسة،بالاضافة الى ذلك، ان المسيح – وهو سلامنا – قدوسعت محبته اليهود والامم ، وانه جعل من الاثنين واحداً وان من اتحاد الاثنين في جسم واحد اعلن تراضي العالم في المسيح ، وحتى لو ظل جزء كبير من الشعب بعيداً عن المسيح ، فان تسميته « بالشعب الملعون » تعتبر سبة ، ما دام يظل عزيزاً على الله من اجل الاباء والهبات التي خصوا بها .

كما ان تسميته « بالامة القاتلة للاله»شيء سيء، ما دام السيد المسيح قد غسل خطايا الناس جميعاً بالامه وموته ، الخطايا التي كانت سبباً في اعدامه وموته .

ومع كل فموت السيد المسيح لم يشترك فيه كل الشعب الذي يعيش في ذلك الوقت .

والشعب الذي يعيش اليوم هو أبعد ما يكون عن ذلك الاشتراك ، ولذلك يجب على القساوسة عند تدريسهم مواد الدين، او عند وعظهم ، الا يذكروا شيئاً من شأنه ان يولّد في قلوب المستمعين الكراهية اوالاحتقار تجاه اليهود.ولا تنسى الكنيسة ان المسيح انما ولد من ذلك الشعب من حيث الجسم والبدن ، ومن هذا الشعب ولدت العذراء مريم أم المسيح،ومن هذا الشعب ولد الحواريون وهم اساس واعمدة الكنيسة . كل هؤلاء ولدوا من هذا الشعب .

ونظراً لان الكنيسة تقوم على تراث مشترك مع المعبد ، فان لدى المؤتمر المقدس نية التمهيد والتوصية بالتعارف والاحترام المتبادل بين كلا الطرفين .

وكما ان الكنيسة تستنكر بشدة الظلم الذي يقع على الناس أينما وجدوا، فانها تأسف وتستنكر بقلب الأم:الكراهية والاضطهاد ضد اليهود في الازمنة الماضية، وفي عصرنا هذا .

* * *

الآيات التي استند اليها الكاردينال بيا في تقديم وثيقة العفو الابدي عن اليهود:

الآيات رقم ٣ و ٧ من رسائل بولس الى اهل غلاطية .

الآيات رقم ٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ من رسائل بولس الى اهل افسوس .

الآيات رقم ٢ و ٨ من رسائل بولس الى اهل كورنثوس .

الآيات رقم ٢٣ و ٢٤ من سفر لوقا .



مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية

أسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

صدر عنه حتى حزيران (يونيو) ١٩٦٦ :

(١) سلسلة ((اليوميات الفلسطينية)) لعام ١٩٦٥ : (للتوزيع المحدود) :

١ ـ الجزء الاول : من ١/١ حتى ٦٥/٢/١٥ اعدها السيد انطوان بطرس .
٢ ـ الجزء الثاني : من ٢/١٦ حتى ٦٥/٣/٣١ **بالعربية** .
٣ ـ الجزء الثالث : من ٤/١ حتى ٦٥/٥/١٥
٤ ـ الجزء الرابع : من ٥/١٦ حتى ٦٥/٦/٣٠
٥ ـ الجزء الخامس: من ٧/١ حتى ٦٥/٨/١٥ اعده السيد رفيق مطلق . **بالعربية**

(٢) سلسلة ((حقائق وارقام)) : (للتوزيع) :

١ ـ **((هل تعلم ؟ عشرون حقيقة اساسية عن القضية الفلسطينية))** . بقلم الدكتور فايز صايغ . صدر باللغات **العربية ، والانكليزية ، والافرنسية ، والاسبانية** .
٢ ـ **((الامم المتحدة والقضية الفلسطينية من ١٩٤٧ حتى ١٩٦٥))** . بقلم الدكتور فايز صايغ . صدر باللغات **الانكليزية ، والافرنسية ، والاسبانية** .
٣ ـ **((التمييز ضد العرب في اسرائيل في حقل التعليم))**. بقلم الدكتور فايز صايغ. صدر باللغة **الانكليزية** .
٤ ـ **((اسرائيل في الميدان الدولي))** . (قيد الاعداد) . باللغة **العربية** .

(٣) سلسلة ((ابحاث فلسطينية)) : (للتوزيع) :

١ ـ **((حفنة من ضباب : بحث في مفاهيم البورقيبية وشعاراتها))** . بقلم الدكتور فايز صايغ . صدر باللغة **العربية** . (نفذ) .
٢ ـ **((الصهيونية والعنصرية))** . بقلم الدكتور حسن صعب . صدر باللغة **الانكليزية** . (نفذ) .

(٤) سلسلة ((دراسات فلسطينية)) (للبيع) :

١ ـ **((الاستعمار الصهيوني في فلسطين))** . بقلم الدكتور فايز صايغ . صدر باللغات **العربية ، والانكليزية ، والافرنسية** .
٢ ـ **((الهدنة في القانون الدولي))** . بقلم الدكتور عابدين جبارة . صدر باللغة **الانكليزية** .
٣ ـ **((مطامع اسرائيل التوسعية في الوطن العربي))**. بقلم السيد عبد الوهاب كيالي. صدر باللغة **العربية** .

(٥) سلسلة ((كتب فلسطينية)) : (للبيع) :

١ ـ **((الاقتصاد الاسرائيلي))** . بقلم الدكتور يوسف صايغ . صدر باللغة **العربية** .
٢ ـ **((نحن والفاتيكان واسرائيل))** . بقلم انيس القاسم . صدر باللغة **العربية** .

(٦) خارطة فلسطين الجدارية : (للبيع) :

١ ـ ملونة . حجم ١٤٠ سم × ١٠٠ سم . (تضم خارطة طبيعية وخارطة سياسية لفلسطين ، وخارطة تبين موضع فلسطين في قلب الوطن العربي) . اعدهـا السيد سعيد الصباغ .

مطبعة الغريب ـ بيروت



لمحة عن المؤلف

- ولد في فلسطين عام ١٩٢٥ .
- تخرج من الكلية العربية في القدس عام ١٩٤٥ .
- درس الحقوق في لندن وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٨ وماجستير الحقوق عام ١٩٥٠ .
- عمل في مناصب متعددة في الحكومة الليبية (خاصة في قضايا البترول) حتى عام ١٩٦٠ .
- شارك اثناء دراسته في انكلترا في القاء المحاضرات ، وفي المناظرات ، عن القضية الفلسطينية . وكان اول امين عام لرابطة الطلاب العرب في بريطانيا .
- نشر عددا من البحوث القانونية في المجلات الانكليزية والاميركية والكندية . (وعددا من المقالات في المجلات العربية) .
- صدر له بالعربية « معنى الحرية في العالم العربي» ، ١٩٥٤ ، و « من التيه الى القدس » ، ١٩٦٥ .
- كان عضوا في المؤتمر الفلسطيني الاول ، ورئيسا للجنة الميثاق والانظمة ، ورئيسا للجنة التنظيم الشعبي في لهذا المؤتمر .

الثمن ٤ ليرات لبنانية